أقوال الآباء الشيوخ

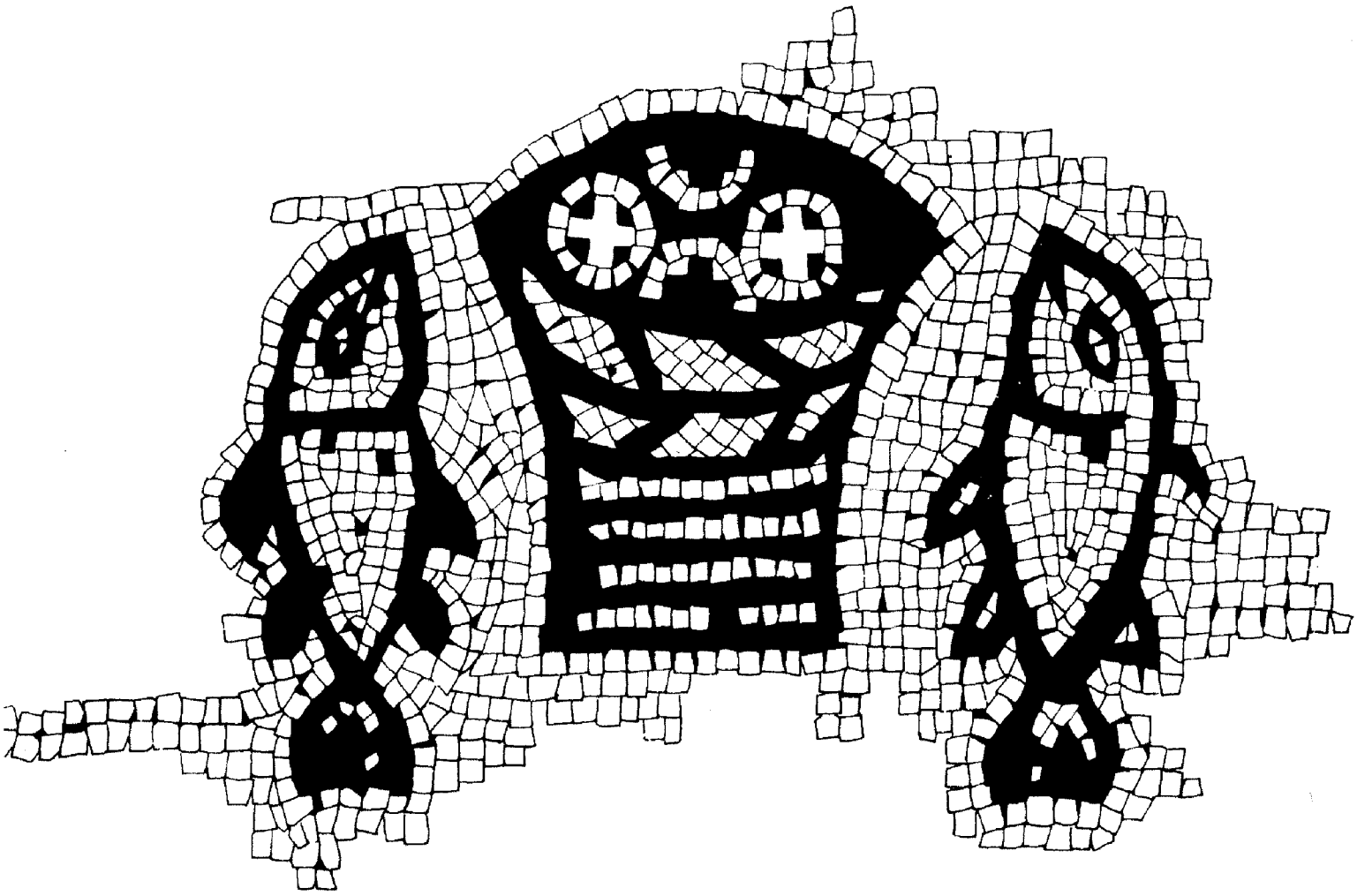

الفهرست

مقدمة	للارشمندريت الياس مرقص	٩
المدخل	للاستاذ بنيوتيس خريستو	١٣
	تقليد أقوال الشيوخ	١٤
	شيوخ البرية	١٧
	مُثل السيرة التوحدية	٢٦
	شكل مجموعة الأقوال وقيمتها	٣٣
	تحرير المجموعة	٣٥
	القديس أنطونيوس الكبير	٣٩
	القديس أرسانيوس	٤٧
	الأب أغاثون	٥٩
	الأب أمون	٦٦
	الأب أخيلاّ	٦٩
	الأب أموى	٧٢
	الأب أمون النطروني	٧٣
	الأب انّوف	٧٤
	الأب إبراهيم	٧٦
	الأب آرى	٧٧
	الأب ألونيس	٧٨
	الأب أبفي	٧٩
	الأب أبوللوس	٨٠
	الأب اندراوس	٨١
	الأب آييو	٨١
	الأب أمونائا	٨٢
	القديس باسيليوس الكبير	٨٣
	الأب بيساريوس	٨٤
	الأب بنيامين	٨٨
	الأب بياري	٨٩
	القديس غريغوريوس اللاهوتي	٨٩
	الأب جيلاسيوس	٩٠
	الأب يروندويوس	٩٤
	الأب دانيال	٩٥

الأب ديوسقورس	٩٨
الأب دولاس	٩٩
القديس إبيافانيوس أسقف قبرص	١٠٠
القديس افرام	١٠٣
إفخارستوس الذي في العالم	١٠٤
أنلويوس الكاهن	١٠٥
الأب أفبربيوس	١٠٦
الأب ألاذيوس	١٠٧
الأب إفاغريوس	١٠٨
الأب افذمونوس	١٠٩
الأب زينون	١١٠
الأب زخريا	١١٣
الأب أشعيا	١١٥
الأب إيليا	١١٧
الأب هيراقليون	١١٩
الأب ثيوذورس الفرَيمي	١٢٠
الأب ثيوذورس الأناني	١٢٦
الأب ثيوذورس الذي من الاسقيط	١٢٧
الأب ثيوذورس المواطن الحر	١٢٧
الأب ثيوذوتس	١٢٧
الأب ثيوناس	١٢٧
المغبوط رئيس الاساقفة ثيوفيلوس	١٢٨
الأم ثيوذورا	١٣٠
الأب يوحنا الكولوفي	١٣٢
الأب يوحنا الذي يعيش في دير ذي شركة	١٤٢
الأب إيسيذورس كاهن الاسقيط	١٤٢
الأب ايسيذورس البيلوسيوتي	١٤٤
الأب اسحق كاهن القلالي	١٤٥
الأب يوسف الذي في بنفو	١٤٨
الأب يعقوب	١٥١
الأب إيراكا	١٥١
الأب يوحنا الخصي	١٥٢
الأب يوحنا الكيليكس	١٥٢
الأب يوحنا رجل القلالي	١٥٣
الأب إيسيذورس الكاهن	١٥٤
الأب يوحنا الفارسي	١٥٦

الاب يوحنا الطيبي	١٥٨
الأب يوحنا تلميذ الأب بولس	١٥٩
الأب يوسف الطيبي	١٥٩
الأب اسحق الطيبي	١٦٠
الأب ايلاريون	١٦١
الأب اسخيريون	١٦١
الأب كسيانوس	١٦٢
الأب كرونيوس	١٦٥
الأب كاريون	١٦٧
الأب كوبريس	١٦٨
الأب كيرس	١٦٩
الأب لوكيوس	١٦٩
الأب لوط	١٧٠
الأب لونجينس	١٧١
الأب مكاريوس المصري	١٧٣
الأب موسى	١٨٨
الأب ماتوى	١٩٣
الأب مرقس تلميذ الأب سلوان	١٩٦
الأب ميليسيوس	١٩٨
الأب موتيوس	٢٠٠
الأب ميائيوس	٢٠١
الأب ميّوس	٢٠٢
الأب مرقس المصري	٢٠٣
الأب مكاريوس المدنيّ	٢٠٤
الأب نيلوس	٢٠٥
الأب نيسثروس	٢٠٦
الأب نيسثروس الذي في الشركة	٢٠٧
الأب نيكون	٢٠٨
الأب نترا	٢٠٩
الأب نيكيتا	٢٠٩
الأب كسويس	٢١٠
الأب كسنثيا	٢١١
الأب أوليمبيوس	٢١٢
الأب أورسيسيوس	٢١٣
الأب بيمن	٢١٥
الأب بمفو	٢٤٨

الأب بيستوس	٢٥١
الأب بيور	٢٥٢
الأب بيتيريون	٢٥٣
الأب بيستامون	٢٥٣
الأب بطرس البيونيتي	٢٥٤
الأب بفنوتيوس	٢٥٦
الأب بولس	٢٥٨
الأب بولس الكوزميتي	٢٥٨
الأب بولس الكبير	٢٥٨
الأب بولس البسيط	٢٥٩
الأب بطرس الذي من ذيوس	٢٦١
الأب روماوس	٢٦١
الأب روفو	٢٦٣
الأب رومانوس	٢٦٤
الأب سيسوى	٢٦٥
الأب سلوان	٢٧٥
الأب سيمون	٢٧٨
الأب سوباتروس	٢٧٨
الأب سارمتا	٢٧٩
الأب سيرابيون	٢٨٠
الأب سيرينيوس	٢٨٢
الأب اسبريدون	٢٨٢
الأب سايو	٢٨٢
الأم سارة	٢٨٤
الأم سينكليتيكي	٢٨٥
الأب تيثوى	٢٨٩
الأب تيموثاوس	٢٩٠
الأب إيبريخيوس	٢٩١
الأب فوقا	٢٩٢
الأب فيليكس	٢٩٤
الأب فيلاغريوس	٢٩٤
الأب فورتا	٢٩٥
الأب خومه	٢٩٥
الأب خريمون	٢٩٥
الأب بسينثايسيوس	٢٩٦
الأب اور	٢٩٧

مقدمة

إن هذه الترجمة لأقوال آباء البريــة تلبي حاجة أخذت تنمو في صفوف الشباب ، في الكرسي الانطاكي المقدس ، مذ بدأ الكثيرون منهم يتعطشون إلى الينابيــع الروحيــة الحيّــة بروح الالتزام ليشهدوا للاله الحي . وفي هذا تكمن أهميتها . . .

إن كلام الله هو الينبوع الحي الأول ، الكــلام الذي يحمل الروح ، وهو الذي إذا ما أصغينا إليــه ، في نور الروح ، يقودنا إلى الله : لأنه ينطلق من الله ليقودنا إلى الله . ولكننا إذا ما طالعنا أقوال الآباء على المنوال نفسه ، في نور الروح وسلامه ، نبلغ أيضاً إلى الله : ذلك لأنهم أناس أحياء قد جسّدوا كلام الله . لقد اقتبلوا كلام الانجيل، وعملوا به، بل تمثلوه حتى صاروا أنفسهم كلاماً نارياً أعمق من الكلام المكتوب . . . أنهم يعكسون الانجيل المكتوب بصورة أعمق وأوسع ، إذا جاز القول ، لأن كلمة الله قد تجسّدت بواسطتهم في كيان ووجود بشريين تحقق معه تحويل الطبيعة البشرية وتغييرها . ولذلك فإن قراءة أقوالهم بفهم، لا تؤلف مطالعة روحية محببة، وفحصاً للذات في العمق وحسب، بل طعاماً روحياً هو طعام الكلمة الذي يحمل الروح . . .

الينابيع الروحية الحيّة وحدها تغذينا وتحيينا ، ولا بد من الرجوع إليها لكي نتخطى القلم الذي يتهددنا ونمشي الطريق . . . فآباؤنا هؤلاء قد شقوا لنا الطريق وعبّدوها بعيشهم الانجيــل الى المنتهى ، الى الحد الأقصى ، ونحن بعدهم وبفضلهم نستطيع أن نسلك دنيــا الانجيــل بأكثر سهولة . . . إننا في رجوعنا إليهم ، إلى أقوالهم وتصرفاتهم ، نوسّع أفقنا الروحي ونعمّق فهمنا ، بل ندخل في حركة تمديد لذواتنا إلى ما أكبر من ذواتنا ، وهكـذا بشركتنا معهم نغتني بغنى

وفير . . . نحن في حياة روحية سليمة ، لا نستطيع أن نضيف الى وجود فردي ، لأننا بالشركة مع الآخرين فقط ، نكون في الملء . . . ثم أن الروح يهبّ حيث يشاء ، فيجب أن نكون حيث يشاء ، لا حيث نشاء نحن . . .

أمّا شركتنا هذه معهم ، فينبغي ان تكون شركة حيّة ، في نوع من حوار ، نسألهم فيه ونتلقى أجوبتهم لا بذهنيّة الحرف الضيّقة بل بمسؤولية وحرية سيّديّة ، لننمو مثلهم إلى ملء قامة المسيح . إنهم لا يزالون هنا ، اليوم أيضاً ، كحاملي الكلمة والروح ، لكي نسألهم و يجيبونا . لقد تحددت وظيفتهم في القديم بشكل أناس يأتون إليهم ويطلبون « كلمة للمنفعة » ، فيجب أن نطلب لنا تلك المنفعة بحسب قصد الروح الأزلي الملائم لأيامنا . وبذا يصير سؤالنا إياهم عملاً حيّاً ومحيياً : من قبلنا شهادة قبول إيمان وحياة ، ومن قبلهم امتداد حضور بالروح إلينا .

والحقيقة أننا بأمسّ الحاجة إلى مثل هذه المطالعة الحيّة «السؤالية » لكلام الله : نحن لا نعيش الروح كفاية ، وكثيراً ما ينتابنا الارتياب والقلق لأننا في الواقع لا نعرف أن نسأل الله . فالله يحب الذين يسألونه لا الذين يرددون كلمات صمّاء ولا يسمعون ما يقول . . . إن الله يخاطبنا في سفر أيوب قائلاً : « لا تظلموا قصدي بكلام أحمق : «إنهض واسألني لأجيبك» . . . فيفهم أيوب ويسمع ويتعلّم : «أسألك فتعلّمني . . . بسمع الأذن كنت قد سمعت عنك ، أمّا الآن فقد رأتك عيني » (أنظر أيوب ٣٨ : ١ ـ ٣ و ٤٢ : ٢) . فمثل هذا الحوار في عمق النفس ينبغي أن يكون نموذجاً وقياساً لموقفنا أمام كل كلمة تخرج من فم الله . . . إذ ذاك نميّز من خلالها قصده المقدس لكل منا ونجلو هذا القصد ونعمقه لكيما نسلك فيه . . .

في « القول » الأول من هذا الكتاب نرى أنطونيوس أبا الرهبان فريسة الضجر والقلق . فيسأل الله : « كيف أخلص » ؟ . فيعاين رجلاً مثله جالساً يعمل في ضفر الحبال ثم ينهض ليصلّي ثم يعود فيجلس للعمل وهكذا . . . ثم يقول الرجل لانطونيوس (وكان هذا جواب الله) : « اعمل هكذا

فتخلص » . . . لقد رأى أنطونيوس رجلاً مثله ، أي أنه رأى ذاته أمامه ، « قام من ذاته » ، وعى ذاته : وبالتالي تحرر منها ، وكان هذا له بدء الخلاص ، إذ لم يعد غارقاً في ذاته ، أسيراً لها . . . بل صار هناك بُعد بينه وبين نفسه ، صار أكبر من نفسه ، صار مهيّأً لسماع الله . فيأتيه الجواب : « إعمل ولو أبسط الأعمال ، إعمل عملاً ما لكي تركز فيه فكرك وتجمع ذهنك وذاتك من الضياع . . . ثم إعمل وصلّ ، تارة إعمل وتارة صلّ ، في نوع من إيقاع ، وفي بساطة هذا الايقاع سوف تجد القوة والخلاص . . .

وفي القول الثاني نرى أنطونيوس يسأل الله لماذا يموت البعض في ريعان الشبَاب ويبلغ آخرون منتهى الشيخوخة ولماذا يوجد فقراء وأغنياء الخ . . . وإذا بصوت يجيبه : انطونيوس ، اهتمّ بنفسك . اننا جميعاً نميل إلى الإهتمام بأمور الله هاربين من الإهتمام بأنفسنا . فجواب الله يدعونا إلى الإهتمام بالواقع لا بالنظريات ، أمّا الإهتمام بواقعنا لكيما نتبناه ونتبنى فيه قصد الله نحونا فندخل في مسرى تحقيقه لخيرنا وخير من حولنا . . .

وفي القول الثالث يسأل أحدهم أنطونيوس كيف نرضي الله ؟ فيجيب ، فيما يجيب : « ليكن الله دائماً نصب عينيك » . وهذا يعني الكثير . يعني أولا أن نعيش في حضرة الله ، أي أن يكون موقفنا الداخلي موقف صلاة ـ حالة صلاة ـ أن نحس أن الله هو « الوسط » الذي نحيا فيه ونتحرك ونوجد . . . ويعني ثانياً أن نذكر الله ، أي أن يتجه ذكرنا الواعي دائماً نحو الله ، ممتدين إليه بفرح ونضارة متجددة ، أحراراً من كل ثقل ، غير مكبلين بذكر الماضي الذي يشقينا ويعيقنا عن السير . . . وهذا يعني ثالثاً أن نعيش في يقين : أن نتيّقن أن الله هو هنا بالتأكيد ، وأننا سوف نعاينه بعد الموت ، وأن نبني حياتنا على هذا الأساس ، من اليقين ، والثقة ، والضمان ، على أساس من صخر هو بالنتيجة الإيمان . . .

وهكذا . . . على هذا المنوال (وهذا غيض من فيض) ، نكتشف كنوز هذا الكتاب ونحيا بالروح . . .

الأرشمندريت

الياس مرقص

المدخل

إن أغلب آباء البرية الكبار علّموا ولم يكتبوا . علّموا بأعمالهم وبأقوالهم . فأخذ السامعون يتقبلون أقوالهم بعطش وحماسة . فكانت عبارة : «قل لي كلمة كي أخلص» قولا شائعاً في أوساط النساك القدماء والجدد ، يُوجَّه إلى الشيوخ المعوّل عليهم روحياً . وهؤلاء كانوا يصمتون إن لم يكن عندهم ما يقولونه .

وهكذا بقيت أقوالهم حيّة في آذان السامعين ، ثم انتقلت مشافهة من جيل إلى جيل . ولحسن الحظ ، أن استقرارها في الكتب لم يتأخر . فقد دوّن أخبارَ العديد من آباء البرية الكبار وأقوالهم كتّابٌ ذوو كفاءة وشأن ، إذ عرفوا الأمور عن كثب ومن خلال الاتصال الشخصي بآباءٍ كأثناسيوس وبلاذيوس وكسيانوس ويوحنا موسخوس وحفظوا الكثير من أقوالهم . وكان طبيعياً أن يقدموها بأسلوبهم الخاص .

أمّا المجموعات التي تحفظ مثل هذه الأقوال وتُغْفِل اسم قائلها فتتّسم بالموضوعية والشمول . وتقدمها بشكلها الطبيعي البسيط غير المتكلَّف به وغير المتقن ، فتعطينا صورة حيّة عن حياة القفر في القرون الأولى من الحياة الرهبانية . إن أقوال الآباء الشيوخ هي الأقوال الرئيسة في هذه المجموعات .

تقليد أقوال الشيوخ

في التقليد المخطوطي ، وردت هذه المجموعة تحت عناوين متعددة : أقوال الشيوخ المأثـــورة ، (Apophthegmata Geronton) ؛ كتاب الشيوخ القديسـين ، المسمـى بكتـاب الفـردوس ، (Paradisos) ؛ وكتاب في أقوال القديسين والشْيوخ وأخبارهم ، أي الروضة الكبيرة(Limonarion Mega) . ويحوي أقوالا نطق بها متوحدون تألقوا في مصر في القرون الأولى من الحياة الرهبانية ، كما يحوي اعمالهم وانجازاتهم . ولقد اضيفت اليها فيما بعد مقاطع أخرى من خارج هذين الزمان والمكان . وهكذا اتخذ هذا العمل اسم أقوال «الشيوخ» (Gerontikon) وأقوال «الآباء»(Paterikon) .

هذه المجموعة في حالتها الحاضرة متعددة الأشكال :

١) المجموعة الأولى هي النوع الأبجدي الذي يحمل العنوان الآتي : أقوال الشيوخ المأثورة(Apophthegmata Geronton). نشر J.Coteller [1] النص اليوناني الذي نُشر بشكل مشابه لما ورد في البترولوجيا اليونانية لمين Migne [2] . هذه الطبعة ناقصة ، لأنها استندت إلى مخطوطة واحدة فقط ، وهي مخطوطة Reg 2466 القديمة ، مع تغيرات عرضية في الهامش مأخـوذة من المخطوطـة Reg 2615 . هاتان المخطوطتان احتوتا على النص الأبجدي فقط ، وهما تقعان في ٩٥٠ قولا على وجه التقريب . ومن بين المخطوطات الأخـرى التـي تحـوي الكتاب نخص بالذكر المخطوطات التالية :

Coisl 126, Berol. Phill 1624, Mosqu. Synod. 351 التي يرد فيها أقوال أخرى . ويصل عدد الأقوال مع كل الإضافات إلى الألف تقريباً .

---

1. Ecclesiae Graecae Monumenta I, 338 - 712.

2. PG. 65, 71- 440 .

٢) نوع يغفل الإسم ، ويحوى مخطوطتين : Coisl 126, Beroll. Phill 1624. هذا النوع لا يذكر أسماء أصحاب الأقوال ، وفيه بعض التصنيف والتبويب ، لكن هذه المجموعة ناقصة ، إذ تصل إلى ٨ أقوال . إن Nau نشر ، على أساس المخطوطة الأولى ، نصف هذه الأقوال[٣] .

٣) عرف فوتيوس نوعاً من هذه الأقوال مقسّماً بحسب المواضيع . هذا النوع يُقسّم إلى ٢٢ فصلاً ، وهو ما زال محفوظاً إلى الآن في النص الأصلي ، إلا أنه لم يُنشر بعد . بيد أن الترجمة اللاتينية قد ضبطها الشماس بيلاجيوس والايبوذياكون يوحنا في القرن السادس ، اللذين ارتأيا ، كما يبدو ، إلى السدة البابوية ، تحت اسمي بيلاجيوس الأول (٥٥٥ ـ ٥٦٠) ويوحنا الثالث (٥٦٠ ـ ٥٧٣) . وهما قسّما هذا النوع إلى ٢٢ فصلاً كذلك . وتطابق هذه الفصول وصف فوتيوس من الناحية الأساسية ، لكن مع الفروقات الآنية أن فصول الترجمة هي في الأساس ٢٢ ، لأن الفصل الأخير من ترجمة بيلاجيوس (١٨) والأول من ترجمة يوحنا (١) هما الفصل ذاته .

يبدو ، من جهة أخرى ، أن ذكر الفصل الثالث قد شمله وصف فوتيوس ، وذلك في نسخة متأخرة، في حين أن الفصلين ٢١ و٢٢ أُضيفا فيما بعد إلى الفرع الأصلي . هكذا تكون الفصول ١ ـ ٢٠ عند فوتيوس مطابقة للفصول ١ ـ ١٨ عند بلاجيوس و٢ ـ ٤ عند يوحنا . ومن الأقوال الـ ٩٥٠ المنشورة من الفرع الأبجدي ، ثمة ٤٢٠ قولاً موجودة في الفرع المنهجي المرتب وفق المواضيع[٤] . لكن هناك ٣٧ قولاً لا تظهر في الفرع الأبجدي[٥] . كما يحوي هذا النوع ٢٧٠ قولاً من النوع الذي يغفل الإسم[٦] . وفي الترجمة اللاتينية يحمل هذا النوع العنوان Seniorum Verba

---

3. F. Nau, Revue de l'Orient Chétien 1907- 1912.

4. Muploblbyos 198. (Myriobiblog).

5. Kws. Aonvwv 2094. Mosq. Synod 342. 344. 345. a. Kod. Athens.

بعض هذه الأقوال موجود في مخطوطات أخرى من النوع الأبجدي .

وقد نشرها Rosweyde الذي أصدر أيضاً مجموعتين أصغر حجماً في ترجمة لاتينية قديمة[٧].

هذا النوع محفوظ أيضاً في ترجمة سريانية وأرمنية ، وهناك أقسام في ترجمة قبطية .

٤) النوع الواسع هو من عمل بولس افريتنوس الذي عاش في القرن الحادي عشر ، وهو تحت عنوان « مجموعة التعاليم والأقوال المنطوق بها من الله للآباء القديسين حاملي الله »[٨] أضاف بولس إلى مؤلَّفه هذا مادة من الشيوخ اللاحقين ، بصرف النظر عن المكان . طوّر النص مبوّباً إياه بدقة وانتباه ضمن ٤ كتب ، وفي كل كتاب ٥٠ فصلاً . وفي هذه الفصول أدخل التبويب الأبجدي .

٥) هناك أنواع حديثة ذات أهمية ثانوية انبثقت من النوعين الأساسيين ، الأبجدي والموضوعي ، إنما ليست كاملة ، وإن ابتغت الكمال . وفي أزمنة متأخرة أخذ كل دير يعتز باقتنائه مجموعة خاصة به ، فكانت الزيادة في العدد امراً لا مناص منه . وهكذا أصبح عندنا عدد كبير من أقوال الشيوخ والآباء .

Vitae Patrum V, v PL 73, 855-1024. Vitae Patrum, iii PG 73, 738-810. Vitae Patrum Vii PG 73, 1025-1062.

٨ ـ طبعة نيقوديموس الآثوسي ، البندقية ١٧٨٣ ، وطبعات لاحقة .

شيوخ البرية

إن الأقوال الموجودة في النوع الأبجدي اليوناني مصدرها ، أساساً ، الآباء الذين عاشوا في الأسقيط . وكان أغلبهم من القرويين المصريين القبطيين الـذين يجهلون الثقافة العالمية . حتى وصفوا بأنهم (غير مثقفين) و (غير متعلمين) . لكنهم امتلكوا تربية النسك الخلقي ، كما سنرى في نقاط أخرى من هذا المدخل .

سأل ارسانيوس شيخاً مصرياً عن موضوع أفكاره الشريرة ، فتساءل أحد الحاضرين : «كيف تسأل هذا القروي غير المثقف عن أفكارك وأنت تعرف العلوم اليونانية والرومانية ؟» . أجاب ارسانيوس : «أنا أعرف العلوم اليونانية والرومانية ، لكن أبجدية هذا القروي ما تعلمتها بعد » (ارسانيوس) .

بالطبع ، إن الثقافة اليونانية كانت قد انتشرت في الأماكن الريفية ، وإن كان انتشارها هناك انتشاراً تجريبياً وليس منهجياً . وفي أسوأ الحالات ، فإن النسـاك الذين كانوا مضطرين إلى فتح الكتب المدونة باليونانية ، لأن الترجمات إلى القبطية لم تكن كافية ، الموّا بشيء من اليونانية . ويُذْكر مثلاً أن الأب بيمين ما كان يعرف اليونانية ، لكن حدث مرة أنه ، في غياب المترجم ، تكلّم اليونانية بطلاقة (بيمين ١٨٣) ، مما يشير إلى أنه كان ملماً بها ، إلا أنه كان متردداً في النطق بها خوفاً من أن يُلْحن في الكلام . في أي حال ، بالرغم من كل عناصر التفكير اليوناني الموجودة في كتاباتهم ، ولا سيما الفلسفة الخلقية المبثوثة في أقوالهم المأثورة ، نستطيع القـول عموماً إنهم في غالبيتهم لم يتلقوا دروساً منهجية .

كانت البرية مدرسة ، لا بل مدرسـة نمـوذجية تقريبـاً ، فكان لدى الأب سلوان (سلوان ١) اثنا عشر تلميذاً ، وكذلك لدى الأب بيمين . فكل النساك

الجدد الذين أتوا للالتصاق بالشيوخ القدامى كانوا يُدعون تلامذة، إلاّ إذا كانوا كباراً في السن، فيُدعون أصحاباً. إننا نجد أنهم نقلوا إلى البرية المنهج التربوي الموجود في العالم اليوناني، والمجتمع الدنيوي، لكنهم أجروا فيه تعديلاً، لأن ابتغاء المعارف والعلوم أُقصي هنا، وبقي الهدف الوحيد هو طلب الفضيلة.

كان الشيوخ مستعدين للردّ على جميع الأسئلة الموجهة إليهم، أو للمبادرة إلى الكلام، إلا إذا رأوا أن كلامهم غير مقبول عند السامعين. وفي بعض الحالات كانوا يتحاشون الكلام. فذات يوم زار أناس من العالم الأب سيسوى، وكلّموه كثيراً، لكنه لبث صامتاً (سيسوى ٢١). من الواضح أن هناك سبباً وراء صمته. إلا أن القانون الأساسي عندهم هو التعليم. لم يدوّنوا، لأنهم لم يشعروا بالحاجة إلى ذلك، والقسم الأكبر منهم لم تكن لديهم الكفاءة لذلك. وكان من الطبيعي أن يدوّنوا باليونانية غير أن معرفتهم بها لم تكن كافية. أمّا اعتبارهم فكان معترفاً به بشكل عام، إذ جاء إليهم البسطاء ورؤساء الأساقفة والحكّام يطلبون سماع أقوالهم. وان هؤلاء النساك على علم بقوة كلامهم. فالأب بيمين، الذي امتاز بتواضعه كان يتكلم عادة بشكل مؤثّر للغاية. لقد كُتب، قال بيمين: « صدقوا ما رأته أعينكم (أمثال ٢٥ : ٨)، وأنا أقول لكم : لا تشهدوا إن لم تلمسوا بأيديكم » (بيمين ١١٤). وهكذا، دون أن ينقضوا روح الإنجيل، كانوا يحتكمون إلى خبرتهم الروحية، فيقدمون شيئاً جديداً، على الأقل بالنسبة إلى شريعة العهد القديم (أمّا أنا فأقول لكم).

يصل عدد الشيوخ الذين نجد أقوالهم المأثورة في هذه المجموعة إلى ١٣٢ شيخاً (بصرف النظر عن الملاحظات التي سنوردها في الحواشي)، ينتمون بمجملهم إلى القرن الرابع، والنصف الأول من القرن الخامس. أكثر من نصفهم كانوا إسقيطيين والأسقيط منطقة تغطي جزءاً كبيراً من مصر السفلى، في الجهة الغربية من دلتا النيل باتجاه ليبيا. تقع على مسافة ٧٠ كلم جنوب بحيرة مرياط القريبة من الإسكندرية. وتصل إلى مشارف مدينة دلتا ترينوتي وتشمل خمس نواحي :

أ) برية الاسقيط نفسها
ب) القلالي
ج) جبل النطرون
د) جبل الفريم
هـ) الواحة .

ومنذ تأسيس رهبنة الأسقيط ، وحتى نهاية الفترة التي تغطيها أقوال الشيوخ الواردة في هذا الكتاب ، يمكننا أن نفترض وجود أربعة أجيال من النساك بين سنة (٣٢٠- ٣٥٠ - ٣٨٠ - ٤١٠) . مؤسس الرهبنة هناك هو عمّون الذي استقر في جبل النطرون ، وكان معاصراً للقديس انطونيوس الكبير ، وقد قابله في مناسبات عديدة . ولئن كانت أقواله قليلة العدد (ثلاثة فقط) ، إلاّ أنّ هذا قد يُعزى إلى أن تلاميذه أغفلوا تدوينها باكراً أو إلى التباس اسمه مع أسماء مشابهة . ولعلّ بعض الأقوال التي تحمل اسم آمون هي من أقواله . إذ أن هناك أقوالاً كثيرة تحمل اسم آمون (١٠) الذي كان ذا صلة بالقديس انطونيوس الكبير . وليس من سبب يجعلنا ننسب الأقوال (٧ - ٨ - ١٠) إلى شخص آخر ، لأن معلّم هذه الأقوال يرد ذكره كأسقف . ونعرف أن عدداً من هؤلاء الآباء قد أصبحوا أساقفة . وهناك آمون آخر يرد ذكره في وقت متأخر أيام بيمين الجديد . ومع آمون وأنطونيوس هناك رفيق ثالث هو الأب بيمين (آمون ٢ ، أنطونيوس ٤)، الذي لا يمكن بشكل من الأشكال أن نطابقه زمنياً ببيمين الكبير والجديد . ويحسن أن نفترض أن بعضاً من أقواله قد نسبت إلى هذا الأب . وكان سيسوى أيضاً معاصراً للأب انطونيوس وصديقاً له . وسيسوى هذا أقام في الجبل بعد رقاد أنطونيوس ، ومنه انطلق فيما بعد إلى جبل طيبة (سيسوى ٤٨) . إن الأقوال المأثورة التي تحمل اسم سيسوى تعود إلى رجلين يحملان هذا الإسم ، الأول عاش في الجيل الأول وقد أتينا على ذكره ، والثاني عاش في الجيل الثالث . لكن من الصعب أن نفصل بين الإثنين بدقة . ومن أصدقاء سيسوى الأول هناك الأب بيستوس الذي وصلنا من أقواله قول واحد فقط .

الأب أور كذلك ينتمي إلى الجيل ذاته ، ويذكر اسمه في مجموعة مهمة

تتألف من ١٥ قولاً . وبين جيله والجيل اللاحق هناك الأب مكاريوس المصري ، الشخصية الفذّة ، الذي نسك في برية الاسقيط وعُرف كقائد للمتوحدين هناك لعدة عقود من الزمن ، إلى أن رقد حوالى ٣٨٥ م . ان بلاديوس وروفينوس[٩] أدرجا تحت اسمه ملاحظات هامة في مؤلفاتهما ، وقد سعى تلاميذه إلى حفظ عدد من أقواله كاف (٤١ قولاً) . وتُنسب إليه خمسون عظة روحية . وفيليكس ليس سوى مكاريوس باسم مُتلَتين (لاتيني) .[١٠]

وفي الجيل الواقع سنة ٣٥٠ امتاز الأب بمفو الذي ينسب إليه ١٤ قولاً في المجموعة . وقد أجَلّه القديس اثناسيوس الكبير كثيراً ، ودعاه إلى الإسكندرية . أمّا ثيوفيلوس فقد زاره بنفسه . ويضعه روفينوس في مصاف مكاريوس الأول والثاني ! كان الأب بيور معاصراً له كما يذكر التاريخ اللافسياكي[١١]. وفي إحدى الحلقات التي انعقدت بين الشيوخ الذين كانوا يتباحثون برئاسة بمفو (بمفو ١١ وفق مخطوطة برولين) ، برز أب اسمه أشعياء ، إلا أن الأقوال المنسوبة إليه في هذه المجموعة يبدو أنها تنتمي إلى أشعياء آخر عاش في الجيل الرابع . وإيسيدوروس ، قسيس الاسقيط، المدعو في مكان آخر قسيس النطرون، مثّل دوراً قيادياً بين النساك، وأصبح مشهوراً بينهم (٩ أقوال) . كذلك هناك أقوال أكثر (٢٩ قولاً) حفظت باسم الأب ثيوذوروس الفرمي الذي هو ، كما يبدو ، ثيوذوروس الأسقيطي الذي يذكره كسيانوس[١٢]. ومن معاصريه كان الأب كرونيوس (له خمسة أقوال) ، ويوحنا الخصي (له قولان) ، الأول منهما عن الترجمات القديمة ، أمّا القول الثاني فيغيب عن الترجمات اللاتينية ، في حين ينسب في الترجمة السريانية إلى أنطونيوس الذي ينطق به بطريقة أخرى . ثمة أقوال أربعة أخرى تحمل اسمه لكنها تنسب إلى يوحنا كيليكس . أمّا بيساريون الذي عاش حتى نهاية مملكة ثيوذوسيوس الأول (له ١٢ قولاً) فينبغي أن نضعه في هذا الجيل ، لأنه يتحدث مع الأب

---

٩ ـ التاريخ اللافسياكي (١٧) ،
وتاريخ المونا خوروم (٢٨) .

١٠ ـ التاريخ الكنسي (٢ ، ٤ ، ٨) .

١١ ـ التاريخ اللافسياكي ١٠ .

١٢ ـ Collationes 6 .

بمفو . ويرد قولان لتلميذ الأب ذولاس ، وهما يغيبان عن الترجمات القديمة ، غير أن القول الثاني يطابق قول افاغريوس(٢) .

في الجيل الثالث ، أي في سنة ٣٨٠ ، الذي يوافق زمن أسقفية ثيوفيلوس في الإسكندرية، كان عدد الأقوال المأثورة أغنى، رغم أن الجيلين الأولين كانا يشملان أسقفية اثناسيوس الطويلة الأمد. إن أوساط الأب بيمين تحسب الأب موسى لسان حالها، (فمن الجيل الثالث للاسقيط ومن أيام الأب موسى لم يعد الاخوة يتقدمون بعد) (بيمين ١٦٦) . كان موسى حبشياً ولصاً سابقاً كما يُستدل من التاريخ اللافسياكي، ومن أقواله البالغة ١٨ قولاً .

يحمل بفنوتيوس لقب الكفالاس[١٣] . وهو خلف إيسيدوروس في قسوسية الاسقيط وكان تلميذ مكارويس . أمّا شخصيته المشعّة فيمكن أن تظهر لنا من أقواله الخمسة . رافق إيسيدوروس في الاسقيط شخص آخر هو كاريون (له قولان)، الذي تتلمذ عنده ابنه زخريا الذي رقد وهو شاب (له ٥ أقوال) .

إن اسحق قسيس القلالي ، كان تلميذ ثيوذوروس الفرمي وكرونيوس (له ١٢ قولاً) . وكان مُساكنه شخصاً يدعى إبراهيم ، ولقد تمثّل في المجموعة (بثلاثة أقوال) واقترن اسمه بآرى (له قول واحد) . وكان اغاثون ناسكاً بارزاً في هذه الفترة ، تتحلق حوله شخصيات نسكية أخرى (له ٣٠ قولاً) . أمّا الأب لوط (وله قولان) فاقترن اسمه بأغاثون وأرسانيوس ، وإن عاش في أرسنويتي . وإيليا كان أيضاً تلميذاً للأب اغاثون (له ٨ أقوال) . في القول الثامن يُسمّى ناسكاً هدوئياً ، ويُقَدَم لنا وهو يعيش في كهف الأب سابا . لكن في أقوال أخرى يذكر أنه « رجل الخدمة » . هذا يشير إلى وجود شخصيتين مختلفتين . في أية حال ، إن في الترجمة السريانية ثلاثة أقواله له ، وفي اللاتينية الكبيرة قولين ، وفي اللاتينية الصغيرة قولاً واحداً . والأقدم من أغاثون كان صديقه ألونيوس (له أربعة أقوال) .

---

١٣ ـ Collationes 3,1, 3

في هذه الآونة ، هناك شيخان لم يُعرفا كثيراً وهما سيرابيون (له ٤ أقوال) ، وسيرينوس (له قولان) ، ينبغي أن يكونا الشخصين اللذين حملا الاسم نفسه واللذين تحادثا مع كسيانوس[١٤] . ويرتبط بهما وبالأب فتيميوس أبوان اسمهما آموى (له خمسة أقوال) وأخيلا (له ستة أقوال) .

إن أرسانيوس الشريف الروماني ـ اليوناني قدم إلى الاسقيط وهو طاعن في السنّ ، بعد أن كان إستاذاً لابني ثيودوسيوس الأول ، أنوريوس وأركاذيوس . وفي القول الحادي والعشرين خرج ارسانيوس يبكي ويقول : عندما أقفر الاسقيط « فقد العالم روما ، والرهبان الاسقيط» .

ينبغي أن يكون قد وقع ذلك بعد نهب روما على يد القوط سنة ٤١٠ . ثم عاش ١٥ سنة قرب الإسكندرية في بتراء تروى . يتمثل في ٤٤ قولاً . رومايوس (الذي له قولان) هو ارسانيوس نفسه .

إن سيسوى الثاني عاش في البتراء ، كما يتضح من القولين ٢٣ و ٢٦ ، وكان اسقيطياً ذا صلة ببيمين الكبير ، وإن كان بيمين أصغر منه . وأكثر الأقوال (٥٢ قولاً) التي تحمل اسم سيسوى هي له . والأب تيثوى يمكن أن يكون سيسوى نفسه (له سبعة أقوال) ، وهذا يجعل عدد أقواله كبيراً ، فيكون الثاني بعد بيمين في عدد أقواله . وهناك أخيراً ، الأب كوبريس الذي هو أقدم من الأب بيمين (له قولان) .

في الجيل الرابع ، أي في السنة ٤١٠ ، نجد شخصية كبيرة هي يوحنا الكولوفس (٤٠ قولاً) تلميذ آموى ، الذي كان له تلميذ آخر هو يوحنا الطيبي (قول واحد) .

كما أن هناك شخصاً معاصراً لأخيلا وآموى اسمه أشعياء (آموى ٢ ، أخيلا ٣) الذي كان أصغر سناً منهما ، وكان معاصراً لبيمين . وإليه تنسب مجموعة من ١١ قولاً وليس إلى أشعياء القديم الذي رأيناه سابقاً والذي عاش في النصف

---

١٤ ـ Collationes 18,11 , Collationes 7,8 .

الثاني من القرن الخامس . بالطبع ، إن تقليد هذه الأقوال غير أكيد ، لأن الترجمة السريانية تحتفظ منها بقولين فقط ، والترجمة اللاتينية تذكر قولاً واحداً ، بينما لا تذكر الترجمة اللاتينية الصغيرة شيئاً البتة .

أمّا دانيال الفرعوني (وله ثمانية أقوال) فكان تلميذاً وفياً لأرسانيوس . وقد ورث عنه العباءة الجلدية والقميص والنعلين . وهناك أب يدعى أفيذيمون تحدث عن الأب بفنوتيوس وعدّه أباً للاسقيط ، إلا أن قوله الواحد يغيب عن الترجمات اللاتينية ، وفي السريانية يُنسب لأب يدعى آمون(Eudenon, Amon) .

إن للأب بيمين مساهمة كبرى في المجموعة ، إذ يُنسب إليه ١٨٧ قولاً ، الأمر الذي يشير إلى نشاط تلاميذه في ترتيب أقواله . وهو أتى الاسقيط حوالي سنة ٤٠٥ م مع اخوته الستة . وبعد دمار الأسقيط أقام في مصر الوسطى . وكما رأينا ، فإن بيمين ، الذي كان زميلاً للأب آمون وللأب أنطونيوس ، هو شخص آخر . أخوه أنوف كان أكبر منه سناً ، لهذا كان رئيس الجماعة في السنوات الأولى ، وله قولان فقط . وفي حلقته الأوسع عندنا سارماتا (٤ أقوال) وذيوسقوروس (٣ أقوال) .

هناك سلسلة من شيوخ آخرين غير بارزين ، لا نعرف في أي وقت عاشوا . كما أننا لا نعلم إذا عاشوا في الاسقيط أم خارجه ، ولكن نستنتج أنهم ذوو علاقة به . وإلاّ فكيف نبرّر احتواء هذه المجموعة لأقوالهم . وهؤلاء الشيوخ هم :

أبولو الذي عاش أيضاً في القلالي ، وإسحق الطيبي (له قولان) ، وبنيامين الذي عاش في القلالي ولعلّه كان قسيساً هناك (له خمسة أقوال) ، وإيلاديوس الذي عاش في القلالي ٢٠ سنة (له قولان) ، ويوحنا رجل القلالي (له قولان) الأول ينسب إلى يوحنا رجل القلالي ، والثاني إلى يوحنا الطيبي . هناك كذلك أولمبيوس الذي كان في القلالي (له قولان) ، وثيوذورس الاسقيطي (قول واحد) ، ويروندیوس الذي في البتراء (له قول واحد) ، ويعقوب رجل الخدمة (وله أربعة أقوال)[١٥] ، وكسنثيا (له قولان) ، وبولس الذي من العالم (وله

١٥ ـ هناك شخص اسمه يعقوب عاش في بلاد العرب المصرية ، وهناك يعقوب آخر عاش في الكليزما ومن ثم في الاسقيط(ولعل يعقوب الثاني هو نفسه يعقوب رجل الخدمة) .

قولان) ، وتيموثيوس أخو بولس (له قول واحد) ، وفورتاس (له قول واحد) ، وميوس الفلاليو (٣ أقوال) ، وأفيربيوس (٧ أقوال) ، وهيراقليوس (قول واحد) ، وبولس الغلاطي الكبير (٣ أقوال) ، وروفوس (قولان) ، وثيوناس (قول واحد) ، وايراكس (قول واحد) ، وايسخيريون (قول واحد) ، ونيكيتا (قوال واحد) ، وبيستامون(قول واحد) ، ورومانوس (قول واحد) ، وسيمون(له قولان) ، وسوباتروس (قول واحد) ، وخومي (قول واحد) .

في هذه المجموعة ، يوجد إلى جانب الشخصيات الاسقيطية أسماء المتوحدين البارزين الذين عاشوا في الاسقيط أو كانوا على صلة بقادته الشهيرين . وفي هذه السلسلة يأتي ، أولاً ، بطل النسك الأول أنطونيوس الكبير ، (له ٣٥ قولاً) ، الذي كان يزور الاسقيط ، بين الحين والآخر ، قادماً من ابتانوميذا (المحافظات السبع في مصر العليا) .

وكان الاسقيطيون بدورهم يزورونه . وهناك قول واحد لكل من التلميذين بيتيرنس وبولس البسيط . وبالعكس ، فإن باخوميوس مؤسس نظام الحياة المشتركة ، لم يجد سبيلاً إلى هذه المجموعة التي تَدفع إلى الأمام مُثل النسك القفري ، لا الرهبنة المشتركة ، ولكن عندنا قول لكل من التلميذين أوسيوس وبنثايسوس .

أمّا الذين أقاموا في منطقة الميل التاسع غربي الإسكندرية فهم جماعة رهبانية كانت لهم صلة وثيقة بأهل الاسقيط . فحفظ لدينا بعض أقوال لعدد من ممثليهم ، كثيوذوروس (٣ أقوال) ، ولوكيوس (قوال واحد) ، ولونجينوس (قول واحد) .

كما أن الذين أقاموا في بمفو كانت لهم صلات وثيقة بأهل الاسقيط، فيوسف الذي من بمفو يظهر من خلال عدد من الأقوال كاف (١١ قولاً) ، وآخرون غيره يظهرون من خلال عدد أقل مثل خريمون (وله قول واحد) ونيستروس (٥ أقوال) ونيستروس الذي عاش في دير ذي حياة مشتركة (له قولان) ، ويظهر أنهما الشخص ذاته .

الأب سلوان (١٢ قولاً) عاش في سيناء ، وفق أقواله ، ولكن ، من أقوال

تلاميذه مرقس ، نجد أنه انتقل من سيناء إلى سوريا ، في حين أنه عاش سابقاً في الاسقيط.

ومرقس هذا (له ٥ أقوال) لم يتمكن من مصاحبة معلّمه في سوريا ، لأنه رقد في عمر مبكّر . لكن تلميذه زينون (له ٨ أقوال) فعل ذلك . وهناك تلميذ آخر يدعى نترا (له قول واحد) صار فيما بعد أسقفاً على فران .

وفي سيناء وجوارها عاش بعض النساك الذين كانت لهم علاقة بالاسقيط ، أمثال الأب ماتويس (١٣ قولاً) ، وميثيوس (٤ أقوال) ، وبطرس البيونيتي (٤ أقوال) ، ونيكون (قول واحد) ، وكسيوس (وله قولان) ، والقول الأول لهذا الأخير يقابل ، جزئياً ، القول الثاني للأب ابراهيم ، والقول ٢ ب للأب سيسوى ، والقول ١٩ لبيمين .

ولأسباب عديدة أُدرجت في هذه المجموعة ، أثناء المرحلة المبكّرة من تأليفها ، أقوال لبعض الشيوخ المصريين الآخرين ، إنما بأعداد قليلة ، أمثال ثيوفيلوس رئيس الأساقفة (٥ أقوال) وبولس الطيبي (قول واحد) ، ويوحنا تلميذ الأب بولس (له قول واحد) ، ويوحنا الفارسي (أربعة أقوال) ، ومرقس المصري (له قول واحد) ، وثيودورس ألفتروبوليتس (المواطن الحر ، له قولان ، النصف الأول من القول الثاني ينسب إلى أب يدعى ثيوذوسيوس ، والنصف الثاني ينسب إلى شيخ أُغفل اسمه) ، وأفلويوس القسيس (له قول واحد) ، ويوسف الطيبي (له قول واحد) وكيرس الإسكندري (له قول واحد) ، وابفي (له قول واحد) ، وبطرس الذي من ذيوس (له قول واحد) ، وسارة (لها ثمانية أقوال) ، وإفخاريستوس الذي من العالم (له قول واحد) . ومن الأماكن البعيدة يتمثل مؤسّس صحراء فلسطين إيلاريون بقول واحد ، وفيلاغريوس بقول واحد ، وميليسيوس الذي من تخوم فارس بقولين .

أمّا الشخص الأخير الذي صاغ مجموعة الأقوال فاستأنس بمجموعات أخرى ذات محتوى مماثل قدمها شيوخ من خارج الاسقيط ومن خارج مصر ، وفيها تجسّدت أقوال معينة لشخصيات بارزة . وتغيب هذه الأقوال عموماً عن الترجمات

القديمة ، باستثناء بعض الحالات التي سنشير إليها . فاندراوس (له قول واحد) ، وآيو الطيبي (له قول واحد) ، وأموناثا (له قول واحد) ، وباسيليوس الكبير (له قول واحد) ، وبياري (له قول واحد نسبته الترجمة السريانية إلى ميسشيريو ، وتنسبه الترجمة الأرمنية إلى بيساريون) ، وغريغوريوس اللاهوتي (له قولان الأول موجود في الترجمة السريانية والترجمة اللاتينية الكبيرة) ويلاسيوس (له ستة أقوال، الأول منها موجود في كل الفروع اللاتينية) ، وأبيفانيوس القبرصي (له ١٧ قولاً ، واحدٌ منها موجود في اللاتينية الكبيرة ، واثنان في اللاتينية الصغيرة) ، وافرام (له ٣ أقوال) ، وافاغريوس (٧ أقوال ، واحد منها موجود في السريانية، وستة في اللاتينية الكبيرة)، وثيوذورس (٧ أقوال) ، وإيسيدورس بلوسيوتي (له ستة أقوال)، وإيسيدورس القسيس، الذي عرف من خلال معارضته لرئيس الأساقفة ثيوفيلوس (٧ أقوال)، وكسيانوس (٨ أقوال، اثنان منهما موجدان في الترجمة السريانية، واللاتينية الصغيرة دون ذكر اسم القائل، والستة الأخرى موجودة في اللاتينية الكبيرة، إلى جانب أقوال أخرى)، وكريوس البوليتيكوس (٣أقوال)، ونيلوس (١٠ أقوال ، واحد منها موجود في اللاتينية الكبيرة)، واسبيريدون (له قولان)، وسنكليتيكي (١٨ قولاً واحد منها في السريانية تحت اسم ايبرخيوس واثنان في اللاتينية الصغيرة، بدون اسم القائل، إنما القول الأول منسوب إلى أحد الشيوخ، وفي اللاتينية الكبيرة ١٥ قولاً)، وسايو (قول واحد)، وايبريخيوس (٨ أقوال ستة منها في السريانية، واثنان في اللاتينية الصغيرة)، وفوقا (قولان) وهو عاش في الاسقيط، لكن مجيئه حصل بعد مجمع خلكيدونية مما جعل أقواله تغيب عن مسرح الترجمات القديمة.

مُثل السيرة التوحدية

هذه الأقوال صدرت عن نساك لتقديم مُثل السيرة التوحدية. ومع أننا نجد أحياناً مقاطع تتعلق بالحياة المشتركة، فإن الثقل ليس هنا، إذ تُقدم الحياة الجماعية وكأنها في موضع أدنى . فالأب نيسثيروس يُقدَّم ، بشكل مزدوج ، كعائش في

الشركة وكمتوحد . ومن المؤكد أنه قد خرج من حياة الشركة إلى التوحد كدرجة للحياة أسمى . ومن الأحداث المميزة حادثة متوحد كان يزور ، على التوالي ، شيوخاً كباراً ذكر لهم فكرة الدخول إلى الحياة المشتركة وهذه كانت تراود ذهنه . بفنوتيوس نصحه بملازمة قلايته وبممارسة صلاة في الصباح وصلاة في المساء ، وأخرى في الليل ، وبالأكل عند الجوع ، وبالشرب عند العطش ، وبالنوم عند النعاس ، وبالبقاء في القفر . وهذا نفسه زار الأب يوحنا الذي قال له شيئاً مشابهاً ، وأخيراً أتى الأب أرسانيوس الذي قال له إن ليس عنده ما يضيفه إلى أقوال الآخرين (بمفنوتيوس ٥) .

كان لبيمين اخوة كثيرون بحسب الجسد ، وقد تقبّل اصحاباً كثيرين في دائرته ، إلا أنه لم يؤسّس حياة مشتركة لأنه كان يعتقد أنه يضع عوائق في طريق الكمال الخُلقي . وعندما سأله رئيس الدير كيف يقدر أن يقتني مخافة الله أجابه :

« كيف نقدر أن نقتني مخافة الله ونحن نملك في قلالينا براميل للجبن ، وأواني للأطعمة المجفّفة؟ » (بيمين ١٨١) .

حياة الراهب جهاد مستمر ، مسيرة وحرب . «أخ حورب بالوقيعة» ، « أخ حورب بالزنى» : هاتان العبارتان هما من العبارات النموذجية المألوفة جداً في الأقوال المأثورة . طبعاً ، فالحرب ربح وخسارة ، سقوط ونهوض بلا توقف . جاء راهب إلى الأب سيسوى وسأله حزيناً ، ماذا يعمل ذاك الذي سقط؟ فقال له: «إنهض ثانية» ، فتابع الراهب قائلاً: «نهضت، لكني سقطت ثانية» ، فقال له سيسوى: «إنهض من جديد» (سيسوى ٣٨) . هذه هي الحياة، وسعيدٌ ذاك الذي سيوجد بقوته في حالة القيامة .

الحرب يشنها الشيطان مع خدامه الذين هم رفقاء للنساك دائمون . هذا الحضور لا يثير ألماً واضطراباً عند الكاملين ، إنما يثير الحزن عند ذوي الخبرة القليلة . جاء أحد الشياطين إلى قلاية الأب ثيوذورس الفرمي (ثيوذوروس الفرمي ٢٧) ، فأمسكه الأب وربطه في الخارج ، ثم اقترب شيطان آخر فربطه إلى جانب رفيقه . بعد ذلك جاء ثالث وأراد أن يدخل عنوة ، فقاسى ما قاساه الآخران . عند

ذلك بدأت الشياطين الثلاثة تتضرع إليه لكي يطلقها، فحلّ رباطها وأطلقها، فغادرت خجلةً . كان الأب مكاريوس المصري (مكاريوس المصري ٣) يراقب الطريق فأدرك وجود شيطان يسير في الطريق ويحمل أواني كثيرة . ولما سأله عنها قال إنه ذاهب ليذكّر الاخوة بأن هذه الأواني مليئة بالأطعمة المتنوعة لهم ، حتى أن كلّ واحد يقدر أن يختار منها ما يحلو له . فلما رجع كان حزيناً لأن الاخوة ما أطاعوه باستثناء واحد اسمه ثيوبمبو الذي ، ما إن رآه ، حتى تحرك كالريح . فحسب مكاريوس أن من واجبه أن يزور هذا الأخير (ثيوبمبو) ، وهكذا قبل هذا نصائحه المناسبة ، حتى إن الشيطان عندما عاد ثانية من مسيرته المعتادة أخبره أن ثيوبمبو صار أكثر شراسة من الجميع ضده . هكذا يتصرف الكاملون تجاه الشياطين ، لأنهم اجتازوا مرحلة الحرب ، في حين أن الجدد يحارِبون باستمرار .

لكنهم يملكون القوة في أيديهم . فكل واحد منهم يملك في يسراه نار وفي يمناه ماء . فحالما يُشعل العدو النار يطفئها ذاك . طبعاً ، إن الشياطين الحاضرة في كل مكان هي أحياناً الأهواء مشخصنة . وليس دخولها أمراً ينبغي على الإنسان أن يتحاشاه ، لأن محاربتها تجعله أكثر امتحاناً واختباراً . يجب عليه أن يسمح للأهواء بالدخول ، لكن للحال ينبغي أن يحاربها ويخدّرها (يوسف بنفو ٣) .

هو قادر على ذلك بالصلاة ، والصوم ، والعمل ، والتوبة كذلك . وهذه الأخيرة (أي التوبة) تقتدر في فعلها بما لا حد له . الجميع يُشفون ويتعافون ، الزناة ، واللصوص ، والكذبة ، بل انهم يقبلونها فوراً . ساعة واحدة كانت كافية لنفس زانية حتى تقودها الملائكة إلى السماء على سلم نيّر (يوحنا الكولوفي ٤٠) . وفي تربية الفكر النسكي لا مكان للإنشغال بالمسائل العقدية التي، ليست عديمة النفع فحسب، بل تثير الشقاقات والأحقاد. لذلك، عندما دعي كوبريس ، ذات مرة ، إلى اجتماع للبحث في شخصية ملكيصادق ضرب فمه بيده ثلاث مرات مبكّتاً نفسه وقائلاً: «ويل لك يا كوبروس لأنك أهملت ما أوصاك الله بفعله ، وشرعت تبحث في أمور ما طلبها منك» (كوبري ٣) . وكانوا أيضاً يهربون من مناقشة مواضيع من الكتاب المقدس ، لئلا يؤول الجدل إلى انقسام في

الرأي . فالأب عمون النطروني ، عندما سأله شخص :«أيّ نوع من الكلام يستخدم عند الحاجة ، كلام الكتاب المقدس أم كلام الشيوخ ، أجاب أنه من الحسن أن يصمت، لكن إذا لم يقدر ، فمن المستحسن عندئذ الإحتكام إلى أقوال الشيوخ ، لا إلى كلمات الكتاب المقدس ، لأن الخطر ليس بقليل » (عمون ٢) . فالأب بيمين أشاح بوجهه عن ناسك غريب شهير أتى لزيارته ، عندما ابتدأ ذاك بالكلام من الكتاب المقدس ، وما أن سأله رأيه في الأهواء حتى أصبح غزير الكلام . فكان جواب ذاك الغريب : « في الحقيقة ، هذا هو الطريق الصحيح » (بيمين ٨) . الإيمان نفسه له في تفكيرهم مضمون خُلُقيّ واضح : « الإيمان هو العيش بتواضع ، وصنع الإحسان » (بيمين ٦٩) .

عمل الناسك متشعب ، إلا أن هدفه واحد وهو اقتناء الفضائل . فيوحنا الكولوفي يريد الناسك حائزاً الفضائل كلّها ، حتى لو حاز قليلاً من كلّ منها (يوحنا الكولوفي ٣٤) . فمن أجلها يستنفد قواه كلّها وعمله كلّه . بيمين يوضح هذا في الظاهر ، والخفاء ، والتمني . أمّا الظاهر فهو العمل اليدوي ، والطعام الاحادي ، والصمت والقراءة ، أمّا الخفاء فهو لوم الذات، أمّا التمني فهو الاشتراك في الاجتماعات الإفخاريستية ، والخبرات المستيكية (بيمين ١٦٨) .

العمل اليدوي هو الوسيلة التي يؤمّن بها النساك معيشتهم الفقيرة . الأب بيمين (بيمين ٨) كان فخوراً ، لأنه ، مذ صار راهباً حتى مماته ، ما أكل خبزاً لم يخرج من يديه . جميع النساك عاشوا من تعبهم ، ورأوا أن العيش على حساب الآخرين عار . لذلك مارسوا الخياطة والحياكة والحصاد . لم يقوموا بتنظيم مشاريع زراعية ،لأن ذلك يخلق مقتضيات هي من خاصة الملاّكين فقط . قال أحد الاخوة للأب بيمين إنه يزرع حقله ، ومن انتاجه يحسن ويتصدق ، فأجابه في البدء « حسناً تفعل » . ولكن ، عندما لفت أنوف أخوه انتباه بيمين ، غيّر موقفه وأضاف أنه كان يظن أن هذا العمل يقوم به أخوه الذي في العالم ، لكن إن كان هو نفسه يقوم بهذا العمل فهذا لا يليق براهب (بيمين ٢٢) ، لأنه يسهم في إثرائه .

إلا أن في الأمر ما هو أبعد من هذا . فالعمل اليدوي هو اهتمام يلجم

الأهواء . فكلما مارس الناسك العمل اليدوي بالصلاة ، لن تستطيع الأفكار الشريرة أن تسود ضميره .

ولا يحتاج المرء إلى أكثر من ضروريات الحياة . فعلى الناسك أن يلبس ثوباً من النوع الذي ، إن علقه خارج بابه ثلاثة أيام ، لن يأخذه أحد (بمفو ٦) .

الإقلال من الطعام كان أيضاً وسيلة لضبط الأهواء . وكان القانون أن يأكل الراهب وجبة طعام واحدة . كان النساك يشرعون في أعمالهم دون تناول الافطار . وكانوا يتوقفون عن العمل في الثالثة بعد الظهر أو في السادسة مساء ليأكلوا . ويُفهم أيضاً أنهم ما كانوا يجلسون عند المساء إلى موائد غنية . وكان طعامهم خبزاً وماء وملحاً .

أمّا في الأعياد والزيارات فكان الطعام يحوي الخضروات والأطعمة المجفّفة . وكان ثمة رهبان يأكلون مرة كل يومين ، وآخرون كل أربعة أيام ، إلا أن هذا يُحسب مغالاة غير طبيعية . ينبغي أن يكون الطعام عملاً ثانوياً لا عملاً رئيسياً ، ولكي يدافع الأب بيور عن هذا الرأي دفاعاً رمزياً كان يأكل وهو يمشي (بيور ٢) . لكن الطعام ضروري ، والآباء يحدّدون مقياس الطريقة العام وهو أن يأكلوا قليلاً كل يوم (بيمين ٣١) .

الفضيلة التي تقدر أن تقود بيسر وسهولة إلى الكمال الخُلُقي هي التواضع الذي يُدعى تاج الراهب (أور ٩) . يوحنا كولوفوس استطاع بتواضعه أن يعلّق الاسقيط كله في خِنْصره (يوحنا كولوفس ٣٦) . لأن الناسك يسحق ، بهذه الفضيلة ، مشيئته الذاتية ويلتزم مشيئة الله . والطاعة هي نتيجة التواضع ، لذا فمن الطبيعي أن يفتش الناسك عنها في شكلها المطلق ، حيث تنتفي الأنانية انتفاء كلياً . الجميع تعجبوا من مرقس تلميذ الأب سلوان لأنه بلغ قمة هذه الفضيلة . وذات مرة ، وعلى مرأى من الجميع ، أراه الأب سلوان خنزيراً برّياً لا قرون له ، وسأله : «أترى ، يا بني ، هذا العجل؟» . فكان الجواب : «نعم ، يا أبتِ» . «وهل ترى مقدار جمال القرنين؟» . فكان الجواب أيضاً : «نعم ، يا أبت» (مرقس

٢) . لكن كانت هناك طاعة معاكسة تمثل فضلاً كبيراً من خلال طاعة الأب لابنه الروحي . فالأب سيسوى سرد حادثة طريفة جرت له أثناء زيارته الأب أور وتلميذه آثرى . ولما رأى طاعة التلميذ سأله عن كيفية اقتنائها . فكان جوابه أن هذه الطاعة هي طاعة الشيخ الروحي وليست طاعته . وساق له هذه الحادثة : كان عنده سمكة صغيرة أراد أن يعدّها للشيخ ، فأنضج نصفها في المقلى وأتلف النصف الثاني . ومن ثم قدم للشيخ النصف المتلف قائلاً : « أليست السمكة حسنة ، أيها الشيخ ؟ » ، فأجاب ذاك : «إنها حسنة جداً » . وبعد ذلك قدم له القسم الذي أنضجه بشكل جيد وقال له : « لقد أتلفتها أيها الشيخ » ، فأجابه : « نعم لقد أتلفتها قليلاً » (بيستوس ١) .

كانت الدموع عنصراً هاماً في الجهاد عند آباء البرية . حتى أنها كانت أكثر من قطرات المطر ، ولذلك زرعوا بها القفار المجدبة . فهي وسيلة ضرورية للتطهر من الخطايا واقتناء الفضائل . فمن رام الفضائل اقتناها بالدموع (بيمين ١١٩) .

عندما رأى الأب إسحق ، مرة ، الأب بيمين في حالة الوجد الروحي سأله أين ذهبت ، فحصل على الجواب : «كان تفكيري في المكان الذي وقفت فيه والدة الإله تبكي قرب الصليب . هكذا أردت أن أبكي على الدوام » (بيمين ١٤٤) . لذلك ، يوصينا مكاريوس المصري أن نبكي وأن نذرف من مآقينا الدموع بغزارة ، قبل أن نرحل إلى هناك حيث تحرق الدموع أجسادنا (مكاريوس المصري ٣٤) . إن رموش جفون أرسانيوس تساقطت بسبب البكاء غير المنقطع (أرسانيوس ٤٢) . هذا البكاء هو من أجل تصرفنا السيّء ومن أجل طلب دالتنا المفقودة عند الله .

قال بيمين : «من يتكلم على الله يفعل حسناً ، ومن يصمت حباً بالله ، يفعل حسناً» (بيمين ١٥٠). وهكذا كان حب الشيوخ الآخرين مع الصمت فضيلة من الفضائل الكبرى وسلاحاً فعالاً للنصر في كل أمر (بيمين ٣٧). قال الأب أرسانيوس: «كثيراً ما ندمت، عندما تكلمت، لكني ما ندمت أبداً عندما صمتّ» (أرسانيوس ٤٠). ولكي يقتني الأب أغاثون الصمت أمضى ثلاث سنين وهو يضع حصوة في فمه (أغاثون ١٥).

كانت الصلاة هاجس النساك وشغلهم ، إلى جانب التأمل الداخلي ودراسة النصوص . وفضلاً عن الإشتراك الجماعي في القداس الإلهي نهار الأحد ، كانوا يقيمون الصلاة الخاصة ثلاث مرات في الصباح ، وفي المساء والليل ، وكذلك في الظروف الإستثنائية . لكنهم كانوا يرفضون عادات المساليانيين وينبذونها علانية . فلم يكن العمل عندهم عائقاً دون الصلاة ، كما زعم المساليانيون ، بل كانوا يتممونه بدقة . بالصلاة استطاع بعض الشيوخ الكبار أن يجترحوا الأعمال المذهلة ، بما في ذلك اقامة الأموات.

كان آباء البرية قساة على أنفسهم ، فعاشوا بصرامة ، وقادهم تواضعهم إلى لوم ذواتهم وازدراء نفوسهم بشكل متواصل . لما طلب بعض الولاة أن يروا الأب موسى ، سألوه هو نفسه كيف يقدرون أن يجدوه ، فقال لهم : «ماذا تريدون من هذا المجنون ؟» (موسى ٨) . بيد أنهم كانوا مترفقين بالآخرين . فالأب موسى ، عندما دُعي إلى اجتماع في الاسقيط للنظر في أمر أخ قد خطىء ، حمل على ظهره كيساً من الرمل مثقوباً . وكان يجيب الذين يسألونه بأن خطاياه تتساقط كالرمل وهو لا يراها ، لكنه يأتي اليوم ليحكم على خطايا الآخرين . أمّا الأخ المتَّهم فقد عُفيَ عنه دون نقاش (موسى ٢) .

وما يلفت الانتباه هو ترفقهم الشديد بالخطأة فعندما سُئل عن مدة التوبة أثناء اقتراف خطيئة هامة : هل تفرض عقوبة لمدة ثلاث سنين ؟ قال: هذا كثير . هل تفرض العقوبة لسنة واحدة ؟ هذا كثير . أربعين يوماً ؟ هذا كثير أيضاً . بضعة أيام تكفي . في الحقيقة ، لم تكن لرقتهم حدود حتى أن الأب بيمين قال إن تعليم القريب كتوبيخه (بيمين ١٥٧) . سئل هو نفسه إن كان ينبغي توبيخ الأخ إذا شوهد وهو يخطأ ، فأجاب أنه لو حدث أن اجتاز المكان ورآه يخطأ لتظاهر بأنه لا يراه ، أي لتجاوزه دون أن يوبخه (بيمين ١١٣) . إنه لن يوقظ الأخ إذا نام صدفة في السهرانية ، بل سيضع رأسه على ركبتيه ليريحه (بيمين ٩٢) . ذات مرة ، ضلّ من كان يرشد الراهب إلى الطريق وانحرف عنها ١٢ ميلاً ، فأدرك الاخوة الذين كانوا معه ما حصل ، لكنهم تابعوا السير معه ، دون أن يقولوا له شيئاً ، لكي لا يحزنوه ، إلى أن أدرك هو نفسه أنه قد ضل الطريق (سيسوى

٣٠) . النزعة الإنسانية (أنسيّة) في الصحراء كانت ، في مستواها ، أرفع منها في العالم .

شكل مجموعة الأقوال وقيمتها

وضعت هذه المجموعة في اللغة اليونانية ، لا في شكلها النهائي فقط ، بل في كل عناصرها أيضاً . (يشير بوسي Bousset إلى أنه من غير المحتمل أن تكون الأمور قد حصلت بخلاف هذا (فالظاهرة نفسها تحدث دائماً ، إذ أن اليونانيين هم الروّاد في خلق الأدب الذي لم تكن مهيئة لكتابته الأوساط الشرقية البسيطة التي انبثق عنها هذا التقليد)[١٦].

أمّا من جهة صيغتها الأصلية فالأمر يختلف ، لأن الشيوخ الذين كانوا من أصل هلّيني أو متهلنين لم يستطيعوا أن ينطقوا بأقوالهم سوى باليونانية . وقد أشرنا سابقاً إلى قول للأب بيمين القبطي حينما نطق فجأة باليونانية . هذا الحدث يشير ، بقوة ، إلى أن جامع الأقوال قصد أن المألوف هو أن يورد أقواله بالقبطية ، الأمر الذي ينطبق على جميع الشيوخ الأقباط ، إلا إذا وجد أناس يجهلون القبطية . وبما أن أقباط تلك الحقبة كانوا مزدوجي اللغة ، فلا يجوز الإفتراض أنه كان بينهم أناس لم يَستخدموا اليونانية أبداً .

بالطبع ، إن الجامع الأول لهذه الأقوال كان يأخذها من أفواه قائليها أو ممن ردّدها فيدّونها كما هي ، بالقبطية إنْ كانت كذلك وباليونانية إن كانت كذلك ، دون أن يغيرّ شكلها . هذه الأقوال ، في مجموعتها ، أصيلة تصور وضعاً حياتياً وذهنياً ، دون أية محاولة للتغيير أو أية صناعة أدبية ، باستثناء الأقوال التي أضيفت لاحقاً إليها من الكتب . هي إذن صورة فوتوغرافية عن الحياة في مجتمع القفر .

كانت هذه الأقوال جواباً على سؤال : « ماذا أعمل ؟ » أو جواباً على توسل : « قل لي كلمة لأخلص » ، أو كانت تأتي بعد هذه الفاتحة : «قال الأب

---

١٦ - Apopthegmata Patrum

فلان ». وحتى في الحالة الأخيرة كانت هذه الأقوال تجيب على تساؤلات مطروحة ، وقلما كانت تنبع من إرادة الشيوخ الذاتية . وقد يأخذ القول ، أحياناً ، شكل حوار قصير .

كلّ قول في حد ذاته نص صغير . وكان الآباء ضد الأقوال الطويلة ، لأجل هذا غاب عن المجموعة السرد الطويل والمواعظ الطويلة .

العناصر الأدبية التي نصادفها فيها هي الآتية :

١) **النادرة** : سرد قصير لحدث غير مهم ، إنما له معنى خاص . يوحنا الكولوفي (بيمين ١١) صنع خوصاً لسلتين ، إلا أنه صنع بها سلة واحدة ولم ينتبه إلاّ حينما وصل إلى النهاية ، لأنه كان مأخوذاً بمعاينة الله (الثوريا) . إن تلميذ الأب سيسوى (٤) دعاه قائلاً: «هلم لنأكل »، فسأله الأب: «ألم نأكل يا بني؟» أجابه: « كلا ». عندئذ قال له: «إن لم نأكل هات لنأكل ». بهذا المقدار كانت لامبالاتهم بالطعام المادي.

ب) **القول** : نسمع باستمرار عبارة « قل لي كلمة » . فتارة كانوا ينطقون بآيات الكتاب بدل أن ينطقوا بأقوالهم . وطوراً كانوا يتكلمون دون أن يسألوا . وبوجه عام ، كانت الأقوال قصيرة ، بل قصيرة جداً أحياناً . على سبيل المثال: « أصمت ، ولا تقم وزناً لنفسك ».

ج) **المثل** : خير نموذج له ما ينطق به علما ني أمام جماعة من الرهبان مع شرح له (بيمين ١٠٩) .

د) **الصورة الرمزية** : تظهر عادة من خلال المثل . الأب أشعياء أخذ وعاء وذهب إلى البيدر ليطلب قمحاً من الفلاّح . فسأله الفلاّح : «هل حصدت، أيها الأب؟»، أجابه« كلا »، قال : «إذن ، كيف تريد أن تأخذ قمحاً ما دمت لم تحصد ؟ ». فالقمح يجمعه من قدّم عملاً ، ويأخذ الأجرة من الله من عمل خُلُقيّاً .

هـ) **سرد المعجزات** : هناك عدد من هذا السرد كافٍ ، وهو دائماً موجز ومميّز .

و) **الرؤى** : تصف بعض رؤى الشيوخ الذين وصلوا إلى حالة الوجد والإختطاف .

أهمية هذه المجموعة لا تقدّر . وإذ كانت تُتناقل من لسان إلى لسان كانت تشكل صداقة بين المتوحدين والشيوخ : «قال الأب فلان إن الأب فلاناً زار الأب فلاناً» . والسامع يرافقهم عقلياً ويتعلم منهم . كانت الأقوال منتشرة في البرية بشكل واسع لتثقف الأخلاق وتربّي الشخصيات . فيما بعد صارت بأشكالها المتعددة فصولاً محبّبة للرهبان والعلمانيين . والحق يقال إنها ألماس حقيقي في الأدب المسيحي .

تحرير المجموعة

يقول المحرر الأخير لهذه المجموعة ، في مقدمته ، ان كثيرين من القدماء في أزمنة متعددة قدموا هذه الأقوال ومنجزات الشيوخ القديسين بشكل سردي بسيط وغير متقن ، لأنهم ابتغوا المنفعة المشتركة . لكن ، بما أن تقديمها كان مشوّشاً ودون ترتيب ولا منهجية ، فقد برزت مشكلة في استخدامها وحفظها غيباً . لذلك رتّب هذا المحرر الأقوال التي تحمل أسماء قائليها على نحو أبجدي ، ورتّب الأقوال التي تغفل أسماء قائليها في فصول مرتبة وفق المواضيع . وعلاوة على ذلك ، اختار مادة أخرى من بعض الكتب وأضافها ، في النهاية ، إلى الفصول .

« فكثيرون ، في أزمنة مختلفة ، عرضوا اتجاهات الشيوخ القديسين وانجازاتهم بشكل سردي ،وبكلام بسيط غير محكم الصنع . لأنهم كانوا يتطلعون إلى شيء واحد وهو منفعة الكثيرين . لكن سردها الغامض والمرتبك كان يخلق صعوبة لذهن القارىء ، إذ لم يستطع أن يحوي في الذاكرة الفكر المنتشر في الكتاب بأشكال متعددة . لذلك غيرّنا عرض العناصر لتكون ، بالترتيب والإيجاز ، واضحة وظاهرة وتقدم الفائدة لمن يريدها . فالأقوال التي نطق بها الآباء أنطونيوس وارسانيوس وأغاثون وكل الأسماء التي تبدأ بحرف الهمزة (أ) نضعها تحت الحرف (ا) وكل الأسماء التي تبدأ بالحرف باء ، مثل باسيليوس وبيساريون وبنيامين ،

نضعها تحت الحرف الأبجدي باء وهكذا حتى الياء . وبما أن هناك أقوالاً أخرى وأعمالاً أخرى للشيوخ القديسين لا تظهر فيها أسماء فاعليها وقائليها، فقد عرضناها بعد اكتمالها في فصول وفق مواضيعها . وبعد أن بحثنا في كتب كثيرة ودرسناها ، على مقدار ما وجدنا ، وضعناها في آخر الفصول » (المقدمة ٣ ـ ٤) .

وفقاً لذلك ، نجد أنفسنا أمام مجموعة جديدة من الأقوال تتألف من ثلاثة أجزاء :

ا) الأقوال التي رُتبت أسماء قائليها وفق الحروف الأبجدية .
ب) الأقوال التي تُغفل اسم قائليها والتي رتبت موضوعياً .
ج) إضافة مواد إلى أواخر الفصول من كتب أخرى .

إن تقليد النص اليوناني المنشور يحتفظ ، كما رأينا ، بالجزء الأول ، وبالجزئين الآخرين بشكل غير كامل . الجزء الثاني الذي عرفه فوتيوس يتمثل اليوم في اللغة اليونانية في مجموعات بعض المخطوطات التي ذكرناها سابقاً ، التي مادّتها غير مرتّبة وغير منظّمة . هذا الإختلاف في المادة حصل بسبب إضافات لاحقة . الجزء الثالث حوى مواداً مأخوذة من إبيفانيوس وإفاغريوس وكاسيان وإيسيدوروس وبيلوسيوتي ونيلس وفيوس عضو المجلس وآخرين غيرهم . لكن هذا الجزء مُدرج اليوم في الفرع الأبجدي ، ويظهر أن أحد الأشخاص نقل هذه المادة إلى الجزء الأول ، ما دامت تحمل أسماء قائليها .

على أساس ما قيل حتى الآن نستطيع أن نتتبع مراحل تأليف هذه المجموعة . طبعاً ، إن الشيوخ لم يدوّنوا ، للأسباب التي ذكرناها سابقاً ، ولأنهم آمنوا بأن كلمتهم الحية وتعاليمهم كانت كافية لتعليم النساك . لكن تلاميذهم دوّنوا . ونعرف أن مرقس تلميذ سلوان كان نساخاً (مرقس ١) . ولا نجد سبباً لنعتقد أنّ هذا كان استثناء وحيداً . في هذا الميدان كان تلاميذهم أكثر تأثيراً ، وهم يتمثلون بعدد كبير من الأقوال وذلك في الجيل الأول جيل مرقس المصري (٤١) وأنطونيوس (٣٨) وأور (١٥) ، وفي الجيل الثاني جيل ثيوذورس الفرمي (٢٩) وبامفو (١٤)، وفي الجيل الثالث جيل سيسوى (٥٢) وأرسانيوس (٤٤) وأغاثون

(٣٠) وموسى (١٨) ، وفي الجيل الرابع جيل بيمين (١٨٧) ويوحنا الكولفي (٤٠) .

هكذا نستطيع الزعم أنه ، بعد القرن الرابع بقليل ، ابتدأت بعض المجموعات بالإنتشار ، وكثرت مع مرور الوقت بإضافة أقوال أخرى لشيوخ صَدَف أن اكتسبوا مجموعات خاصة بهم . ومن حسن الحظ أن بعض هذه المجموعات قد اندمج . وأخيراً في منتصف القرن الخامس اندمجت مجموعات عديدة لتؤلف مجموعة واحدة ذات مادة غير منظمة . وإذا لاحظنا أن أغنى مجموعة هي مجموعة بيمين (١٨٧ قولاً) ، أي خمس المجموعات كلّها يمكننا أن نفترض بأن أحد تلاميذ بيمين اهتم بالتأليف والجمع .

تزايدت هذه المجموعات بإضافة أقوال جديدة إليها وانقسمت إلى عدة فروع يمكن أن نقتفي أثر ثلاثة منها في التقليد المخطوطي . والذين رتّبوها أدركوا الصعوبات التي تعاني منها مجموعة واحدة كبيرة غير منظمة على الإطلاق . لذلك اهتموا بترتيبها . واحدة من هذه المجموعات المنظمة موضوعياً تتمثل في الترجمتين اللاتينيتين الصغيرتين ، الأولى التي تغفل اسم مترجمها والثانية التي قام بها باسخاسيوس[١٧] . النوع الآخر المنظّم موضوعياً والأغنى من النوع السابق يتمثل في الترجمة السريانية .

النوع الثالث يتمثل ، أساساً ، في النص اليوناني المنشور[*] . وقد رأينا أنه يحوي ثلاثة أجزاء ، لكن الجزء الثالث اندمج في الجزء الأول ، في حين أن الجزء الثاني خضع للزيادة فخسر نسبياً شكله الموضوعي . هذا الجزء نشر جزئياً .

هناك من اشتغل بمادة النوع الثالث إذ فكّها ووضعها وفق مواضيعها في ٢١ فصلاً . هذه المجموعة الجديدة التي عرفها فوتيوس تتمثل في الترجمة اللاتينية الكبيرة لبلاجيوس ويوحنا ، وجزئياً في الترجمة الأرمنية . وبما أن هذه الترجمة عرفها بنديكت الذي أورد أقوال باستور (أي بيمين)[١٨] فيجب أن تكون قد صيغت قبل سنة ٥٣٠ التي دوّن فيها بنديكت عمله . وشكلها اليوناني ينبغي أن يكون قد نظم بعد السنة ٥٠٠ بقليل .

بنيوتيس خريستو

١٧ ـ Vitae Patrum III, VII .

١٨ ـ القول ١٩ لبيمين ، Regula 40 .

(*) الذي ننشر ترجمته العربية في هذا الكتاب (الناشر) .

القديس أنطونيوس الكبير

١ ـ عندما أقام الأب أنطونيـوس في البريـة ، صار في الضجر والفتور وظلمة الأفكار ، فكان يقول إلى الله : يا رب : أريد أن أخلص ، ولكن الأفكار لا تتركني . ماذا أعمل في حزني ؟ كيف أخلص ؟ وعندما نهض وتوجه إلى الخارج قليـلاً ، رأى رجلاً يشبهه جالسـاً يعمل . وينهض من عمله ليصلّي ويعود إلى الحياكة من جديد ، ومن ثم يعود فينهض للصلاة . هذا كان ملاك الرب الذي أُرسل لإصلاح أنطونيوس وحفظه . ثم سمع أنطونيوس المـلاك يقول : إعمل هكـذا فتخلص . ولمـا سمع هذا الكـلام ، امتلأ فرحاً وشجاعة ، ولما عمل هكذا خلص .

٢ ـ لما نظر الأب أنطونيوس في عمق أحكام الله ، سأل قائلاً : يا رب : كيف يموت البعض في سن مبكرة ، بينما يموت البعض الآخر في شيخوخة متناهية ؟ لمـاذا يفتقر البعض ويغتني البعض الآخر ؟ كيف يغتني الظالمـون ويفتقر الأبرار ؟ فجاءه صوت يقول : أنطونيوس ، انتبه أنت لنفسك ، لأن هذه أحكام الله ولا توافقك معرفتها .

٣ ـ سأل رجل القديس أنطونيـوس قائلاً : ماذا يجب عليّ أن أحفظ لكـي أرضي الله ؟ ولما أجاب الأب قال : احفظ ما أوصيك به . حيثما تذهب ليكـن الله نصب عينيك . ومهما فعلت ، لتكن لديك الشهادة من الأسفار المقدسـة . حيثما جلست ، لا تتحرك بسرعة . إحفظ هذه الثلاثة ، تخلص .

٤ ـ قال القديس أنطونيوس الكبير إلى القديس بيمن : هذا هو العمل العظيم أن يحمل الإنسان خطيئته ويضعها أمام الله منتظراً حتى نسمته الأخيرة [١] .

(١) بيمن هذا مختلف عن بيمن الذي يحتل القسم الأكبر من أقوال الآباء الشيوخ ، والمدة الزمنية بين الإثنين تكاد تناهز المئتي سنة .

٥ ـ هو نفسه قال : لا أحد يقدر أن يدخل ملكوت السموات بدون تجارب ، لأنه قال : إرفعْ التجارب فلا يخلص أحد .

٦ ـ سأل القديس بموا القديس أنطونيوس قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له الأب : لا تثق ببرك ولا تندم على أمر قد عبر . وأمسك بطنك ولسانك .

٧ ـ قال القديس أنطونيوس : رأيت كل فخاخ العدو ممدودةً على الأرض ، فقلت متنهداً : ترى من ينجو منها ؟ فسمعت للحال صوتاً يقول : التواضع .

٨ ـ قال أيضاً : ثمة أناس أفنوا أجسادهم بالنسك ، لكنهم ظلوا بعيدين عن الله كونهم لم يقتنوا فضيلة التمييز .

٩ ـ قال أيضاً : الموت والحياة يعتمدان على القريب . لأننا إذا ربحنا أخانا ، فإننا نربح الله ، وإذا ما أعثرنا أخانا ، نخطأ إلى المسيح .

١٠ ـ قال أيضاً : كما أن السمكة إذا بقيت مدة على اليابسة تموت ، هكذا الرهبان ؛ إذا ما تأخروا خارج قلاليهم ، أو مكثوا زماناً مع أهل العالم ، فإنهم يبددون قوة السكينة . ينبغي علينا إذن أن نسرع إلى قلالينا كما يسرع السمك إلى الماء ، لأننا ، إذا ما تأخرنا عنها ، ننسى السجن الداخلي .

١١ ـ وقال أيضاً : إن من يقيم في البرية ويمارس حياة السكينة ينعتق من حروب ثلاث : السمع ، والكلام ، والنظر ، وتبقى عليه حرب واحدة هي حرب الزنى .

١٢ ـ زار بعض الإخوة القديس أنطونيوس ليعلموه بالخيالات التي كانوا يرونها ، وليفهموا منه ما إذا كانت حقيقية أو شيطانية . وكان عندهم حمار قد مات في الطريق . هؤلاء لما وصلوا إلى الأب ، سبقهم وقال : كيف مات حماركم الصغير ؟ قالوا له : وكيف علمت بموته يا أبانا ؟ أجاب : الشياطين أظهرت لي ذلك . قالوا له : نحن لهذا أتينا إليك لنسألك ، لأننا نرى خيالات كثيراً ما

تصبح حقيقية . ترى هل نحن مخدوعون ؟ أجابهم القديس من مَثَل الحمار : أقول إن هذه الرؤى شيطانية .

١٣ ـ كان إنسان يصطاد في البرية وحوشاً مفترسة ، فرأى الأب أنطونيوس يمازح بلطافة بعض الإخوة ، فأعثر . أمّا الأب فأراد أن يؤكد له أنه ينبغي علينا أن نتنازل بين الفينة والأخرى أمام الأخوة ، فقال له : ضع سهماً في قوسك واشدده ، فشده . فقال له ثانية : شدّه أيضاً بقوة . ثم قال له ثالثة : شدّه أيضاً . فقال الصياد : إذا شددته فوق القياس ينكسر . قال له الأب : هكذا الحال تماماً في عمل الله ، إذا ما شددنا على الإخوة فوق القياس ينكسرون بسرعة . إذن ينبغي علينا أن نتنازل لهم بين الحين والآخر . فلما سمع الصياد هذا الكلام ، غادر منتفعاً منه جداً . والإخوة أيضاً مضوا إلى أماكنهم بعد أن تشددوا .

١٤ ـ سمع الأب أنطونيوس عن راهب شاب أنّه قد صنع آية في الطريق وهي التالية : عندما رأى هذا الراهب الشاب بعض الآباء يسيرون في الطريق متعبين ، أمر الحمير الوحشية أن تأتي إليه وتنقلهم إلى حيث يقيم أنطونيوس . فأذعنت له . ولما وصل هؤلاء إلى القديس أنطونيوس ، أخبروه بما جرى لهم ، فقال : يبدو لي أن هذا الراهب يشبه سفينة محملة بالخيرات ولا أعرف ما إذا كانت ستصل إلى المرفأ أم لا . وبعد مدة من الزمن ، بدأ القديس أنطونيوس يبكي فجأة وينتحب . فقال له تلاميذه : لماذا تبكي يا أبانا ؟ قال لهم : عمود كبير في الكنيسة قد سقط الآن (وكان يقصد الراهب الشاب) . لكن اذهبوا إليه وشاهدوا الحدث . ولما ذهب التلاميذ إلى حيث يقيم هذا الراهب الشاب ، وجدوه جالساً على حصيرته يبكي الخطيئة التي فعلها . هذا لما رأى تلاميذ أنطونيوس قال : قولوا للأب أن يتضرع إلى اللّه كيما يمنحني عشرة أيام فقط ، وأرجوّ أن أتبرر . وبعد خمسة أيام رقد .

١٥ ـ امتدح بعض الإخوة راهباً في حضرة الأب أنطونيوس . وحدث أن زار هذا الراهب القديس أنطونيوس ، فرغب الأب أن يجربه ليرى ما إذا كان يحتمل

الاهانة . ولما وجد أنه لم يحتمل ، قال له : أنت تشبه قرية تبدو جميلة ومزيّنة من الأمام ، لكن اللصوص يسلبونها من الخلف .

١٦ ـ قال أخ للأب أنطونيوس : يا أبت ، صلِّ لأجلي . قال له الأب : لا أنا أرحمك ، ولا الله ، إذا كنت أنت نفسك لا تسرع لتطلب هذا منه .

١٧ ـ زار بعض الآباء الأب أنطونيوس وكان معهم الأب يوسف . فأراد الأب أنطونيوس أن يجربهم ، فأخذ آية من الكتاب المقدس وبدأ يسألهم من صغيرهم الى كبيرهم عن معنى هذه الآية . وكان كل واحد يجيب على قدر طاقته . أمّا هو فكان يقول لكل واحد : لم تجده بعد . وفي النهاية قال للأب يوسف : برأيك أنت ما معنى هذه الآية يا يوسف ؟ أجاب يوسف : لا أعرف . فقال القديس أنطونيوس : في الحقيقة ، لقد وجد الأب يوسف الطريق لأنه قال : « لا أعرف » .

١٨ ـ زار بعض الإخوة من الاسقيط الأب أنطونيوس . هؤلاء لما ركبوا السفينة للذهاب إليه ، وجدوا على متنها أباً يريد أن يتوجه إلى المكان نفسه . أمّا الإخوة فلم يكونوا يعرفون الأب . وبينما كانوا في السفينة ، أخذوا يتحدثون بكلمات الآباء والكتاب المقدس وبعمل أيديهم أيضاً . أمّا هو فكان صامتاً . ولما وصلوا إلى الضفة الثانية ، وجدوا أن الأب هذا كان متوجهاً إلى الأب أنطونيوس . فلما أتوا إليه ، قال لهم : ما أجمل مصاحبتكم لهذا الأب ! ثم قال له : لقد وجدت بالفعل إخوة طيبين يا أبتي . أجاب الأب الضيف : حقاً انهم طيبون ، الا ان ساحتهم ليس لها باب ، حتى ان كل من يريد ، يدخل الاسطبل ويحل الحمار ويمضي به . هذا كان يقوله لأنهم كانوا يتكلمون بكل ما يأتي على فمهم .

١٩ ـ زار بعض الإخوة القديس أنطونيوس وقالوا له : قل لنا كلمة ، كيف نخلص ؟ قال لهم : هل سمعتم الكتاب المقدس ؟ انه يكفيكم . قالوا له : ولكن نريد أن نسمع منك أيضاً يا أبانا . أجابهم : يقول الكتاب : « من لطمك على خدك الأيمن ، حوِّل له الأيسر » . قالوا له : لا نقدر على فعل هذا

يا أبانا . قال لهم : إذا لم تقدروا أن تحوّلوا الخد الآخر ، ينبغي على الأقل أن تحتملوا اللطمة الأولى . قالوا له : ولا هذا نقدر عليه يا أبانا . قال لهم : إذا كنتم لا تقدرون على فعل هذا أيضاً ، لا تقابلوا اللطمة بأخرى . قالوا : ولا هذا نقدر عليه أيضاً . فقال لتلميذه : اعمل لهم طعاماً لأنهم مرضى ، ثم قال لهم : إذا كنتم على هذا لا تقدرون وذاك لا تريدون ، ماذا أعمل أنا لكم ؟ أنتم بحاجة إلى صلاة .

٢٠ ـ ترك أحد الاخوة العالم ووزّع ثروته على الفقراء محتفظاً بالقليل لنفسه . هذا زار القديس أنطونيوس . وبعد أن علم الأب بأمره ، قال له : إذا أردت أن تصير راهباً ، اذهب إلى القلاية الفلانية ، واشتر لحماً وضعه حول جسدك العاري وبعد ذلك تعال إليّ إلى ههنا . وعندما فعل كما أمره الأب ، هاجمته الكلاب والطيور الجارحة ومزقت جسده . وعندما عاد إلى الأب ، سأله إذا عمل بنصيحته . فأراه الأخ الجسد الممزق . فقال له القديس أنطونيوس : إن الذين مقتوا العالم وأرادوا أن يقتنوا المال ، هكذا تقطّعهم الشياطين التي تحاربهم .

٢١ ـ سقط أخ كان يعيش في دير الأب إيليا ، في تجربة . هذا لما طُرد من الشركة ، ذهب إلى الجبل إلى الأب أنطونيوس وأقام معه ردحاً من الزمن . ثم عاد أنطونيوس وأرسله من جديد إلى ديره الذي طُرد منه . فلما رآه أهل الدير ، للحال طردوه من جديد . فعاد الأخ إلى الأب أنطونيوس قائلاً : لم يرغبوا في قبولي يا أبتِ . فعاد القديس وأرسله إلى ديره من جديد قائلاً : سفينة محملة تكسرت في عرض البحر وفقدت حمولتها وبالجهد بلغت إلى الشاطىء . وأنتم الآن تريدون أن تغرقوا الأخ الذي نهض وقصد البر من جديد . فلما سمع أهل الدير أن أنطونيوس هو الذي أرسله ، قبلوه للحال .

٢٢ ـ قال القديس أنطونيوس : أعتقد أن للجسد حركة طبيعية فطرية فيه . إلا أن هذه الحركة لا تعمل بدون إرادة النفس . إنما تظهر في الجسد كحركة جامدة . كذلك ثمة حركة أخرى مصدرها التغذية والعناية بالجسد بالأكل والشرب

والتي منها حرارة الدم تنهض الجسد وتحركه . لأجل هذا كان الرسول يقول : « لا تسكروا بالخمر الذي يثير الفسق » (أفسس ٥ : ١٨) . كذلك قال الرب في الإنجيل مخاطباً تلاميذه : « احترزوا أن تصير قلوبكم مثقلة بالخمر والعهر » (لوقا ٢١ : ٣٤) . كذلك هناك حركة أخرى عند المجاهدين تثيرها الشياطين بالحيلة والجسد . لذا ينبغي أن نعرف أن الحركات الجسدية ثلاث : واحدة طبيعية ، وأخرى من كثرة المآكل ، وثالثة من الشياطين .

٢٣ ـ قال أيضاً : الله لا يترك الحروب تعمل في هذا الجيل كما كانت تعمل في الأجيال السالفة ، لأنه يعرف أن الناس الآن هم مرضى ولا يحتملون .

٢٤ ـ أُعلن للقديس أنطونيوس في البرية أن هناك في المدينة انساناً يشبهك ، طبيباً في العلم ، ويعيش مقدّماً ما يفضل عنه للفقراء والمحتاجين . وكل يوم ، يرتل التريصاجيون[١] مع الملائكة .

٢٥ ـ قال الأب أنطونيوس : سيأتي وقت يصير فيه البشر مجانين ، وعندما يرون انساناً عاقلاً ، سينهضون عليه قائلين : أنت مجنون . والسبب ، كونه يختلف عنهم .

٢٦ ـ زار بعض الإخوة الأب أنطونيوس وسألوه عن آية من سفر اللاويين . فخرج الأب أنطونيوس إلى البرية وتبعه الأب أمون خفية عارفاً عادته . ولما ابتعد أنطونيوس عن المكان كثيراً ، وقف للصلاة وصرخ بصوت عظيم : يا رب ، أرسل موسى يعلمني هذه الآية . فجاءه صوت كان يكلمه ، ثم قال الأب أمون : لقد سمعت الصوت يكلمه ، الا أني لم أدرك قوة الكلمة .

٢٧ ـ اعتاد ثلاثة من الآباء أن يذهبوا كل سنة إلى المغبوط أنطونيوس ، فكان اثنان منهم يسألانه عن الأفكار وخلاص النفس ، أمّا الثالث فكان يصمت ولا يقول شيئاً ، وبعد زمان طويل قال له الأب أنطونيوس : لك زمان تزورني دون أن تسألني شيئاً . أجاب ذلك الأب : يكفيني أن أراك يا أبتِ .

٢٨ ـ قالوا إن أحد الآباء طلب من الله أن يعاين الآباء القديسين . فرآهم دون أن

---

(١) التريصاجيون تعني ترنيمة « قدوس الله ، قدوس القوي ، قدوس الذي . . . » .

يرى الأب أنطونيوس . فقال للذي أراه إياهم : وأين الأب أنطونيوس ؟ قال ذاك : إنه في المكان الذي يقيم فيه الله .

٢٩ ـ اتُّهم أخ كان يعيش في الدير ، بالزنى . فقام وجاء إلى الأب أنطونيوس . كما جاء الإخوة من الدير ليصلحوه ويعودوا به إلى حيث كان . وبدأوا يقولون له : هكذا فعلت . أمّا هو فكان يجيب : إني لم أفعل شيئاً كهذا . وحدث أن كان هناك الأب بفنوتيوس الكِفَلاس[1] ، وقال هذا المثل : رأيت على ضفة النهر إنساناً غاطساً في الوحل حتى ركبتيه ، وحيثما أتى أناس ليمدوا له يد العون ، أغرقوه حتى رقبته . فقال لهم القديس أنطونيوس عن الأب بفنوتيوس : هذا هو الانسان الحقيقي القادر أن يشفي النفوس ويخلصها . فتأثّر الإخوة بكلام الناسكَيْن وسجدوا أمام الأخ تائبين . وبعد الصلاة عاد الجميع أدراجهم إلى الدير .

٣٠ ـ قال البعض عن الأب أنطونيوس انه صار حاملاً الروح القدس ، ولم يُرد أن يتكلم بسبب الناس ، لأنه كان يكشف ما يحدث في العالم ، وما سيحدث في المستقبل .

٣١ ـ تسلّم القديس أنطونيوس رسائل من الملك قسطنطين يدعوه فيها لزيارته في القسطنطينية . ففكر القديس فيما يجب أن يعمل . ثم سأل تلميذه القديس بولس قائلاً : هل يجب أن أذهب ؟ أجابه التلميذ : إذا ذهبت ، يقولون لك أنطونيوس ، أمّا إذا بقيت فيقولون الأب أنطونيوس .

٣٢ ـ قال القديس أنطونيوس : أنا لا أخاف الله أبداً إنما أحبه ، « لأن المحبة تطرد الخوف خارجاً » (١ يوحنا ٤ : ١٨) .

٣٣ ـ قال هو نفسه : ضع مخافة اللّه نصب عينيك دائماً . وتذكّر هذا الذي يُميت ويُحيي (١ مل ١١ : ٦) . امقتوا العالم وكل ما فيه . امقتوا كل راحة جسدية . ارفضوا هذه الحياة لتحبوا اللّه . تذكّروا وعدكم له . إذ أن هذا ما يطلبه منكم يوم الدينونة . جوعوا واعطشوا وتعرّوا واسهروا ونوحوا وابكوا

---

(١) KEFALAS

وتنهدوا من كل قلوبكم . اختبروا ما إذا كنتم أهلاً له . احتقروا الجسد كيما تخلِّصوا نفوسكم .

٣٤ ـ زار ، ذات يوم ، الأب أنطونيوس الأب أمون في جبل النطرون ، ولما تقابلا قال الأب أمون : بصلواتك كثر عدد الإخوة . حتى أن البعض منهم يريدون أن ينصبوا قلالي بعيدة يعيشون فيها حياة السكينة . فكم هي المسافة بنظرك التي ينبغي أن تفصلهم عن قلالينا التي هنا ؟ قال الأب أنطونيوس : سنأكل في الثالثة بعد الظهر (الساعة التاسعة كنسياً) ، ثم نخرج ونطوف البرية ونفحص المكان . وهكذا طافا البرية حتى غروب الشمس ، عندئذ قال الأب أنطونيوس : لنصلِّ وننصب الصليب ههنا ليبني الإخوة قلاليهم . حتى إن الذين يقيمون هناك ، عندما يزورون الذين هنا ، يأكلون خبزهم في التاسعة ، والذين هنا عندما يزورون الذين هناك ، يعملون الشيء نفسه . وهكذا يظلون غير شاردي الذهن ابان الزيارات المتبادلة . وهكذا تكون المسافة اثني عشر ميلا .

٣٥ ـ قال القديس أنطونيوس : إن من يضرب كتلة الحديد ، يفكر أولا في نفسه ماذا ينوي أن يصنع منها . هل يريد منجلاً أو فأساً؟ هكذا ينبغي أن نفكر نحن أيضاً أية فضيلة ننشد ، لئلا نتعب عبثاً .

٣٦ ـ قال أيضاً : الطاعة مع الامساك تخضع الوحوش .

٣٧ ـ وقال أيضاً : أعرف رهباناً قد سقطوا بعد أتعاب كثيرة وتشوَّش فكرهم ، لأنهم ألقوا رجاءهم على أعمالهم واحتقروا وصية القائل : «إسأل اباك فيقول لك » (تثنية ٣٢ : ٧) .

٣٨ ـ وقال أيضاً : إذا كان ممكناً ، فليكشف الراهب للآباء كل خطواته وكل قطرات الماء التي يشربها في قلايته ، لكي يتأكد من أنه لا يخطأ .

القديس أرسانيوس

١ ـ عندما كان الأب أرسانيوس في البلاط ، كان يصلي إلى الله قائلاً : يا رب ، عرّفني كيف أخلص . فجاءه صوت يقول : أرسانيوس أرسانيوس ، اهرب من الناس تخلص .

٢ ـ عندما انقطع أرسانيوس إلى حياة التوحد ، صلّى الكلام نفسه ، فسمع صوتاً يقول له : أرسانيوس ، اهرب واصمت واهدأ ، لأن هذه هي جذور عدم الخطيئة .

٣ ـ اقتربت الشياطين من صومعة الأب أرسانيوس ذات يوم لكي تحزنه ولما جاء الذين يخدمونه ووقفوا أمام باب قلايته ، سمعوه يصرخ إلى الله قائلاً : يا إلهي ، لا تتركني لوحدي لأني لم أعمل الصلاح أمامك . لكن بصلاحك ومحبتك أعطني أن أبدأ من جديد .

٤ ـ قالوا عنه إنه كما لم يلبس أحد في البلاط لباساً كلباسه ، هكذا في الكنيسة ، لم يلبس أحد لباساً أفقر من لباسه .

٥ ـ قال أحدهم للأب أرسانيوس : كيف أننا ، بالرغم من كل هذه التربية والحكمة ، لا نملك شيئاً صالحاً ، في حين أن المصريين القرويين قد اقتنوا فضائل كثيرة ؟ أجاب الأب القديس : نحن لا نملك شيئاً من تربية العالم ، أمّا هؤلاء المصريون فقد اقتنوا الفضائل بأتعابهم .

٦ ـ عندما كان الأب أرسانيوس يسأل شيخاً مصرياً عن أفكاره الخاصة ، قال له ، وآخر كان قد رآه : يا أبانا أرسانيوس ، كيف أنك وأنت تتقن العلم اليوناني والروماني تسأل هذا الفلاح المصري عن أفكارك ؟ أجاب الأب القديس :

إنني أتقن التربية اليونانية والرومانية ، لكني لم أتعلم الأبجدية البدويّة التي يعرفها هذا المصري .

٧ ـ زار ذات يوم رئيس الاساقفة المغبوط ثيوفيلس ، يرافقه أحد الحكـام ، الأب أرسانيوس وطلب منه أن يُسمعه كلمة . فأجابه أرسانيوس ، بعد أن صمت قليلاً : حتى ولو قلت لكما كلمة ، هل تحفظانها ؟ فوافق الاثنان على حفظها . فقال الأب : حيثما تسمعان بأرسانيوس لا تقتربا .

٨ ـ ذات يوم ، أراد رئيس الأساقفة أن يزور أرسانيوس ، فأرسل يستعلم إذا كان يفتح قلايته ، فأوضح له الأب قائلاً له : إذا أتيتَ ، سأفتح لك ، وإذا فتحت لك ، سأفتح للجميع عندئذ لن أقيم حيث أنا . فلما سمع رئيس الأساقفة هذا الكلام ، قال : إذا كان ذهابي إليه سيرغمه على الهرب ، لن أذهب اليه أبداً .

٩ ـ سأل أخ الأب أرسانيوس ليسمع منه كلمة . فقال له الأب : جاهد بكل قوتك لكي يكون عملك الداخلي وفقاً لارادة الله ، فتغلب الأهواء الخارجية .

١٠ ـ قال أيضاً : إذا طلبنا الله ، يظهر لنا ، وإذا تمسكنا به ، يقيم فينا .

١١ ـ قال أحد الإخوة للأب أرسانيوس : إن أفكاري تزعجني قائلة : ظالما انك لا تقدر أن تصوم ولا أن تعمل ، على الأقل اذهب لزيارة المرضى ، لأن زيارتهم محبة .

أمّا الأب ، فلما عرف البذار الشيطانية ، قال له : اذهب ، كل ، إشرب ، ونم ، ولا تعمل ، فقط لا تبارح قلايتك . هذا الكلام قاله لأنه كان يعرف أن صبر القلاية يعيد الراهب إلى الصراط المستقيم .

١٢ ـ كان الأب أرسانيوس يقول : عندما يكون الراهب في بلد غريب ، لا يجوز له أن يتدخل في أي من الأمور ، وهكذا يجد راحة .

١٣ ـ قال الأب مرقس للأب أرسانيوس : لماذا تتحاشانا يا أبـتِ ؟ أجابـه الأب

قائلا : يعلم الله اني احبكم ، إلا أني لا أقدر أن أكون مع الله ومع الناس . فالقوات السماوية وآلاف الطغمات العلوية عندها إرادة واحدة ، أمّا البشر فإراداتهم كثيرة . لهذا لا أستطيع أن أترك الله وأكون مع الناس .

١٤ ـ كان الأب دانيال يقول عن الأب أرسانيوس إنه كان يسهر الليل كله وعندما كان يخلد إلى النوم عند الصباح ، بسبب الحاجة البشرية ، كان يقول في نومه : هلمَّ أيها العبد الشرير . فكان يأخذه النعاس قليلا ، ثم ينهض للحال .

١٥ ـ كان الأب أرسانيوس يقول : يكفي الراهب أن ينام ساعة واحدة فقط اذا كان مجاهداً .

١٦ ـ قال الآباء إن بعضاً من تين مجفف قُدّم إلى الاسقيط ذات يوم . فلم يرسل الإخوة منها إلى الأب أرسانيوس لئلا يهينوه . لكنه لما علم بما حدث ، لم يذهب إلى الإجتماع قائلاً : أنتم فصلتموني عنكم عندما لم تقدموا إليّ البركة التي أرسلها الله إلى الإخوة والتي لم أكن مستحقاً أن أقبلها . فسمع الجميع كلامه وانتفعوا من تواضعه . عندئذ نهض الكاهن وقدّم له من التين . وبعد ذلك مضى الإثنان إلى اجتماع الإخوة فرحين[1] .

١٧ ـ قال الأب دانيال عن أرسانيوس إنه عاش معنا سنوات كثيرة ، فجعلنا له سلة قمح واحدة في السنة . وعندما كنّا نزوره ، كنّا نأكل من هذه المؤونة نحن أيضاً .

١٨ ـ قال الأب دانيال عن الأب أرسانيوس إنه لم يكن يغيّر ماء الخوص إلاّ مرة واحدة في السنة ، إذ كان يضيف إليها فقط . وكان يحيك السلال حتى الظهر . فتوسّل إليه الآباء قائلين : لماذا لا تغيّر ماء الأغصان الذي قد أنتن ؟ قال لهم : بدل المسك والعطور التي تنشقتها في العالم ، ينبغي لي أن أتنشق هذه الرائحة .

١٩ ـ قيل عنه أيضاً إنه حينما سمع أن كل أجناس الثمار قد أينعت ، أخذ يقول في

---

(١) من الواضح أن التين كان عفناً . هكذا يفسر إصرار أرسانيوس على الأخذ منه .

نفسه : أحضروا لي . فكان يذوق قليلا من كل نوع ، مرة واحدة فقط ، ويشكر الله .

٢٠ ـ مرض ذات يوم الأب أرسانيوس في الأسقيط ، وكان في عوز ، اذ لم يكن عنده ما يبتاع به حاجياته ، فأخذ من أحدهم حسنة وقال : أشكرك ربي ، لأنك أهلتني أن آخذ حسنة من أجل اسمك .

٢١ ـ قالوا عنه إن قلايته كانت على بعد اثنين وثلاثين ميلا . ولم يكن يخرج منها بسهولة ، لأن كثيرين كانوا يخدمونه . ولكن عندما هُجر الاسقيط ، خرج من القلاية يبكي ويقول : العالم خسر روما والرهبان خسروا الاسقيط[١] .

٢٢ ـ سأل الأب مرقس الأب أرسانيوس قائلا : هل يحسن ألاّ يجد الراهب في قلايته تعزية ؟ لأني رأيت عند بعض الإخوة خضاراً مقتلعة . أجابه الأب أرسانيوس : طبعاً يحسن هذا الأمر ، ولكن هذا يعتمد على ما اعتاده المرء . لأنه إذا لم يكن قوياً في حياة كهذه ، فإنه سيزرع من جديد أموراً أخرى .

٢٣ ـ أخبرنا الأب دانيال تلميذ الأب أرسانيوس قائلا : كنت قرب الأب إسكندر فألمّ به وجع شديد جعله يستلقي على ظهره وهو ينظر إلى العلاء . وحدث أن جاء المغبوط أرسانيوس ليكلمه ، فرآه مستلقياً . ولما كلمه قال : من كان هذا الدنيوي الذي رأيته هنا ؟ قال الأب إسكندر : وأين رأيته ؟ قال : لما كنت نازلاً من الجبل التفتّ إلى المغارة فرأيت إنساناً ممدوداً ينظر إلى العلاء . فسجد لي قائلاً : سامحني يا أبتِ ، أنا هو من رأيت ، إذ إن ألماً حاداً أمسكني ، فاستلقيت . فقال له الأب : إذن أنت كنت ذلك الإنسان ؟ حسناً إنني ظننت أن المستلقي هو إنسان دنيوي ، لهذا سألتك[٢] .

٢٤ ـ في أحد الأيام قال الأب أرسانيوس للأب إسكندر : عندما تنتهي من قطع الخوص ، تعال لتأكل معي . وإذا جاءني غرباء كلْ معهم . وكان الأب

---

(١) الاسقيط هُجر لمدة من الزمن بعد سنة ٤١٠ م وذلك عندما دُمرت روما على يد الفندال .

(٢) إن الوضع الجسدي هذا غير مقبول رهبانياً ، إلا أن أرسانيوس أبدى هذه الملاحظة بلطف وأدب .

إسكندر يعمل بانتظام واعتدال ، فلما حان وقت الطعام ولم يكن قد انتهى من الخوص بعد ، وبما أنه أراد أن يحفظ كلمة الأب أرسانيوس ، انتظر حتى ينتهي من عمله . وهنا لما رأى الأب أرسانيوس أن الأب اسكندر قد تأخر ، قام إلى طعامه ظاناً أنه قد انشغل ببعض الغرباء . أمّا ذاك فلما انتهى من عمله عند المساء ، قام وذهب إلى الأب أرسانيوس . فقال له الأب : ولماذا لم تأتِ ؟ قال الأب اسكندر: لأنك قلت لي أن آتي إليك حال انتهائي من الخوص ، فحفظت كلامك ولم آتِ إلاّ بعد الإنتهاء من عمل الخوص . وها قد أتيتك الآن بعد إتمام عملي . فتعجب أرسانيوس من دقته وقال له : حُلَّ صومك اليومي في وقت أبكر لكي تتلو صلاتك وتشرب ماءك وإلاّ فإن المرض سيدب إلى جسدك سريعاً .

٢٥ ـ زار الأب أرسانيوس في أحد الأيام مكاناً فيه قصب قد حركته الريح . فقال للإخوة الذين كانوا معه : ما هذا الإهتزاز ؟ قالوا له : إنه القصب . فقال لهم : في الحقيقة إذا أقام الإنسان في السكينة وسمع صوت عصفور لا يكون في قلبه الهدوء نفسه . فكم بالحري حالكم أنتم الذين عندكم اهتزاز القصب هذا .

٢٦ ـ قال الأب دانيال إن بعض الإخوة أرادوا الذهاب إلى الطيبة لشراء الكتان ، فقالوا : بالمناسبة ، دعونا نَرَ الأب أرسانيوس . فدخل الأب اسكندر إلى قلايته وقال له : هناك بعض الإخوة من الإسكندرية جاؤوا إلى هنا لرؤيتك . فقال الأب أرسانيوس : إسألهم عن سبب مجيئهم . ولما علم أنهم كانوا مجتازين إلى الطيبة لشراء الكتان ، قال للأب اسكندر : إنه لمن الطبيعي أن لا يروا وجه أرسانيوس ، لأنهم لم يأتوا من أجلي إنما من أجل أعمالهم . أرحْهم قليلا ، ثم أطلقهم بسلام قائلا لهم : إن الشيخ لا يستطيع أن يقابلكم .

٢٧ ـ ذهب أحد الإخوة الى قلاية الأب أرسانيوس في الأسقيط وتطلع من باب القلاية فرأى الشيخ كالنار . وكان مستحقاً أن يراه . ولما قرع الباب ، خرج

الأب أرسانيوس فرآه مندهشاً فقال له : هل لك زمان وأنت تقرع بابي ؟ هل رأيت شيئاً هنا ؟ فقال الأخ : لا . ولما كلّمه ، أطلقه بسلام .

٢٨ ـ وفي أحد الأيام ، بينما كان الأب أرسانيوس جالساً في كانوبوس[١] ، جاءته شابة من النبيلات غنية جداً وتخاف الله ، فاستقبلها رئيس الأساقفة ثيوفيلس . فرجته أن يقنع أرسانيوس بأن يستقبلها . فلما دخل على الأب أرسانيوس ، رجاه قائلا له : الشابة الفلانية جاءت من روما وتريد أن تراك ، أمّا هو فرفض أن يستقبلها . ولما أبلغوها هذا ، أمرت أن يحلّوا الخيل قائلة : أقسم بالله أني سأراه . فأنا لم آتِ لأرى إنساناً ، بل نبياً . ولما وصلت إلى جوار قلايته ، حدث بتدبير إلهي أن كان الأب أرسانيوس خارجاً . فلما لمحته ، أسرعت وانطرحت عند قدميه ، فأنهضها بغضب وتطلع إليها وقال : إذا أردت أن تعايني وجهي ، ها هو . أنظري إليه . أمّا هي فلفرط خجلها لم تنظر . فقال لها : ألم تسمعي بأعمالي ؟ هذه من الضروري أن يعرفها كل إنسان . كيف إذن تجاسرت وقطعت كل هذه المسافة ؟ ألا تعرفين أنك إمرأة لا يجوز لك الخروج إلى أي مكان ؟ أو ربما تريدين العودة إلى روما لتقولي للنساء إنك رأيت أرسانيوس فيصير البحر طريقاً للنسوة القادمات إلى ههنا ؟ قالت له : إذا كانت هذه إرادة الرب ، لن أدع أحداً يأتي إلى هنا . لكن أنت صلِّ من أجلي واذكرني في صلاتك . ولما أجابها قال : أُصلّي إلى الله أن يمحو ذكرك من قلبي . فلما سمعت الشابة هذا الكلام ، خرجت مضطربة . وما إن بلغت المدنية حتى حمّت لفرط حزنها . فعلم رئيس الأساقفة أنها مريضة ، فقصدها ورجاها أن يعرف ما بها . فقالت له : ليتني لم آتِ إلى ههنا ، لأني طلبت من الأب أرسانيوس أن يذكرني في صلاته ، فقال لي : أُصلّي إلى الله أن يمحو ذكرك من قلبي . وها أنا الآن أموت من شدة الحزن . فقال لها رئيس الأساقفة : ألا تعرفين أنك إمرأة وأن العدو يحارب القديسين بالنساء ؟ هذا هو السبب الذي جعل الأب أرسانيوس يقول لك هذا . إلاّ أنه من أجل نفسك يصلّي على الدوام . وهكذا شفي فكرها وعادت إلى وطنها فرحة .

---

(١) (*)كانوبوس مدينة تقع في القسم الغربي من دلتا النيل وعلى بعد ٢٥ كلم . جنوب غرب الإسكندرية .

٢٩ ـ قال الأب دانيال عن الأب أرسانيوس : جاءه في أحد الأيام العرّاف يحمل له وصية أحد أقربائه النبلاء الذي كان قد ترك ثروة كبيرة . فأخذها أرسانيوس وهمّ بتمزيقها . فانطرح العرّاف عند قدميه قائلا : أرجوك لا تمزقها ، لأن تمزيقها يكلفني قطع رأسي . فقال له الأب أرسانيوس : أنا متّ قبله ، أمّا هو فقد مات منذ عهد قريب. وهكذا أعاد الوصية دون أن يأخذ منها شيئاً[1] .

٣٠ ـ قالوا عنه إنه في مجلس الأحد كان يرفع يديه نحو السماء مصلّياً تاركاً الشمس وراءه حتى تشرق من جديد . عندئذ كان يجلس .

٣١ ـ قالوا عن الأب أرسانيوس والأب ثيوذورس الفرمي إنهما كانا يمقتان مجد الناس أكثر من الجميع . فالأب أرسانيوس لم يكن يقابل أحداً بسهولة ، في حين أن الأب ثيوذورس كان يستقبل الناس ، لكنه كان كالسيف .

٣٢ ـ كان يقيم في المنطقة السفلية (جنوب مصر) ، وكان ينزعج من الزوّار هناك ، فقرّر أن يهجر قلايته . وبدون أن يأخذ منها شيئاً ، ذهب كما هو إلى تلميذيه إسكندر وزويلوس وقال للأول : إنهضْ وأبحرْ بالسفينة ، ففعل . ثم قال لزويلوس : تعال معي حتى النهر واطلب لي سفينة مبحرة إلى الإسكندرية ، ثم أبحرْ أنت نحو أخيك إسكندر . فاضطرب زويلوس من هذا الكلام ، لكنه ظل صامتاً . وهكذا انفصلوا بعضُهم عن بعض . فنزل الشيخ إلى الإسكندرية وهناك مرض مرضاً شديداً . فقال أبناؤه الروحيون فيما بينهم : ترى هل أحزن أحدنا الشيخ حتى انفصل عنّا ؟ ولم يجدوا في أنفسهم علّة لذلك . وعندما تماثل الأب للشفاء ، قال : سأذهب إلى آبائي . ولما أبحر إلى أعلى جاء إلى البترا حيث كان تلاميذه . ولما كان قرب النهر ، جاءته صبية حبشية ولمست ثوبه ،فانتهرها. فقالت له : إذا كنت راهباً ، إذهب إلى الجبل . فتأثر الشيخ لكلامها وقال في نفسه : يا أرسانيوس ، إذا كنت راهباً إذهب إلى الجبل . عندئذ قابله اسكندر وزويلوس اللذان ما أن انطرحا عند قدميه حتى

---

(١) العرّاف هو موظف يعمل في إدارة الخدمات في الامبراطورية .

رمى بنفسه هو أيضاً أمامهما . وبكوا جميعهم . فقال الأب : ألم تسمعا أني مرضت ؟ قالا له : نعم . قال : إذن لماذا لم تأتيا لزيارتي ؟ قال له الأب إسكندر : إن رحيلك عنّا لم يكن معقولاً وقد تأذينا قائلين : لو لم نكن قد تمردنا عليه ، لما انفصل عنّا . فقال لهما : سيقول الناس أيضاً إن الحمامة لم تجد مستقراً لرجليها فعادت إلى نوح في الفلك (تكوين ٨ : ٩) ، وهكذا شفيا . فأقام معهما حتى نهاية حياته .

٣٣ ـ قال الأب دانيال : حدثّنا القديس أرسانيوس عن إنسان (وربما كان يشير إلى نفسه) ، أن أحد الشيوخ بينما كان جالساً في قلايته ذات يوم ، جاءه صوت يقول : تعال لأريك أعمال الناس . فنهض وخرج . فقاده الصوت إلى مكان وأراه إنساناً حبشياً يقطع حطباً وقد أعدّ حمولة كبيرة . وكان يحاول أن يرفع الحمولة ، فلم يقدر . إلاّ أنه ، بدل أن ينقص منها ، كان يقطع حطباً من جديد ويضيفه إلى الحمولة . وهكذا كانت حاله لمدة طويلة . ولما تقدم قليلاً ، أراه إنساناً يقف أمام بئر يستقي منها وينقل الماء إلى حفرة مثقوبة كانت تنقل الماء إلى الحفرة الأولى . ثم قال له : تعال لأريك أمراً آخر . فرأى كاهناً ورجلين آخرين جالسين على صهوة أحصنتهم وهم يحملون خشبة بالعرض ، الواحد مقابل الآخر . فأرادوا الدخول من البوابة ، فلم يقدروا ، لأن الخشبة كانت بالعرض . ولم يتّضع الرجل الواقف خلف رفيقه لكي يُدخل الخشبة عبر البوابة بشكل مستقيم . وهكذا ظلوا خارج البوابة . فقال له الصوت : هؤلاء هم الناس الذين يحملون نير البرّ بكبرياء ، فلم يتضعوا ليصلحوا أنفسهم فيلجوا الطريق الضيق الذي للمسيح . لهذا ظلوا خارج ملكوت الله . والذي كان يقطع الحطب هو إنسان كثير الخطايا ، إلاّ أنه ، بدل أن يتوب ، كان يضيف إلى خطاياه ، خطايا أخرى . والذي كان يجر الماء من الحفرة هو إنسان يعمل أعمالاً صالحة ، إلاّ أنه فقد أعماله الصالحة ، لأنه كان يختلط بالشر . لذا ينبغي على كل إنسان أن يتيقظ في أعماله لئلا يتعب عبثاً .

٣٤ ـ هو نفسه حدّثنا، ذات يوم ، أن بعض الآباء قدموا من الإسكندرية لكي يروا الأنبا أرسانيوس ، واحد منهم كان عم تيموثاوس رئيس أساقفة

الإسكندرية الملقب « بعديم القنية » ، وكان معه إبن أخيه . وكان الشيخ مريضاً ، ولم يرد أن يقابلهم لئلا يأتي آخرون ويزعجوه . في ذلك الوقت كان يقيم في البترا . فعادوا متضايقين . وحدث أن قام البرابرة بغزوة ، فأراد أن يقطن في المنطقة السفلية . فلما سمعوا به ، جاؤوا من جديد ليروه . فقبلهم بفرح . ثم قال له الأخ الذي كان معهم : ألا تعرف يا أبانا اننا جئنا لزيارتك لما كنت في البترا ، ولكنك لم تستقبلنا ؟ فقال له الشيخ : أنتم ذقتم خبزاً وشربتم ماءً ، أمّا أنا يا إبني فلم أذق لا خبزاً ولا ماءً ، كما ولم أجلس لأعاقب نفسي ، حتى تأكدت أنكم بلغتم إلى مكانكم . لأنكم من أجلي قد تعبتم . لكن سامحوني يا إخوتي . ولما تعزّوا رحلوا .

٣٥ ـ قال هو نفسه : دعاني الأنبا أرسانيوس ذات يوم وقال لي : أرح أباك ، حتى أنه ، عندما ينتقل إلى الرب ، يصلّي من أجلك لكي يأتيك الخير .

٣٦ ـ قالوا عن الأنبا أرسانيوس إنه ، لما مرض ذات يوم في الأسقيط ، ذهب الكاهن ونقله إلى الكنيسة ووضعه على فراش وأسند رأسه إلى وسادة صغيرة . ولما جاء أحد الشيوخ لزيارته ، ورآه في الفراش والوسادة تحت رأسه ، أُعثر قائلا : أهذا هو الأنبا أرسانيوس ؟ هل ينام في فراش كهذا ؟ أمّا الكاهن فانفرد به وقال له : ماذا كانت مهنتك في قريتك ؟ أجاب الزائر : كنت راعياً . قال له : وكيف كنت تمضي حياتك ؟ قال : كنت أعيش بتعب كثير . قال له الكاهن : والآن ، كيف تعيش في القلاية ؟ أجاب الزائر : أرتاح أكثر . فقال له الكاهن : هل ترى الأنبا أرسانيوس ؟ لقد كان أباً لملوك في العالم . وكان آلاف العبيد ، الذين يلبسون المناطق الذهبية والثياب الحريرية ، يحيطون به . وكان فراشه كثير الثمن . أمّا أنت فكنت راعياً ، ، ولم يكن عندك في حياتك الراحة التي عندك الآن . أمّا هذا فليس عنده الآن ، التنعم الذي كان عنده في العالم . هوذا أنت تستريح وهو يحزن . فلما سمع الضيف هذا الكلام تحرك في داخله شعور الإحترام وسجد أمامه قائلا : سامحني يا أبتِ ، لقد خطئت . في الحقيقة ، هذا هو الطريق الحقيقي ، لأن هذا بلغ إلى

التواضع ، أمّا أنا فإلى الراحة . وهكذا رحل الشيخ الضيف منتفعاً .

٣٧ ـ جاء أحد الآباء إلى الأب أرسانيوس ، ولما قرع الباب فتح له الشيخ ظاناً أنه تلميذه (أي خادمه[١]) . ولكن ، لما رأى أنه إنسان آخر ، خرّ على الأرض أمامه . فقال له القادم : إنهض يا أبتِ لأقبلك . قال له الشيخ : لن أنهض قبل رحيلك . فرجاه الزائر جداً أن ينهض ، فلم ينهض حتى رحل الزائر .

٣٨ ـ قالوا عن أخ قد جاء إلى الاسقيط ليرى الأب أرسانيوس . هذا دخل الكنيسة ورجا الإكليريكيين أن يساعدوه على رؤيته . فقالوا له : استرح قليلاً يا أخانا ، وبعد ذلك تراه . أمّا هو فقال : لن آكل شيئاً حتى أقابله . فأرسلوا أخاً يساعده لأن قلاية الأب أرسانيوس كانت بعيدة . ولما قرعا الباب ، دخلا ، وقبّلا الشيخ وجلسا صامتين . فقال الأخ : أنا ذاهب ، صلّيا لأجلي . أمّا الأخ الضيف ، فلما لم يجد شجاعة للحديث مع الشيخ ، قال لمرافقه : انتظرني سأذهب معك . وهكذا خرج الإثنان معاً . ثم رجاه قائلا : خذني إلى الأب موسى[٢] (الذي كان لصاً فيما مضى) . ولما بلغا إليه ، قبّلهما بفرح ، وبعد أن أضافهما وأحسن استقبالهما ، أطلقهما . فقال الأخ الدليل : ها قد رافقتك إلى الغريب وإلى المصري ، قل لي : أي الإثنين أعجبك ؟ أجابه قائلا : لقد أعجبني المصري . ولمّا سمع هذا الكلام واحدٌ من الآباء ، صلّى إلى الله قائلا : يا رب ، أظهر لي هذا الأمر . كيف يحدث أن يهرب الواحد من الناس من أجل اسمك ، أمّا الثاني ، فيحتضنهم أيضاً من أجل اسمك ؟ للحال ظهرت له سفينتان كبيرتان في عرض النهر . فرأى الأب أرسانيوس وروح الله يبحران على سفينة ، بينما على السفينة الثانية ، رأى الأب موسى وملائكة الله . وكانت الملائكة تطعمه أقراص العسل .

---

(١) الخادم يقوم بخدمة الناسك بسبب تقدمه في السن ، وليس بسبب رغبة الناسك في الراحة .

(٢) يظن انه موسى الحبشي المعروف .

٣٩ ـ قال الأب دانيال : عندما أشرف الأب أرسانيوس على الموت ، دعانا وقال لنا : لا تهتموا بفعل أعمال المحبة من أجلي ، لأني ، اذا كنت قد قمت بها لنفسي ، فهذا ما سوف أجد .

٤٠ ـ عندما أشرف الأب أرسانيوس على الموت ، اضطرب جميع تلاميذه ، فقال لهم : لم تأتِ ساعتي بعد . وعندما تأتي أخبركم . لكني سأحاكَم معكم أمام المنبر الرهيب إذا أعطيتم أحداً رفاتي . قالوا له : إذاً ، ماذا ينبغي أن نعمل طالما إننا لا نعرف كيف ندفن الموتى ؟ أجابهم : ألا تعرفون أن تضعوا حول قدمي حبلاً وترفعوني إلى الجبل ؟ هذا كان كلام الشيخ هنا : يا أرسانيوس ، لماذا تركت العالم ؟ مراراً كثيرة ندمت لأني تكلمت ، ولكن عن الصمت لم أندم . ولما قرب وقت رحيله ، رآه الإخوة يبكي ، فقالوا له : في الحقيقة ، هل تخاف أنت أيضاً يا أبانا ؟ أجابهم الشيخ : في الحقيقة ، إن الخوف الذي يلازمني الآن كان معي منذ أن صرت راهباً . وهكذا رقد .

٤١ ـ قيل عنه إنه ، طوال زمان حياته ، لما كان يجلس للعمل اليدوي ، كان يجعل في حضنه مئزرة يلتقط بها الدموع التي تنهمر من عينيه . ولما سمع الأب بيمن أنه رقد ، دمّع هو أيضاً وقال : هنيئاً لك أيها الأب أرسانيوس ، لأنك بكيت نفسك في الدهر الحاضر . لأن من لا يبكي نفسه هنا ، سيبكي هناك أبدياً . فالإنسان لا بد له أن يبكي ، إمّا هنا طوعياً ، أو هناك من العذابات .

٤٢ ـ حدّثنا الأب دانيال عن الأب أرسانيوس أنه لم يرد أبداً أن يتكلم على موضوع من الكتاب المقدس ، مع العلم انه كان يقدر إذا أراد . كذلك لم يكن يكتب رسالة بسهولة . ولما كان يأتي إلى الكنيسة من حين إلى آخر ، كان يجلس وراء العمود حتى لا يرى أحد وجهه ، ولكي لا ينتبه إليه أحد . كانت هيئته ملائكية كيعقوب ، كلّي البياض ، وجميلاً في الجسد . إلا أنه كان قاسياً وذا لحية طويلة تتدلّى حتى بطنه . وكانت خصلات شعره تتدلّى أيضاً من قبعته . كان طويل القامة وقد تحدّب ظهره من الشيخوخة . عاش خمسة

وتسعين عاماً قضى منها أربعين عاماً في بلاط السعيد الذكر ثيوذوسيوس الكبير كأب روحي لولديه أركاديوس وأونوريوس. ثم أمضى أربعين عاماً أُخَر في الاسقيط، وعشرة أعوام في ترويس شمال بابل ، مقابل منفس ، وثلاثة أعوام في كانوبوس الواقعة قرب الإسكندرية ثم عاد وقضى عامين في ترويس حيث رقد وقد أكمل سعيه بسلام الله ومخافته . كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان وقد ترك لي معطفه الجلدي وقميصه الأبيض وصندله المصنوع من قش النخيل . وأنا ، غير المستحق قد لبستها لكي أتبارك .

٤٣ ـ حدّثنا أيضاً الأب دانيال عن الأب أرسانيوس أنه ، ذات يوم ، دعا الأبوين إسكندر وزويلوس ، ووضع نفسه أمامهما وقال : بما أن الشياطين تحاربني ، ولا أدري إذا كانت تنال مني أثناء الليل (النوم) ، فاتعبا معي هذه الليلة واحفظاني ، إذا نعست ، بالسهر . فجلسا عند المساء صامتين ، الواحد عن يمينه والآخر عن يساره . وقد قال اسكندر وزويلوس إننا نمنا واستيقظنا ولم نشعر أنه قد نعس . وعند الصباح ،(والله وحده يعرف ما إذا كان قد فعل بنا هكذا عمداً ، لكي نقتنع أنه نعس ، أو أنه بالفعل قد خلد إلى النوم) ، نفخ ثلاث مرات وللحال نهض قائلا : لقد نعست ، أليس كذلك ؟ أمّا نحن فقلنا : لا نعرف .

٤٤ ـ جاء شيوخ إلى الأب أرسانيوس وطلبوا منه أن يقابلوه ، ففتح لهم الباب ، فرجوه أن يقول لهم كلمة عن الهدوئيين الذين لا يضيفون أحداً. فقال لهم: عندما تكون العذراء في بيت أبيها يكثر الذين يريدون أن يخطبوها ، ولكن ، عندما تزف إلى رجلها ، لا تعود تروق للكثيرين . البعض يزدري بها ، والبعض يمدحها . هكذا لا تجد التقدير ذاته الذي كانت تنعم به عندما كانت مستترة . هكذا هي أمور النفس ، من اللحظة التي تعلن فيها لا تقدر أن ترضي الجميع .

الأب أغاثون

١ ـ قال الأب بطرس تلميذ الأب لوط : كنت ذات يوم في قلاية الأب اغاثون فجاءه أخ يقول : أريد أن أقيم مع الإخوة . قل لي ، كيف أسكن معهم ؟ قال له الشيخ : إحفظ نفسك في غربة طوال أيام حياتك ، تماماً كما تفعل في اليوم الأول عندما تدخل لتقيم معهم ، ولا تكن ذا دالة وإياهم البتة . قال له الأب مكاريوس : وماذا تصنع الدالة ؟ أجابه الشيخ : الدالة تشبه ناراً مضطرمة عندما تحل في مكان يهرب منها الجميع وتتلف ثمار الشجر . فقال له الأب مكاريوس : أبهذا المقدار تكون الدالة مرعبة ؟ قال الأب أغاثون : ليس هناك هوى أشد هولاً من الدالة ، لأنّ الدالة والدة كل الأهواء . لذا ينبغي على العامل الآّ يقتني الدالة حتى ولو كان وحده في القلاية . أعرف أخاً كان يقيم في قلاية زماناً طويلا ، وكان في القلاية سرير صغير . قال : عندما تركت القلاية ، لم أنتبه للسرير ، لو لم يلفتني إليه آخر . ان عاملاً كهذا محاربٌ أيضاً .

٢ ـ قال الأب أغاثون : على الراهب الآّ يترك ضميره يؤنبه لأي شيءٍ مهما كان .

٣ ـ قال أيضاً : بدون حفظ الوصايا الإلهية ، لا يستطيع الإنسان أن يتقدم ولا في فضيلة واحدة .

٤ ـ قال أيضاً : لم أخلد إلى النوم يوماً وفي قلبي شيء على أحد ، ولم أترك أحداً ينام وفي قلبه عليّ شيء . هذا كنت أفعله على قدر طاقتي .

٥ ـ قالوا عن الأب أغاثون ، إن بعض الإخوة جاؤوا إليه ذات يوم بعد أن سمعوا أن عنده نعمة التمييز . فأرادوا أن يجربوه ليروا إذا كان يغضب ، فقالوا له :

أأنت أغاثون ؟ لقد سمعنا أنك فاسق ومتكبر . قال لهم : نعم ، الأمر كذلك . قالوا له : أأنت أغاثون الهرطوقي ؟ أجاب : كلا ، لست هرطوقياً . فسألوه متضرعين : قل لنا لماذا قبلت جميع التهم الموجهة إليك ، أمّا الأخيرة فلم تحتملها ؟ قال لهم : التهم الأولى أراها كلها في نفسي ، وقبولها يعود على نفسي بالمنفعة . ولكن أن يكون المرء هرطوقياً ، فهذا يعني أنه انفصل عن الله ، وأنا لا أريد أن أنفصل عن الله . فلما سمعوا هذا تعجبوا من هذه النعمة وغادروه منتفعين .

٦ ـ قالوا عن الأب أغاثون إنه أمضى مدة طويلة وهو يبني قلاية مع تلاميذه . ولمّا انتهوا من بنائها ، جاؤوا ليقيموا فيها . وفي الاسبوع الأول لاحظ أمراً لم يكن نافعاً له ، فقال لتلاميذه : قوموا ننطلق من ههنا . فاضطرب التلاميذ قائلين : إذا كان عندك فكر الرحيل لماذا تكبدنا كل هذا التعب في بناء القلاية ؟ الناس سيقولون وقد أعثرناهم : ها قد رحل الذين لا يجلسون . فلما رآهم وقد ضعفت نفوسهم ، قال لهم : ربما يشك البعض ، لكن البعض الآخر سينتفع قائلا : هنيئاً لهؤلاء الرجال الذين ، حبّاً باللّه ، رحلوا ماقتين كل شيء . على كل حال ، من أراد أن يأتي معي فليأت ، لأني ماض الآن . فانطرحوا جميعهم على الأرض متوسلين إليه أن يسمح لهم بالذهاب معه .

٧ ـ وأيضاً قالوا عنه إنه مراراً كثيرة كان يرحل حاملاً معه في سلته سكيناً فقط .

٨ ـ سئل الأب أغاثون : ما الأعظم ، التعب الجسدي أم ضبط ما في الداخل ؟ أجاب : الإنسان يشبه شجرة ، والتعب الجسدي هو الورق . أمّا ضبط ما في الداخل فهو الثمر . لأنه وفقاً لما جاء في الكتاب « كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار » (متى ٣ : ١٠) . من الواضح أن كل اهتمامنا يجب أن ينصبّ على الثمر ، أي على حفظ العقل الأعلى . ولكن غطاء الورق وزينته ضروريان ، وأعني التعب الجسدي .

٩ ـ سأله الاخوة أيضاً : ما هي الفضيلة التي تتطلب تعباً أكثر من سواها في الحياة يا

أبتِ ؟ قال لهم : سامحوني ، لأني أعتقد أنه لا يوجد تعب كتعب الصلاة إلى الله . لأن الإنسان عندما يريد أن يصلّي إلى الله ، يسعى الأعداء لإيقافه ، لأنهم يعرفون أن لا شيء يعيقهم كالصلاة . وأية حياة يسعى إليها الإنسان ممسكاً ينال فيها راحة . إلاّ أن الصلاة تحتاج إلى جهاد يدوم حتى النسمة الأخيرة .

١٠ ـ كان الأب أغاثون حكيماً في التفكير ، عديم التعب في الجسد ، مكتفياً في كل شيء ، في العمل والمأكل والملبس .

١١ ـ هو نفسه كان يمشي مع تلاميذه ذات يوم وكان واحد منهم قد وجد «بازيلا » شاحبة اللون في الطريق ، فقال للشيخ : يا أبتِ ، أتسمح لي بأخذها ؟ فنظر إليه الشيخ متعجباً وقال له : أأنت الذي وضعتها هنا ؟قال الأخ : كلا . قال له الشيخ : كيف تريد إذاً ، أن تأخذ شيئاً ليس لك ؟

١٢ ـ جاء أخٌ إلى الأب أغاثون قائلا : دعني أُقم معك يا أبتِ . ولما كان ماشياً صادف قطعة صابون صغيرة ، فحملها وجاء بها إلى الشيخ . فقال له الشيخ : أين وجدتها ؟ أجاب الأخ : وجدتها وأنا أمشي في الطريق فحملتها . قال له الشيخ : إذا أتيت لتقيم معي ، كيف تأخذ شيئاً ليس لك ؟ ثم أرسله ليعيدها إلى مكانها .

١٣ ـ قال أحد الإخوة للأب أغاثون : تسلّمت وصية ، وحيث هناك وصية هناك حرب التجارب .وأريد أن أذهب من أجلها ، الا أني أخاف الحرب. قال له الشيخ : لو كان أغاثون لطبّق الوصية وقهر التجربة .

١٤ ـ جاء أغاثون إلى الاسقيط حيث عُقد مجمع في إحدى القضايا واتُّخذ فيه قرار ، وقال للحاضرين : لم تتخذوا قراراً صحيحاً في هذه القضية . أمّا هؤلاء فقالوا له : من أنت الذي يتكلم ؟ أجاب : ابن الانسان ، لأنه مكتوب : « إذا تكلمتم بالبرّ بحق ، فاحكموا حكماً عادلاً يا بني البشر » (مزمور ٥٧ : ٢) .

١٥ ـ قالوا عن الأب أغاثون إنه أمضى ثلاث سنين جاعلاً في فمه حجراً ، حتى تعلّم أن يصمت .

١٦ ـ قالوا أيضاً عن الأب أغاثون والأنبا أمون إنهما عندما كانا يبيعان السلال ، كانا يقولان الثمن مرة واحدة فقط ، وكانا يأخذان ما يعطى لهما بارتياح وهما صامتان . كذلك عندما كانا يشتريان أي شيء ، كانا يدفعان الثمن بصمت ، وكانا يأخذانه بدون أن يتكلما البتة .

١٧ ـ قال الأب أغاثون نفسه : ولا مرة تصدقت على أحد ، إنما الأخذ والعطاء كانا صدقة لي ، لأني كنت أعتقد أن ربح الأخ هو الثمر .

١٨ ـ أغاثون عندما يرى شيئاً ويتحرك فكره للحكم عليه ، يقول لنفسه : يا أغاثون ، لا تفعل أنت هذا . وهكذا كانت أفكاره تهدأ .

١٩ ـ هو نفسه قال : لو أقام الغضوب ميتاً ، لن يكون مقبولاً عند الله .

٢٠ ـ ذات يوم قدم لزيارة أغاثون تلميذان ، كان كل منهما ينسك على انفراد . وذات يوم سأل الأب أغاثون أحدهما : كيف تمضي وقتك في قلايتك ؟ قال : أصوم حتى المساء وآكل خبزتين يابستين . قال له أغاثون : إنها حمية (ريجيم) حسنة ، كونها بلا تعب . ثم قال للآخر : وأنت ، كيف تقضي وقتك في قلايتك ؟ أجاب ذاك : أصوم يومين ، وآكل خبزتين يابستين . فقال له الشيخ : أنت تتعب كثيراً محتملاً حربين[1] . فالذي يأكل كل يوم ولا يشبع ، يتعب . ثمة آخر يريد أن يصوم كلَّ يومين ويشبع . أمّا أنت فتصوم مرتين ولا تشبع .

٢١ ـ سأل أخ الأب أغاثون عن الزنى . فقال له : إذهب واطرح ضعفك أمام الله تجد راحة .

٢٢ ـ ذات يوم مرض الأب أغاثون وشيخ آخر . ولمّا كانا ممدَّدين في القلاية ، كان

---

(١) ـ الحرب مضاعفة ، أولاً ، لأنه يأكل في اليوم الثاني ، وثانياً ، لأنه يأكل عندئذٍ خبزتين ، ولا يشبع .

الأخ يقرأ في سفر التكوين ، فبلغ إلى حيث يقول يعقوب : « يوسف مفقود وشمعون مفقود وبنيامين تأخذونه ، وسوف تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية » (تكوين ٤٢ : ٣٦ ـ ٣٨) . فأضاف الشيخ إلى هذه الكلمات قوله : « ألا يكفيك العشرة الآخرون يا أبانا يعقوب ؟ » . فقال الأب أغاثون : كفّ عن الكلام أيها الرجل . إذا كان الله يعدل فمن الذي يدين ؟

٢٣ ـ قال الأب أغاثون : إذا كان هناك إنسان أحبه بإفراط ، ولكن فهمت أنه يقودني إلى السوء ، أقطعه عني .

٢٤ ـ قال أيضاً : يجب على الإنسان أن يضع المحكمة الرهيبة نصب عينيه على الدوام .

٢٥ ـ قال الأب يوسف عندما كان الاخوة يتحدثون عن المحبة : ترى هل نعرف ما هي المحبة ؟ ثم قال عن الأب أغاثون إنه كان يملك سكيناً فجاءه أخ وامتدحه ، فلم يتركه يذهب قبل أن يأخذ السكين معه .

٢٦ ـ قال الأب أغاثون : لو كان ممكناً أن أجد أبرصَ أعطيه جسدي وآخذ جسده لكنت سعيداً . لأن هذه هي المحبة الكاملة .

٢٧ ـ قيل أيضاً عن الأب أغاثون إنه نزل إلى المدينة ليبيع السلال، فوجد إنساناً غريباً مريضاً مطروحاً على الأرض (مرمياً على قارعة الطريق)، لم يكن له من يعتني به . فمكث معه . واستأجر غرفة ليسكنه وكان يدفع بدل الإيجار من عمل يديه تاركاً الباقي لحاجة المريض . وهكذا بقي مع المريض ثلاثة أسابيع حتى تماثل للشفاء . بعد ذلك عاد الشيخ إلى قلايته بسلام .

٢٨ ـ قال الأب دانيال : قبل أن يأتي الأب أرسانيوس إلى آبائي ، كانوا يقيمون مع الأب أغاثون . وكان الأب أغاثون يحب الأب اسكندر لأنه كان ناسكاً لطيفاً جداً . وحدث أن تلاميذه كانوا يغسلون السّمار (نوع من النبات) في النهر . وكان الأب اسكندر يغسل جيداً . فقال الاخوة الآخرون للشيخ : الأخ

اسكندر لا يفعل شيئاً . فأراد الشيخ أن يصلحهم فقال للأب اسكندر : يا أخي اسكندر ، أغسلها جيداً لأنها من كتان . فلماً سمع الأب اسكندر هذا الكلام حزن . ولكن بعد حين عزّاه الشيخ قائلاً : أتظن أنني لا أعرف أنك تقوم بعملك خير قيام ؟ إلاّ انني فعلت بك هكذا لكي أصلح أفكارهم بطاعتك يا أخي .

٢٩ ـ قالوا عن الأب أغاثو ن إنه كان يهتم بحفظ كل الوصايا . ولما كان يمر بمركب كان هو أول من يحمل المجذاف. ولما كان الإخوة يزورونه كان يمد لهم المائدة بيده بعد الإنتهاء من الصلاة . وذلك لأنه كان مليئاً بمحبة الله . ولما أوشك أن يرقد ، ظل ثلاثة أيام فاتحاً عينيه دون حركة . أمّا الإخوة فكانوا يوقظونه قائلين : أيها الأب أغاثون ، أين أنت الآن ؟ قال لهم : أنا واقف أمام محكمة الله . قالوا له : وأنت تخاف يا أبانا ؟ قال لهم : لقد فعلت قدر طاعتي وحاولت أن أحفظ وصايا الله . إلا أنني إنسان . فكيف لي أن أعرف إذا كنت قد أرضيت الله بأعمالي ؟ قال له الاخوة : ألست مقتنعاً بأنّ أعمالك كانت حسب إرادة الله ؟ قال الشيخ : لست مقتنعاً بشيء حتى أقابل الله . لأن محكمة الله شيء ومحكمة الناس شيء آخر . ولما أرادوا أن يسألوه أمراً آخر ، قال لهم : اعملوا لي معروفاً ولا تتكلموا الآن ، لأني مشغول . وهكذا رقد بفرح . فكانوا يرونه يرحل عنهم كما يودع الواحد أحباءه . كان صاحياً في كل شيء . وكان يردد على الدوام : بدون صحو كثير لا يستطيع الإنسان أن يتقدم ولا في فضيلة واحدة .

٣٠ ـ نزل الأب أغاثون إلى المدينة ذات يوم ليبيع عمل يديه ، فصادف على قارعة الطريق مقعداً . قال له المقعد : إلى أين أنت ذاهب ؟ أجابه الشيخ : إلى المدينة لأبيع عمل يديّ . قال له المقعد : اعمل لي معروفاً واحملني إلى هناك . فقام وحمله إلى المدينة . ثم قال له المقعد ثانية : انقلني إلى حيث تبيع عمل يديك . ففعل كما قال له . ولما باع السلال ، قال له المقعد : بكم بعتها ؟ قال

له : بهذا المقدار . ولما باع السلال قال له : اشتر لي كعكة ، فاشترى له . وكان كلّما أراد أن يشتري للمقعد شيئاً يبيع سلة جديدة ، وكان المقعد طول الوقت يسأله عن الثمن ، والشيخ كان يجيبه على سؤاله . وبعد أن باع كل السلال ، همّ بالعودة إلى قلايته ، فقال له المقعد : هل أنت ذاهب الآن ؟ قال له : نعم . قال له المقعد : اعمل لي معروفاً وانقلني إلى حيث وجدتني ، فحمله ونقله إلى مكانه . فقال المقعد : مبارك أنت من الرب يا أغاثون في السماء وعلى الأرض . ولمّا رفع أغاثون عينيه لم يجد أحداً ، لأن المقعد كان ملاك الرب الذي أتى يجرّ به .

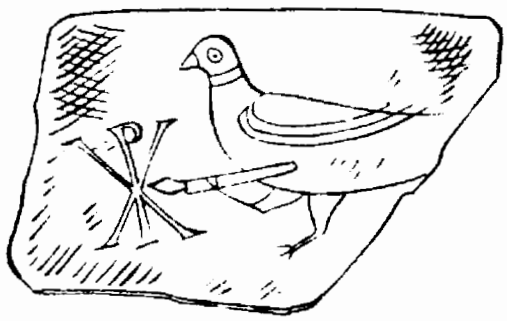

الأب أمون

١ ـ سأل أخ الأب أمون قائلاً : قل لي كلمة . أجاب الشيخ : إذهب وافحص أفكارك كما يفعل فاعلو الشر في السجن . لأن هؤلاء دائماً يسألون الناس أين الرئيس؟ متى يأتي؟ ويبكون من طول الإنتظار. هكذا الراهب عليه أن يتيقظ دائماً ويحاسب نفسه قائلاً: ويلٌ لي! كيف سأقف أمام منبر المسيح؟ ماذا سأجيبه؟ وأنت أيضاً، إذا فكرت هكذا دائماً، تقدر أن تخلص.

٢ ـ قالوا عن الأب أمون إنه قتل ثعباناً ساماً عندما ذهب ذات يوم إلى البرية ليستقي ماء من الجب . هذا لما رأى الثعبان نظر إليه وقال :يا رب إمّا الموت له أو لي . للحال انفجر الثعبان ومات بقوة المسيح .

٣ ـ قال الأب أمون : لقد أمضيت أربع عشرة سنة في الاسقيط متضرعاً إلى الله ليل نهار أن يمنحني القوة لأتغلب على الغضب .

٤ ـ حدّثنا أحد الآباء عن شيخ محب للألم كان يلبس مسوحاً . هذا ذهب لزيارة الأب أمون . فلما رآه الأب أمون لابساً المسوح قال له : هذا لا ينفعك أبداً . فسأله الشيخ قائلاً : ثلاثة أفكار تزعجني : إمّا أن أطوف في البراري أو أن أنتقل إلى بلد غريب حيث لا يعرفني أحد أو أن أحبس نفسي في قلاية لا أقابل أحداً وآكل كل يومين مرة واحدة . قال له الأب أمون : ولا فكرٌ من هذه الثلاثة ينفعك . ولكن امكثْ في قلايتك وكلْ قليلاً كلَّ يوم ، وليكن في قلبك كلام العشّار ، فتخلص .

٥ ـ حدث لبعض الإخوة ضيق في المكان الذي يقيمون فيه . ولما فكّروا في هجره

ذهبوا إلى الأب أمون . في تلك الأثناء كان الشيخ راكباً السفينة . فلما رآهم يمشون على ضفة النهر قال للبحارة : أوصلوني إلى اليابسة . ولمّا دعا الإخوة قال لهم : أنا هو أمون الذي أردتم أن تأتوا إليه . ولمّا عزّى قلوبهم أقنعهم بأن يعودوا إلى حيث أتوا ، لأن القضية لم تثر ضرراً في النفس إنما ضيقاً إنسانياً .

٦ ـ أراد الأب أمون أن يعبر النهر ذات يوم ، فوجد أنهم يعدّون المركب ، فجلس بجانبه . وبعد قليل مرّ مركب آخر في ذلك المكان ونقل الركاب . فقال الذين في المركب للأب أمون : تعال معنا . قال لهم الشيخ : أنا لا أصعد إلا إلى مركب عمومي . وكان معه حزمة من الخوص جلس يحيكها ويفكها من جديد حتى تمّ إعداد المركب . وهكذا صعد إليه وعبر . فصنع له الإخوة مطانية قائلين : لماذا فعلت هكذا ؟ أجابهم الشيخ : لكي لا اجاري أفكاري . وهذا كان مثلاً لنا لكي نسلك طريق الرب بهدوء وسكينة .

٧ ـ ذهب الأب أمون لزيارة الأب أنطونيوس ذات يوم ، فضلّ الطريق . فجلس لينام قليلاً . ولمّا أفاق من غفوته ، صلّى إلى الله قائلاً : أتضرع إليك أيها الرب إلهي أن لا تهلك جبلتك . فلاح له شيء مثل يد مدلاّة من السماء كانت تدله على الطريق ، فجاء إلى مغارة الأب أنطونيوس .

٨ ـ تنبأ الأب أنطونيوس عن الأب أمون قائلاً : أنت تنوي أن تتقدم في مخافة الله . فأخرجه من القلاية وأراه صخرة وقال له : اشتم هذه الصخرة واضربها . ففعل . ثم قال له الأب أنطونيوس : هل تكلمت الصخرة ؟ أجاب : كلا . قال له الأب أنطونيوس : هكذا أنت أيضاً ، ينبغي أن تبلغ إلى هذا القياس . لقد حدث هذا لأن الأب أمون تقدم كثيراً في مخافة الله ، حتى أنه لكثرة صلاحه لم يعد يعرف الشر . ولمّا صار أسقفاً أحضروا إليه عذراء حملت سفاحاً ، وقالوا له : فلان فعل هذا . عاقبها . هذا لما رسم إشارة الصليب على بطنها طلب أن يعطوها ستة أزواج من الشراشف قائلاً : ربما تموت وهي

ذاهبة لتضع ، أو ربما يموت وليدها ولا تجد ما تغطى به لدفنها . فقال له الذين كانوا يتهمونها : لماذا فعلت هذا ؟ عاقبهما . أمّا هو فقال لهم : أنظروا يا إخوتي ، انها على وشك أن تموت . أمّا أنا ، فما عساني أقدر أن أفعل ؟ وهكذا أطلقها ، ولم يتجاسر أن يدين أحداً .

٩ ـ قالوا عن الأب أمون إن بعض الإخوة جاؤوا يحتكمون إليه ذات يوم . أمّا الشيخ فتصرف كطفل . وحدث أن امرأة كانت تقف بجانبه . فقالت : ان هذا الشيخ مجنون . فسمعها ولّما دنا منها وناداها ، قال لها : كم من الأتعاب تكبدت في البراري لكي اكتسب هذا الجنون ، وبسببك سأفقده اليوم ؟ ؟ ؟

١٠ـ جاء الأب أمون ذات يوم إلى مكان ليتناول الطعام ، وكان هناك إنسان ذو سمعة سيئة . وحدث أن جاءت امرأة ودخلت إلى قلاية الأخ صاحب السمعة السيئة . فلمّا علم سكان المنطقة بهذا ، اضطربوا وتجمعوا لكي يطردوه من القلاية . ثم علموا أن اسقف أمون في منطقتهم فقصدوه وطلبوا إليه أن يأتي معهم . أمّا الأخ فلمّا علم بقدوم الأسقف أخذ المرأة وخبأها في صندوق كبير . ولّما وصل الجمع ، رأى الأب أمون ما حدث ، لكنه أخفى الأمر حباً بالله . وهكذا دخل القلاية وجلس فوق الصندوق ، وطلب أن يفتش المكان بحثاً عن المرأة . هؤلاء لّما فتشوا المكان ولم يجدوا للمرأة أيّ أثر ، قال لهم الأب أمون : ما الذي جرى لكم ؟ سامحكم الله . ولّما صلّى طلب منهم أن يرحلوا جميعاً . ولّما مضوا أمسك بيد الأخ وقال له : انتبه لنفسك يا أخي . وما ان انتهى من كلمته حتى رحل هو أيضاً .

١١ ـ سئل الأب أمون : ما هي الطريق الضيقة المحزنة ؟ (متى ٧ : ١٤) . أجاب : الطريق الضيقة والمحزنة هي أن يمسك الإنسان أفكاره ويقطع مشيئته حباً بالله . وهذا هو معنى : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » (متى ١٩ : ٢٧) .

الأب أخيلاّ

١ ـ زار ذات يوم ثلاثة شيوخ الأب أخيلا ، وكان أحدهم ذا سمعة سيئة . فقال له الأول : يا أبت ، اصنع لي شبكة . أجابه الشيخ : لن أصنع لك . ثم قال الثاني : اعمل لي معروفاً لكي أذكرك في الدير . أجاب الشيخ : ليس لديّ وقت . ثم قال الثالث ذو السمعة السيئة : اصنع لي شبكة يا أبتِ ، لكي يكون عندي شيء من صنع يدك . للحال أجابه الشيخ : سأصنع لك . فقال له الشيخان على انفراد : لماذا لم ترد أن تصنع لنا مع أننا رجونا منك ، في حين أنك قلت له : « سأصنع لك » ؟ قال لهما الشيخ : قلت لكما : « لن أصنع لكما » ، ولم تحزنا ، لأنه لم يكن عندي متسع من الوقت . أمّا ذاك فقد قبلت طلبه لأنه قد يقول إن الشيخ لم يرد أن يصنع لي شبكة لأنه سمع عن خطيئتي ، وللحال سينقطع أمله . لأجل هذا أنهضت نفسه لئلا يموت هذا المسكين من شدة الحزن .

٢ ـ قال الأب بيتيم : لمّا كنت نازلاً إلى الاسقيط اعطاني بعضهم قليلاً من التفاح لكي أوزعه على الشيوخ . فقرعت باب قلاية الأب أخيلا لكي أعطيه شيئاً منه . فقال لي : في الحقيقة ، يا أخي ، لم أكن أريد أن تطرق بابي الآن ، حتى ولو كان الطارق أمّاً . كذلك لا تتوجه إلى قلاية أخرى . فرحلت إلى قلايتي ، وبعد ذلك أخذت التفاحات معي إلى الكنيسة .

٣ ـ مضى الأب أخيلا إلى قلاية الأب أشعيا في الاسقيط ، فوجده يأكل . وكان قد جعل في القصعة ملحاً وماءً . فلماّ رأى الشيخ أنه قد خبأ القصعة وراء

الحبال ، قال له : قل لي ، ماذا كنت تأكل ؟ قال الأب أشعيا : سامحني يا أبتِ ، لأني لمّا كنت أقطع الأغصان ارتفعت حرارتي ، فوضعت في فمي خبزاً مع قليل من الملح ، فجف حلقي من شدة الحرارة ، ولم أقدر أن أبتلع الخبز . لأجل هذا اضطررت أن أصبّ قليلاً من الماء في الملح لكي أتمكن من تناول الطعام . لكن سامحني . فقال الشيخ : تعالوا وانظروا أشعيا يحتسي الشوربة في الاسقيط . إذا كنت تريد الشوربة إذهب إلى مصر[1] .

٤ ـ زار أحد الشيوخ الأب أخيلا ، فرآه يتفل دماً ، فسأله : ما هذا يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إنه قول أخ قد أحزنني ، فجاهدت لكي لا أعلمه به وتضرعت إلى الله أن يرفعه عني . فصار الكلام دماً في فمي ، فتفلته واسترحت ونسيت ضيقي .

٥ ـ كان الأب أموى يقول : زرت بصحبة الأب بيتيم الأب أخيلا فسمعناه يدرس الآية التالية : « لا تخف يا يعقوب أن تذهب إلى مصر » (تكوين ٤٦ : ٣) . وظلّ مدة طويلة يتأمل فيها . ولمّا طرقنا بابه فتح لنا وسألنا : من أين أنتم ؟ ففزعنا ولم نرد أن نقول له إننا من القلالي بل قلنا : نحن من جبل النطرون . فقال : وماذا أعمل لكم كونكم أتيتم من بعيد ؟ فأدخلنا إلى قلايته ، فوجدناه يحيك في الليل الحبال ، فرجوناه أن يقول لنا السبب . فقال : من المساء حتى الآن أنهيت عشرين باعاً ، وفي الواقع لا أحتاج إليها كلها ، إنما فعلت هذا لئلا يغضب الله ويقول لي : لماذا لم تعمل عندما كنت قادراً على العمل ؟ لأجل هذا أتعب وأعمل قدر طاقتي . فغادرناه منتفعين .

٦ ـ ذات يوم جاء شيخ عظيم من الطيبة إلى الأب أخيلا وقال له : يا أبتِ ، إنني أُحارَب من أجلك . قال له الأب أخيلا : إذهب عني يا أبتِ ، أتقول أنك تحارب الآن من أجلي ؟ أجاب الشيخ بتواضع وقال : نعم ، يا أبتِ . وكان هناك عند الباب شيخ أعمى وأعرج ، فقال له الشيخ : أردت أن أقيم هنا

(١) كناية عن شظف العيش هناك .

بضعة أيام ، ولكن بسبب هذا الشيخ لا أقدر . فلما سمع الأب أخيلا هذا الكلام تعجب من تواضع الشيخ وقال : هذا ليس زنى ، إنما حسد الشياطين الأشرار .

الأب أمّوى

١ ـ قالوا عن الأب أموى إنه، عندما كان يذهب إلى الكنيسة ، لم يكن يدع تلميذه يسير إلى جانبه بل بعيداً عنه . وإذا حدث أن جاءه ليسأله عن أفكاره ، ما إن يذكر له فكراً واحداً حتى يطرده للحال قائلاً: ربما عندما نتكلم على المنفعة، يدخل بيننا حديث غريب . لأجل هذا لا أتركك بجانبي(١).

٢ ـ كان الأب أموى يقول للأب أشعيا: قبل كل شيء ، كيف تراني الآن ؟ قال له : كالملاك يا أبت . وبعد قليل، قال له : والآن كيف تراني يا أبت ؟ أجابه : كالشيطان . لأنك لو قلت لي كلمة صالحة تكون عندي كالسيف .

٣ ـ قالوا عن الأب أموى إنه لمّا كان يمرض ويلازم الفراش زمناً طويلاً ، لم يكن يترك فكره أبداً ينتبه إلى داخل القلاية ليرى ما فيها ، لأنهم قدموا له الكثير بسبب مرضه . ولمّا كان تلميذه يوحنا يدخل ويخرج ، كان هو يغلق عينيه لئلا يرى ما يفعله ، وذلك لأنه عرف أنه كان راهباً أميناً .

٤ ـ قال الأب بيمين إن أخاً زار الأب أموى طالباً منه كلمة . ولمّا أقام معه سبعة أيام لم يجبه الشيخ . وعندما شيّعه قال له : إذهب وانتبه لنفسك . أمّا أنا فخطاياي قد صارت جداراً مظلماً بيني وبين الله .

٥ ـ قالوا عن الأب أموى إنه عمل ثلاثين كيلوغراماً من القمح لوقت الحاجة . ولكن قبل أن تجف جيداً ، رأى في المكان أمراً غير نافع ، فقال لأولاده (تلاميذه) : لنرحل من هنا . فحزن التلاميذ جداً . لكن لمّا رآهم حزانى قال لهم : صناديق مليئة بكتب من الرق . أتحزنون من أجل الخبز؟ في الواقع إني رأيت البعض يغادرون بيوتهم تاركين كل شيء دون أن يغلقوا الأبواب، بل تركوها مفتوحة على مصراعيها .

(١) إشارة إلى موضوع الدالة وأثرها على العلاقات بين الاخوة .

الأب أمون النطروني

١ ـ زار الأب أمون النطروني الأب أنطونيوس وقال له : أنا أتعب أكثر منك ، فكيف يتمجد إسمك بين الناس أكثر مني ؟ قال له الأب أنطونيوس : لأني أحب الله أكثر منك .

٢ ـ قالوا عن الأب أمون إنه قد أمضى شهرين في جرن من الشعير . وحدث أن زار الأب بيمين وقال له : إذا ذهبت إلى قلاية قريبي ، أو إذا جاء هو لعندي لحاجة ما ، نخاف أن نكلم بعضنا لئلا يخرج من فمنا كلام غريب . فقال له الشيخ : حسناً تفعل ، لأن الشباب يحتاج إلى الحذر واليقظة . فقال له الأب أمون : إذن ، ماذا كان يفعل الشيوخ ؟ قال له : بما أن الشيوخ تقدموا في الحياة الروحية ، لم يعد على لسانهم وفي داخلهم شيء غريب يقولونه . ثم قال له : إذا احتجت أن أكلِّم قريبي ، ماذا تقترح عليّ؟ هل أكلّمه من الكتاب المقدس أو من كلمات الشيوخ القديسين؟ قال له الشيخ : إذا لم تكن قادراً على الصمت ، فالأفضل أن تكون كلماتك من أقوال الشيوخ وليس من الكتاب المقدّس لأن هذا الخطر ليس بقليل .

٣ ـ جاء أخ من الاسقيط إلى الأب أمون وقال له : لقد أرسلني أبي في خدمة وأخاف الزنى . أجابه الشيخ : عندما تأتيك التجربة قل : يا إله القوات ، بصلوات أبي أعتقني . وذات يوم دخلت عليه فتاة عذراء وأغلقت الباب . فقال هذا بصوت قوي : يا إله أبي أعتقني . للحال وجد نفسه على طريق الاسقيط[1] .

---

(١) إشارة إلى منزلة الأب الروحي عند الله في الاستشفاع .

الأب أنّوف

١ ـ حدّثنا الأب أنوف أن الأب بيمن وإخوته الآخرين الذين ولدوا من الحشا نفسه ، والذين أصبحوا رهباناً في الاسقيط ، عندما جاء الغزاة وخرّبوه للمرة الأولى (في مطلع القرن الخامس) ، رحلوا من هناك وجاؤوا إلى مكان اسمه تيرنوثين حتى يفكروا أين ينبغي لهم أن يقيموا ، وأقاموا هناك في بيت قديم بضعة أيام . ثم قال الأب أنوف للأب بيمن : إعمل لي معروفاً أنت وإخوتك ، في أن يعيش كل واحد لوحده وأن لا يقابل أحدنا الآخر في هذا الأسبوع . أجاب الأب بيمن : سنعمل كما تريد . وفعلوا هكذا . وكان هناك في الهيكل تمثال من حجر ، فكان الأب أنوف ينهض في الصباح ويرجم وجه التمثال . وعند المساء كان يقول له : سامحني . وهكذا أمضى الأسبوع كله وهو يعمل هكذا . وفي السبت تقابل الجميع ، فقال الأب بيمن للأب أنوف : رأيتك هذا الأسبوع يا أبت وأنت ترجم وجه التمثال ثم تعود وتسجد له . هل يفعل إنسان مؤمن مثل هذا ؟ أجابه الشيخ : هذا الأمر فعلته من أجلكم . أنتم عندما رأيتموني أرجم وجه التمثال ، ترى ، هل تكلم أو غضب ؟ أجاب الأب بيمن : لا . قال الأب أنوف : وأيضاً لمّا كنت أسجد له ، ترى هل اضطرب وقال : لا أسامحك ؟ فقال الأب بيمن : لا . فقال الشيخ : ونحن أيضاً سبعة إخوة ، إذا كنتم تريدون أن نقيم معاً ، لنكن كالتمثال ، فإنه إذا شُتم أو امتُدح لا يضطرب ، وإذا لم تريدوا الحال هكذا ، أمامكم أربعة أبواب في الهيكل وكل واحد منكم يستطيع أن يذهب في الطريق الذي يشاء . فسقطوا على الأرض قائلين للأب أنوف : كما تريد يا أبانا ،

سنفعل ونسمع ما تقوله لنا . فقال الأب بيمن : إننا أقمنا معاً الوقت كله عاملين بكلمة الشيخ الذي عيّن أحدثنا مدبراً ، وكنّا نأكل كل ما يقدمه لنا هذا الأخ المدبّر ، ولم يكن أحدنا يقول له : « أحضر لنا شيئاً آخر » ، أو يقول : « لا نريد أن نأكل هذا » . وهكذا أمضينا الوقت براحة وسلام .

٢ ـ قال الأب أنوف : منذ أن حلّ عليّ إسم المسيح ، لم يخرج من فمي كذب .

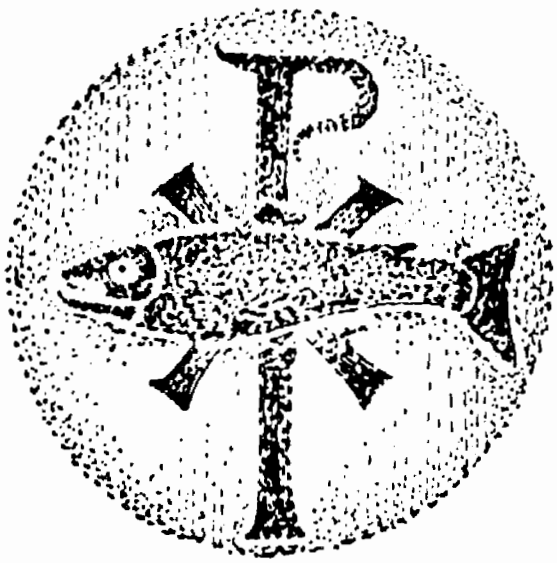

الأب إبراهيم

١ ـ قالوا عن شيخ إنه عاش ٥٠ سنة دون أن يأكل خبزاً أو يشرب خمراً . وكان يقول : لقد قتلت الزنى وحب الفضة والمجد الفارغ . ولمّا سمع الأب ابراهيم أنه قال هذا ، جاء إليه وقال له : أنت قلت هذا الكلام ؟ قال له الشيخ : نعم . فقال له الأب ابراهيم : هب إنك دخلت قلايتك ووجدت على البساط امرأة ، هل تقدر أن تفكر أنها ليست امرأة ؟ قال : كلا . إنما أُحارِبُ بفكري لئلا ألمسها . فقال له الأب ابراهيم : لم تقتله ، فالهوى ما زال حياً فيك ، إنما قد قيّد . وأيضاً إذا كنت تمشي ، وفي الطريق صادفت ذهباً ، هل يستطيع عقلك أن يعتبر الذهب كالخزف ؟ أجاب الشيخ : كلا ، إلاّ إنني أحارب بفكري لئلا آخذه . فقال له الأب ابراهيم : إذن لا يزال الهوى حياً فيك ، لكنه قد قيّد . ثم قال له الأب ابراهيم : افترض أنك سمعت عن أخوين أن أحدهما يحبك والآخر يمقتك ويفتري عليك . وإذا حدث أن جاء هذان إليك ، هل تعاملهما بالمثل؟ قال: كلا ، إنما أحارب بفكري كي أحسن إلى الذي يمقتني وأعامله كالذي يحبني . أجابه الأب ابراهيم : إذاً ، الأهواء ما تزال حيّة ، إلاّ أنها قد لجمت عند القديسين .

٢ ـ سأل أخ الأب ابراهيم قائلاً : إذا حدث وأكلت عدة مرّات فما هذا يا ترى ؟ أجابه الشيخ قائلاً : ماذا تقول يا أخي ؟ أتأكل هذا المقدار ؟ هل تعتقد أنك أتيت إلى بيدر ؟[1]

(١) في البيدر تأكل الحيوانات بحرية ، هذا ما يرمي إليه الأب في جوابه .

٣ ـ قال الأب ابراهيم عن إنسان اسقيطي ، إنه كان ناسخاً ، ولا يأكل خبـزاً . فجاءه أخ ذات يوم وتضرع إليه أن ينسخ له كتاباً . ولمّا كان العقل الأعلى عند الشيخ يرى الله ، نسخ له ما أراد ، مع بعض الحذف وبدون تنقيط . فعندما أخذ الأخ الكتاب وأراد أن يضع النقاط ، وجد أن ثمة كلمات ناقصة ، فقال للشيخ : هناك مقاطع محذوفة يا أبت . أجابـه الشيخ : إذهـب أولاً وطبّـق المكتوب ، وبعد ذلك تعال لأكتب لك الباقي[1].

الأب آرى

١ ـ زار الأب ابراهيم الأب آرى . وبينما هما جالسان ، دخل أخ على الشيخ وقال له : قلْ لي ، ماذا أعمل لكي أخلص ؟ قال له الأب : إذهب وأمْض هذه السنة وأنت تأكل عند المساء خبزاً وملحاً ، وبعد انتهاء المدة تعال فأقول لك . فمضى وفعل هذا . ولمّا تمت السنة عاد الأب آرى . وحدث أن كان هنـاك الأب ابراهيم أيضاً. فقال الشيخ للأب : إذهب وصمْ هذه السنة أيضاً وكلْ كلّ يومين . ولمّا مضى الأخ ، قال الأب ابراهيم للأب آرى : لماذا تحدد لجميع الإخوة حملاً خفيفاً ، بينما تفرض على هذا الأخ أحمالاً ثقيلة ؟ أجابه الشيخ : إن الاخوة جميعهم يأتون للحديث ثم يرحلون . أمّا هذا الأخ فيأتي ليسمـع كلمة حباً بالله . فهو يحب العمل ، وكل ما أقوله له يتممه بفرح وحماس . لهذا أنا أكلمه بكلمة الله .

---

(١) إشارة إلى مكانة الكتاب المقدس في السلوك والسيرة .

الأب ألونيوس

١ ـ قال الأب ألونيوس : إذا لم يقل الإنسان في قلبه : « أنا والله ، فقط ، في العالم » ، لن يجد راحة البتة .

٢ ـ وقال أيضاً : إذا لم أهدم كل شيء لا أستطيع أن أبني نفسي .

٣ ـ وقال أيضاً: إذا اراد الإنسان يقدر أن يصل إلى القامة الإلهية من الصباح حتى المساء .

٤ ـ سأل الأب أغاثون الأب ألونيوس قائلاً : كيف أقدر أن أمسك لساني عن الكذب ؟ قال له الأب ألونيوس : إذا لم تكذب فإنك ستقترف خطايا كثيرة . فقال له : وكيف يكون هذا ؟ قال له الأب ألونيوس : إنسانان اقترفا أمامك جريمة قتل ، والواحد لجأ إلى قلايتك . فجاء الحاكم يفتش عنه عندك وسألك : هل جرت أمامك جريمة قتل ؟ إذا لم تكذب ستسلم الإنسان إلى الموت . إنما بالأحرى اتركه أمام الله بدون قيود ، لأنه (أي الله) يعرف كل شيء .[٢]

---

(١) إشارة إلى أن التوبة عملية جذرية .

(٢) هنا عممت حالة واحدة فبُرّر الكذب . يبدو أن شيئاً ما سقط من النص ، ولذلك بقي المعنى ناقصاً . في مخطوطة أخرى نجد جواباً أكثر ملائمة « ليكن عقلك متجهاً دائماً نحو خوف الله وتذكر الموت باستمرار ، ولا تكذب أبداً » . لعل ربط شيئين قد وقع في الجواب الأصلي : أولاً ، تجنب الكذب خوفاً من الله . وثانياً ، السماح بالكذب في حالات معينة .

الأب أبفي

ـ قالوا عن أسقف أوكسير ينخو المدعو الأب أبفي إنه ، لمّا كان راهباً ، كان يقسو على نفسه جداً . ولمّا صار أسقفاً أراد أن يطبّق القسوة ذاتها في العالم ، فلم يفلح . فانطرح أمام الله قائلاً : ترى هل غادرتني النعمة بسبب الأسقفية ؟ فأعلن له : لا . ولكن آنذاك ، كان الموضع مقفراً ، لذلك كان الله يعضدك ، ولكن ، في العالم هناك أناس يعضدونك .

الأب أبو للوس

١ ـ كان في القلالي شيخ يدعى أبو للوس ، كثيرا ما كان يقصده الناس في طلب خدمة ، فكان يذهب معهم بفرح قائلا : اليوم سأشتغل مع المسيح من أجل نفسي ، لأن هذا هو أجرها .

٢ ـ قالوا عن انسان اسمه الأب أبو للوس في الاسقيط إنه كان راعياً فظاً . وذات يوم رأى امرأة حاملاً في الحقل ، فحركه الشيطان وقال : أريد أن أرى كيف يقيم الجنين في حشاها . ولما شطرها رأى الجنين . للحال ضربه قلبه ونخسه فجاء إلى الاسقيط وأخبر الآباء بما فعل . فسمعهم يرتلون : « أيام سنينا سبعون سنة ومع القوة ثمانون وأكثرها تعب ووجع » . فقال لهم : لي من العمر أربعون سنة دون أن أقيم صلاة واحدة . والآن إذا كُتب لي أن أعيش أربعين سنة أخرى ، لن أكفّ عن الصلاة إلى الله لكي يسامحني على خطاياي . ولم يكن يمارس عمل اليد ، لكنه كان يصلي دائماً قائلاً : لقد خطئت كإنسان ، ولكن أنت كإله إرحمني . فصارت صلاته هذه همه في الليل والنهار . وكان هناك أخ يعيش معه ، فسمعه يقول : لقد أحزنتك يا رب ، اتركني أرتاح قليلاً . فجاءه يقين أن الله قد سامحه على كل خطاياه حتى عن الخطيئة التي اقترفها بحق المرأة ، ولكن عن الولد لم يُعطَ له أي تأكيد . فقال له أحد الشيوخ : خطيئتك نحو الصبي (الجنين) قد غفرها لك الله ، إلاّ أنه تركك في الألم لأن هذا يوافق نفسك .

٣ ـ قال الأب أبوللس عن استقبال الاخوة : ينبغي أن ننحني للاخوة الذين يأتون

إلينا ، لأننا لا ننحني لهم إنما لله . لأنه يقول : إذا رأيت أخاك رأيت الرب إلهك . وقال : هذا قد أخذناه عن ابراهيم ، فأنتم عندما تقبلون الزوار ينبغي أن تريحوهم ، لأن هذا قد تعلمناه من لوط الذي أضاف الملائكة .

الأب اندراوس

١ ـ قال الأب أندراوس : الراهب تناسبه هذه الثلاثة : غربة ، فقر وصمت مع صبر .

الأب آييو

١ ـ قالوا عن شيخ في الطيبة اسمه انديانوس ، إنه قد أحسن كثيراً في شبابه ، وفي شيخوخته مرض وكُفَّ بصره . وكان الاخوة يبذلون تعباً كثيراً وهم يهتمون به في مرضه ، وكانوا يطعمونه بأيديهم . فسألوا الأب آييو عنه : ماذا سيحدث بهذا الاهتمام كله ؟ أجاب الشيخ : أقول لكم إنه إذا كان قلبه يرغب ويوافق بسرور ، فإنه ، حتى لو أكل تمرة واحدة ، فالله يخرجه من أتعابه . ولكن إذا لم يوافق إنما يأخذ رغماً عنه ، وبدون إرادته ، فالله يحفظ تعبه صحيحاً كاملاً ، لأنه يغتصب بدون إرادته . أولئك سينالون أجرهم .

الأب أموناثا

١ ـ جاء أحد الولاة إلى الاسقيط ، وأراد أن يجبي ضريبة من الرهبان كما يفعل مع أهل العالم . فاجتمع الاخوة كلهم لدى الأب أموناثا ، واختاروا بعض الآباء كي يرسلوهم إلى الملك . فقال لهم الأب أموناثا : لا حاجة بكم إلى مثل هذا التعب ، بل اهدأوا في قلاليكم وصوموا أسبوعين وبنعمة الله أنا وحدي سأتدبر الأمر . فعاد الجميع إلى قلالِيهم ، والشيخ أيضاً عاد إلى قلايته . ولما مرّ أربعة عشر يوماً غضب الاخوة وحزنوا جداً لأنهم لم يروا الشيخ قد حرّك ساكناً بعد . وكانوا يقولون : لقد أتلف الشيخ قضيتنا . وفي اليوم الخامس عشر اجتمعوا كلهم حسب الاتفاق ، فجاءهم الشيخ يحمل المرسوم موقعاً ومختوماً من الملك . فلما رأوا هذا تعجبوا قائلين : متى أحضرت هذا يا أبانا ؟ أجابهم الشيخ : صدقوني يا إخوتي إني ذهبت هذه الليلة إلى الملك فكتب لي المرسوم هذا . ثم توجهت إلى الإسكندرية ووقعته من الولاة . ومن ثم عدت إليكم . فلما سمعوا هذا الكلام خافوا وخرّوا أمامه ساجدين . فانتهت مشكلتهم ولم يعد الوالي يزعجهم .

القديس باسيليوس الكبير

١ ـ قال أحد الشيوخ إن القديس باسيليوس الكبير ، عندما زار أحد الأديار ، قال لرئيس الدير بعد إعطائه التعليم الصحيح : هل عندك أخ يحفظ الطاعة ؟ فقال له : جميعهم عبيدك ويهمهم أن يخلصوا يا سيد . قال له ثانية : هل عندك حقاً من يحفظ الطاعة ؟ فقدم له رئيس الدير أخاً ، فأخذه القديس باسيليوس وأقامه على خدمة المائدة . وبعد الانتهاء من الطعام أعطاه ليغتسل . ثم قال له القديس : تعال ، سأعطيك أنا أيضاً لتغتسل . فقبل الأخ أن يسكب له القديس ماء ليغتسل . وبعد ذلك قال له : عندما أدخل إلى الهيكل تعال لأرسمك شماساً . وبعد أن رسمه شماساً جعله كاهناً ثم أخذه معه إلى أبرشيته بسبب طاعته .

الأب بيساريوس

١ ـ قال الأب ذولاس تلميذ الأب بيساريوس : كنا نسير ذات يوم على شاطىء البحر ، فعطشت وقلت للأب بيساريوس : أنا عطشان جداً يا أبي . فلمّا صلّى الشيخ قال لي : اشرب من ماء البحر . فصار ماء البحر عذباً فشربت . ثم جعلت بعض الماء في وعائي تحسباً للعطش بعد حين . فلما رآني الشيخ أفعل هذا ، قال لي : لماذا ملأت وعاءك ماء ؟ فقلت له : سامحني يا أبت لأني فعلت هذا مخافة من الظمأ بعد حين . فقال الشيخ : الله هنا وفي كل مكان .

٢ ـ وذات يوم ، لما احتاج صلّى إلى الله واجتاز النهر الذهبي ماشياً إلى الضفة الثانية . أمّا أنا فتعجبت وسجدت أمامه قائلاً : ماذا كنت تحس في قدميك وأنت تجتاز النهر ؟ قال الشيخ : كنت أحس بالماء حتى كعبي ، أمّا الباقي فكان ناشفاً .

٣ ـ وذات يوم لما كنا منطلقين إلى أحد الشيوخ ، وأوشكت الشمس أن تغيب ، صلّى الشيخ قائلاً : أتوسل إليك يا رب أن تتوقف الشمس عن سيرها حتى أصل إلى عبدك . فكان له ما أراد .

٤ ـ جاؤوه ذات يوم إلى قلايته ، فوجدوه واقفاً يصلّي ويداه ممدودتان نحو السماء . وقد بقي على هذه الحال أربعة عشر يوماً . وبعد ذلك ناداني وقال لي : إتبعني . ولما خرجنا ، توجهنا إلى البرية . ولما شعرت بالعطش قلت له : يا أبت ، أنا عطشان . فأخذ الشيخ وعائي الجلدي وابتعد إلى رمية حجر ، ولما

صلّى عاد إليّ وسلّمني إياه وهو مملوء ماء . ولما مشينا وصلنا إلى كهف فدخلناه ، فوجدنا فيه أخاً جالساً يحيك الحبال . لكنه لم ينظر إلينا ولم يلق علينا التحية ، ولم يشأ البتة أن يدخل في حديث معنا . فقال لي الشيخ : لنرحل من هنا . يبدو أن الشيخ لا يريد أن يكلمنا. فمشينا نحو « ليكو » حتى وصلنا إلى الأب يوحنا . وبعد أن قبّلناه صلّينا . بعد ذلك جلسا ليتحدثا عن الرؤيا الإلهية التي رآها . فقال الأب بيساريوس إنه قد تم التوصل إلى قرار يقضي بهدم المعابد الوثنية (في زمن الملك ثيوذوسيوس الأول ، أي في أواخر القرن الرابع) . وهذا ما حصل فعلاً ، فقد دمرت المعابد الوثنية كلها . وأثناء عودتنا مررنا بالمغارة حيث رأينا الأخ ، فقال لي الشيخ : دعنا ندخل عليه ، ربما أوحى إليه الله أن يكلمنا . ولما دخلنا وجدناه ميتاً ، فقال لي الشيخ : هلمَّ يا أخي نلف هذا الجسد ، لأنّ الله لهذا الغرض قد أرسلنا إلى هنا . ولما بدأنا بلفّه وجدنا أنه كان لامرأة ، فتعجب الشيخ وقال : أنظر كيف أن النساء أيضاً يحاربن الشيطان بينما نحن في المدن نسلك سلوكاً غير لائق . ولما مجدنا الله الذي يدافع عن محبيه ، غادرنا المكان عائدين إلى مقرنا .

٥ ـ جاء ذات يوم إلى الاسقيط إنسان به شيطان ، وأقيمت من أجله صلاة في الكنيسة ، إلاّ أن الشيطان لم يخرج منه لأنه كان قوياً . فقال الكهنة : ماذا نعمل بهذا الشيطان ؟ لا أحد يقدر أن يخرجه إلاّ الأب بيساريوس . ولكن إذا توسلنا إليه أن يخرجه لن يأتي حتى إلى الكنيسة . إذن سنفعل هذا دون أن نعلمه ، لأن الأب بيساريوس يأتي إلى الكنيسة عند الصباح قبل الجميع . ونحن سنضع المريض في طريقه . وعندما يدخل سنقف للصلاة ونقول له : أنهض الأخ يا أبانا . وهكذا عملوا . فعندما جاء الأب بيساريوس إلى الكنيسة عند الصباح ، وقف الإخوة جميعهم للصلاة ، وقالوا له : أنهض الأخ يا أبانا . فقال له الشيخ : انهض واخرج . للحال خرج منه الشيطان ، فشفي من تلك الساعة .

٦ ـ قال الأب بيساريوس : لقد أمضيت أربعين يوماً وأنا أقف في عليقة دون أن أنام .

٧ ـ خطىء أحد الاخوة ، فطرده الكاهن من الكنيسة . فنهض الأب بيساريوس وخرج مع المطرود قائلاً : وأنا أيضاً خاطىء .

٨ ـ قال الأب بيساريوس : خلال أربعين سنة لم أنم على جنبي ، بل كنت أنام جالساً أو واقفاً .

٩ ـ وقال هو نفسه : عندما تكون في سلام وغير محارَب ، عندئذ اتّضع أكثر ، إذ إننا ربما بسبب دخول فرح غريب ، نفتخر فنسلَّم للمعارك ، لأن الله لا يسمح مراراً كثيرة أن نسلَّم إلى المعارك ، بسبب ضعفاتنا ، لئلا نضيع .

١٠ ـ سأل أخ ، يقيم مع آخوة ، الأب بيساريوس قائلاً : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : أصمت ولا تقارن نفسك بالآخرين .

١١ ـ قال الأب بيساريوس وهو على فراش الموت : ينبغي أن يكون الراهب كالشاروبيم والسارافيم ، كلّه عين .

١٢ ـ قال تلاميذ الأب بيساريوس إن حياته كانت كحياة إحدى طيور السماء أو سمك البحر أو الحيوانات البرية التي بدون اضطراب أو همّ ، لأنه لم يكن يشغله اهتمام بيتي ولا رغبة أمكنة كانت تسيطر على نفسه . فلم ينشغل بشبع الطعام ولا ببناء المساكن ، ولا بتداول الكتب ، إنما كان بالكلية حراً من كل أهواء الجسد ، ومغتذياً برجاء المستقبلات ، ومحاطاً بقوة الإيمان . وكان يحتمل كأسير هنا وهناك ، مقيماً في البرد ومحتملاً العري ومستدفئاً على الدوام بنور الشمس ، وعائشاً بدون سقف ، ومتجولاً في البراري كالكواكب . وكثيراً ما كان يسرّ بالتجوال في القفر كما في بحر . وإذا حدث أن أتى إلى مكان مأهول يعيش فيه الرهبان حياة مشتركة ومتشابهة ، كان يبكي جالساً خارج الأبواب ويضرب نفسه كإنسان مرميّ بعد تحطم السفينة . بعد ذلك ، إذا خرج أحد الإخوة ووجده جالساً كمتسول وكواحد من فقراء هذا العالم ، كان يقترب منه

ويقول له بشفقة : لماذا تبكي أيها الإنسان ؟ إذا احتجت شيئاً من الضروريات ستأخذه حسب القدرة. أدخل فقط واشترك معنا بمائدتنا فتتعزى . أمّا هو فكان يجيب بأنه لا يقدر أن يقيم تحت سقف قبل أن يجد مكان سكناه . وكان يقول إنه قد خسر أموالاً كثيرة بطرق مختلفة « لأنني وقعت بين لصوص ، وانكسرت بي السفينة فسقطت من شرفي ونسبي وصرت بلا مجد بعد أن كنت ممجداً » . أمّا الأخ فيحزن لهذه الكلمة ويدخل الدير ويحضر خبزاً ويعطيه للفقير بيساريوس قائلاً له : خذ هذا يا أبت والباقي سيعطيك الله إياه : الوطن ، العائلة ، والثروة ، كما قلت . أمّا هو فكان يحزن أكثر ويصرخ بقوة قائلاً : لا أعرف أن أقول إذا كنت أستطيع أن أجد ما فقدت وما أبحث عنه . إنما سأسلم للآلام أكثر ، مخاطراً كل يوم حتى الموت دون أن أجد راحة لمصائبي التي لا تحصى ، لأنه ينبغي لي أن أتم الطريق تائهاً على الدوام .

الأب بنيامين

١ ـ قال الأب بنيامين : لما نزلنا من جمع الغلال إلى الاسقيط ، قدّموا إلى كل واحد منا هدية من نتاج الإسكندرية ، وهي عبارة عن وعاء زيت مجصص يسع نصف كيلوغرام . فلما جاء الموسم الجديد طفق الاخوة يحملون إلى الكنيسة كلَّ ما فضل عنهم . وأنا لم أكن قد فتحت وعائي بعد ، إلاّ اني ثقبته بالإبرة وأخذت منه قليلاً ، وكنت أظن اني فعلت أمراً عظيماً . فأحضر الاخوة أوعيتهم كما هي ، أمّا وعائي فكان مثقوباً . ومن شدة الخزي ، شعرت وكأني قد زنيت .

٢ ـ قال الأب بنيامين كاهن القلالي : زرنا أحد الشيوخ في الاسقيط ، وأردنا أن نصبّ له قليلاً من الزيت ، فقال لنا : ها هو وعائي الذي أحضرتموه إليّ قبل ثلاث سنوات . إنه على حاله كما أحضرتموه . فلما سمعنا هذا اندهشنا من سيرته .

٣ ـ قال هو نفسه : زرنا شيخاً آخر ، فأمسكنا لتناول الطعام وسكب لنا زيتاً نباتياً ، فقلنا له : ضع لنا يا أبت زيتاً يؤكل . أمّا هو فلما سمع هذا الكلام رسم إشارة الصليب قائلاً : لا أعرف إذا كان هناك زيت آخر .

٤ ـ قال الأب بنيامين لأبنائه وهو في النزاع الأخير : اعلموا هذا فتخلصوا : «دائماً افرحوا ، صلّوا بلا انقطاع ، واشكروا على كل شيء» (١ تسا ٥ : ١٦) .

٥ ـ قال هو نفسه : اسلكوا الطريق الملوكي واحصوا الأميال ولا تكونوا غير مبالين .

الأب بياري

١ ـ سأل أحد الاخوة الأب بياري قائلاً : يا أبت ، ماذا أعمل لأخلص ؟ أجابه الشيخ : إذهب واجعل بطنك صغيراً وقلّل عمل يديك ولا تضطرب في قلايتك فتخلص .

القديس غريغوريوس اللاهوتي

١ ـ قال الأب غريغوريوس : ثلاثة أمور يطلبها الله من الإنسان الذي اقتبل سر المعمودية : الإيمان القويم من كل النفس ، الحقيقة من الفم ، والتعقل من الجسد .

٢ ـ وقال أيضاً : حياة الإنسان كلها يوم واحد بالنسبة للذين يتعبون بشوق .

الأب جيلاسيوس

١ ـ قيل عن الأب جيلاسيوس إنه كان لديه كتاب من جلد قيمته ثماني عشرة قطعة نقدية ، وكان مدوّناً فيه كل العهد القديم والجديد ، وقد وضعه في الكنيسة لكي يتمكن كل من أراد من الاخوة أن يقرأه . وحدث أن جاء أحد الاخوة الغرباء لزيارة الشيخ ، فرغب ، لمجرد رؤيته الكتاب ، في أن يأخذه . فسرقه ومضى . أمّا الشيخ فلم يلحقه ليمسك به مع أنه شعر بما فعل . فمضى الأخ إلى المدينة ملتمساً بيع الكتاب . ولما وجد من يشتريه ، طلب ثمنه ست عشرة قطعة نقدية . فقال له الذي أراد أن يشتريه : أعطني الكتاب أولاً لأتفحصه ، ومن ثم أدفع لك الثمن . فأعطاه إياه . هذا لما أخذ الكتاب ، مضى به إلى الأب جيلاسيوس لكي يثمّنه قائلاً له السعر المدفوع ، وذاكراً له البائع . فقال له الشيخ : خذه لأنه جيد ويستحق الثمن . ثم عاد ذلك الإنسان وقال للأخ غير ما قاله الشيخ و: ها قد أريته للأب جيلاسيوس. فلما سمع هذا قال: ألم يقل لك الشيخ أمراً آخراً؟ قال له: كلا. عندئذ قال: لا أريد أن أبيعه. ثم جاء إلى الشيخ بتأثر نادماً وراجياً إياه أن يقبله . لكن الشيخ أبى أن يأخذ الكتاب . فقال الأخ : إن لم تأخذه لن أكون في راحة . أجابه الشيخ : إذا كنت لن ترتاح عندئذ سأقبله . وأقام الأخ هناك حتى رقاده مستفيداً من عمل الشيخ ومنتفعاً .

٢ ـ أورث أحد الشيوخ ، وكان راهباً يسكن قرب نيكوبوليس (في فلسطين) ، القلاية التي كان يقيم فيها حاكم نيكوبوليس المدعو فكاتوس والأرض التي

حولها ، إلى الأب جيلاسيوس . ولكن أحد المزارعين القريبين من الشيخ المتوفىً جاء إلى الأب جيلاسيوس وطلب منه الأرض مدعياً أنه بحسب القانون كان ينبغي أن تكون الأرض له . وكان عنيفاً ، فأراد أن يغتصب الأرض بالقوة . لكن الأب جيلاسيوس رفض طلبه لأنه لم يرد أن يعطي رجلاً من العالم قلاية رهبانية . فلما رأى فكاتوس حيوانات الأب جيلاسيوس تنقل له زيتوناً من هذا الحقل ، اختطفها عنوة وأخذ الزيتون إلى بيته ، وبالجهد والهوان صرف الحيوانات ومرافقيها . أمّا الشيخ المغبوط فلم يطالب بالثمر أبداً ، ولكن السيادة على الأرض لم يتساهل بها لسبب الذي ذكر . فغضب فكاتوس من الأب جيلاسيوس ، ولما استدعته حاجات أخرى ، وكان محباً للخصام ، توجه إلى القسطنطينية سيراً على الأقدام . ولما بلغ انطاكية في وقت لمع فيه القديس سمعان كالنور ، أراد كمسيحي أن يراه . فلما رآه القديس سمعان من العامود وهو يدخل الدير ، سأله : من أين أنت وإلى أين تتوجه ؟ قال له : أنا من فلسطين مررت من هنا قاصداً القسطنطينية . أجابه القديس سمعان : ولأي سبب تقصد القسطنطينية ؟ قال فكاتوس : لحاجات كثيرة ، وأرجو بصلواتك أيها الأب القديس أن أعود وأسجد لآثارك المقدسة . فقال له القديس سمعان : لا تريد أيها الإنسان البائس أن تقول إنك ذاهب للعمل ضد رجل الله . إلاّ أن الأمور لن تكون كما ترغب ، وبيتك لن تراه بعد الآن . وإذا سمعت لي عد حالاً إليه تائباً ، هذا إذا وصلت ذلك المكان حياً . للحال انتابته الحمى ، فأسرع يطلب مسقط رأسه حسب قول القديس سمعان محمولاً على نقّالة من قبل مرافقيه لكي يعرب عن ندامته وتوبته للأب جيلاسيوس . وما أن وصل إلى بيروت حتى وافته المنية دون أن يرى بيته حسب نبوءة القديس . هذه الحادثة سردها ابنه الذي كان اسمه فكاتوس أيضاً ، إلى أناس كثيرين يثق بهم ، وذلك بعد وفاة والده .

٣ ـ وهذه رواها كثيرون من تلاميذه ، أنه ذات مرة أحضرت إليه سمكة ، فقلاها الطاهي وأعطاها إلى المسؤول في القلاية ، فوضعها في وعاء وتركها على

الأرض ، وأوصى بها فتى كان تلميذاً صغيراً للأب جيلاسيوس ، لأنه خرج إلى حاجة ملحّة . لكن الولد ، لشراهته ، بدأ يلتهمها بنهم . ولما عاد المسؤول إلى القلاية ، وجد الغلام جالساً على الأرض يأكل ، فغضب منه وركله بقدمه دون وعي ، وهذا كان بفعل شيطاني ، فأصيب الصبي في موضع حساس فأغمي عليه ومات ، فاعترى المسؤول هلع عظيم وأخذ الولد ومدّده على فراشه وغطاه ، ثم مضى وانطرح عند قدمي الأب جيلاسيوس مخبراً إياه بما حدث . فنصحه الأب أن لا يقول لأحد شيئاً ، وأمره أن يأتي بالولد ويضعه في الكنيسة أمام المذبح أثناء الليل بعد أن يكون الجميع قد ناموا . ولما دخل الشيخ إلى الكنيسة أخذ يصلّي . وفي ساعة الإنشاد الليلي عندما اجتمع الإخوة ، خرج الشيخ يتبعه الصبي دون أن يدري أحد بما حدث ، سوى الشيخ ومسؤول القلاية ، حتى رقاده .

٤ ـ لم يذكر تلاميذ الأب جيلاسيوس فقط ، لكن كثيرون من الذين كانوا يزورونه باستمرار ، انه أيام المجمع المسكوني المنعقد في خلقيدون ، عاد ثيودوسيوس[1] الذي قاد أولاً الإنشقاق الديوسقوري في فلسطين قبل أن يعود الأساقفة إلى كنائسهم ، (لأنه كان موجوداً هو أيضاً في القسطنطينية مضطهداً في وطنه ، إذ كان يسرّ بالمشاغبة دائماً) ، اندفع نحو الأب جيلاسيوس في ديره محدّثاً إياه ضد المجمع ومدّعياً أن المجمع قد أقر بدعة نسطوريوس ظاناً أنه بذلك سيأخذ القديس إلى جانبه في ادعاءاته . لكن القديس جيلاسيوس فهم رأيه الفاسد من حالته ، ومن التعقل الإلهي الذي كان عند القديس نفسه . فلم يتبعه في غيّه وارتداده كما فعل أغلب معاصريه ، لكنه رده مخذولاً كما يليق به ، بأن أحضر الصبي الذي أقامه من الموت وقال بطريقة محتشمة : إذا كنت تريد أن تتحاور بشأن الإيمان ، فأمامك هذا الصبي ليسمع أقوالك

(١) عندما عاد الراهب المصري ثيودوسيوس من خلقيدون سنة ٤٥١ أخذ يثير رهبان فلسطين ضد مجمع خلقيدون ، زاعماً أن المجمع قبل تعاليم نسطوريوس . كما أبعد البطريرك أيوفينياليوس عن كرسيه ونصب نفسه مكانه . لكن بعد سنتين أمّن الامبراطور مرقيانوس عودة البطريرك الأصيل .

ويحاججك ، لأني مشغول وليس عندي الوقت لأسمع ما تقول . فاضطرب ثيودوسيوس وتوجه إلى المدينة المقدسة (أورشليم) مختطفاً معه كل العالم الرهباني ومتخذاً قناع الغيرة الإلهية ، كما أنه اتخذ من الامبراطورة التي كانت موجودة هناك عوناً له ، فاستولى عنوةً على عرش أورشليم ، مغتصباً إياه بقتلٍ وأعمال تخالف القانون ما يزال الكثيرون يذكرونها إلى الآن . فلما أيقن بفكره أنه قد أصاب الهدف ، وبعد أن رسم العديد من الأساقفة مستولياً على كراسي الأساقفة الذين لم يرتدّوا عن الإيمان ، استدعى الأب جيلاسيوس وقاده نحو الهيكل بالوعد والوعيد . وعندما دخل الهيكل ، قال ثيودوسيوس : أبسل يوبينياليوس . أجاب الأب جيلاسيوس دون خوف : لا أعرف أسقفاً آخر سواه . ولئلا يتبعه آخرون في حماسة الورع ، أمر ثيودوسيوس أن يخرجوه بحكمة من الكنيسة . فقاده رجال من دعاة الانشقاق وأحاطوه بالأخشاب مهددين إياه بالحرق . ولكن لما رأوا أنه لا يتراجع ولا يلين ، وخوفاً من ثورة الشعب ، لأنه كان معروفاً (كل شيء يأتي من العناية الإلهية) ، تركوا الشهيد بلا أذى ، بينما كان كل ما عليه محترقاً للمسيح .

٥ ـ قيل عن الأب جيلاسيوس إنه في شبابه كان يعيش عيشة الفقر والتوحد ، وكان في نفس الوقت كثيرون يعيشون الحياة ذاتها في تلك الأمكنة . من بين هؤلاء كان هناك شيخ بسيط جداً وفقير يقيم في قلاية منفردة حتى مماته . هذا كان يجاهد منتبهاً لنفسه لئلا يملك ردائين وينشغل هو وتلميذه بهموم الغد . وحدث أنه عندما صعد الأب جيلاسيوس لكي يقيم (بمعونة إلهية) حياة مشتركة في أحد الأديار ، قُدمت إليه أملاك كثيرة وحصل على حاجات الدير من حيوانات ودواب وثيران . لأن ذلك الذي أعطى المسحة الإلهية إلى باخوميوس لكي يؤسس أول دير ، ساعده هو أيضاً في كل تجهيزات الدير . وعندما رآه ذلك الشيخ الفقير والذي ذكرناه ، محتفظاً بمحبته الصافية نحوه ، بالرغم من كل الانشغالات التي لديه ، قال له : أخشى أيها الأب جيلاسيوس أن يرتبط تفكيرك بالحقول والأراضي . فأجابه الأب قائلاً : إن تفكيرك ارتبط بالمشغل

الذي تشتغل به أكثر بكثير من ارتباط تفكير جيلاسيوس بالأملاك .

٦ ـ قيل عن الأب جيلاسيوس إنه كثيراً ما كان يقض مضجعه التفكير بالذهاب إلى البرية . وفي يوم من الأيام قال لتلميذه : اعمل لي هذا المعروف يا أخي ، واحتمل كل ما أفعله ولا تكلمني أبداً هذا الأسبوع . وأخذ غصن نخيل وبدأ يمشي في ساحته ، وعندما تعب جلس قليلاً ثم عاد ونهض وتابع السير من جديد . ولما حلّ المساء أخذ يقول في نفسه : إن من يسير في البرية لا يأكل خبزاً بل أعشاباً ، ولكن أنت بسبب ضعفك كلْ خضاراً صغيرة . ولما فعل هذا ، قال في فكره : من يعيش في الصحراء لا ينام تحت سقف إنما في العراء . وأنت إذاً ، افعل هذا . وانحنى ونام في الباحة . ولما كان يقضي ثلاثة أيام سائراً في الدير ويأكل الهندباء المرة عند المساء وينام في العراء ، تعب . فانتهر الفكر الذي كان يقلقه ووبّخ نفسه قائلاً : إذا كنت لا تستطيع أن تعمل أعمال البرية اجلس في قلايتك بتجلد وصبر باكياً خطاياك ، ولا تضلّ . لأن عين الله ترى في كل مكان أفعال الناس ولا يخفى عليه شيء البتة ، ويعرف أولئك الذين يعملون الأعمال الصالحة .

الأب يروندیوس

١ ـ قال الأب يروندیوس الذي من بترا : إن كثيرين من الذين يجرَّبون بلذات الجسد دون أن يقتربوا من الأجساد، قد زنوا بالفكر . إذ بينما تبقى الأجساد بكراً يزنون بالنفس . حسن إذن يا أحبائي أن نعمل ما هو مكتوب ، وأن يحفظ كل واحد قلبه بكل يقظة وصحو .

الأب دانيال

١ ـ قالوا عن الأب دانيال إنه لما جاء البرابرة إلى الاسقيط هرب الآباء . فقال الأب دانيال : إذا كان الله لا يهتم بي ، لماذا أحيا ؟ وهكذا اجتاز في وسطهم ، فلم يروه . فقال في نفسه : ها إن الله قد اهتم بك ولم تمت ، فاعمل أنت أيضاً ما هو إنساني ، واهرب كما هرب الآباء .

٢ ـ سأل أخ الأب دانيال قائلاً : أعطني وصية فأحفظها . قال له الأب : لا تضع يدك في قصعة (صحن) مع امرأة . ولا تأكل معها. بهذه الطريقة تنجو قليلاً من شيطان الزنى .

٣ ـ حدّثنا الأب دانيال انه كان هناك في ابنة أحد القواد في بابل شيطان ، وكان لأبيها صديق راهب ، فقال له : لا أحد يقدر أن يشفي ابنتك إلاّ الرهبان المتوحدون الذين أعرفهم . لكن إذا تضرّعت إليهم ، فإنهم سيرفضون طلبك بداعي تواضعهم . إلاّ اننا سنعمل هذا : عندما يأتي هؤلاء إلى السوق ، تظاهر وكأنك تريد أن تشتري سلالهم ، وعندما يأتون لأخذ الثمن نطلب منهم أن يصلّوا لنا ، وأعتقد انها ستشفى . فلما خرجا إلى السوق صادفا تلميذ أحد الشيوخ جالساً يبيع سلالهم ، فحملاه على الذهاب معهما والسلال أيضاً ، لأخذ الثمن . هذا لما بلغ إلى البيت ، تقدمت الفتاة التي بها شيطان ولطمته ، فما كان منه إلاّ أن أدار لها الخد الآخر عملاً بالوصية . فتعذب الشيطان وصرخ قائلاً : يا للعنف ! إن وصية المسيح تخرجني. للحال طهرت الفتاة . فلما جاء الشيوخ أبلغوهم بما حدث ، فمجدوا الله وقالوا : إنه من المألوف أن يتداعى كبرياء الشيطان أمام تواضع وصية المسيح .

٤ ـ قال الأب دانيال أيضاً : بمقدار ما ينتعش الجسد تضعف النفس . وبمقدار ما يضعف الجسد تنتعش النفس .

٥ ـ ذات يوم ، كان الأب دانيال يمشي بصحبة الأب أمويس ، فقال الأب أمويس : متى سنجلس في القلاية يا أبتِ ؟ قال له الأب دانيال : ترى من ينزع اللّه منا ؟ اللّه في القلاية وخارجها .

٦ ـ حدّثنا الأب دانيال أن الأب أرسانيوس كان في الاسقيط ، وكان هناك راهب اعتاد أن يسرق سلال الآباء . فأخذه الأب أرسانيوس إلى قلايته مريداً أن يريحه ويريح الآباء منه ، وقال له : مهما طلبت مني أعطيك ، شرط أن لا تسرق . ثم أعطاه ذهباً ونقوداً ولباساً وكل ما كان بحاجة إليه . لكنه خرج وسرق من جديد . فلما رأى الآباء هذا ، وعلموا أنه لم يكفّ عن السرقة ، طردوه قائلين : إذا وجد أخ فيه ضعف أو علة احتفظوا به ، ولكن إذا كان يسرق فاطردوه ، لأنه يهلك نفسه وكل الذين معه يجعلهم يضطربون .

٧ ـ قال الأب دانيال الفرانيتي : حدّثنا أبونا الأب أرسانيوس عن إنسان اسقيطي رفيع الشأن في العمل ساذجٍ في الإيمان . هذا بسبب الجهل كان يسقط في الخطأ ويقول : إن الخبز الذي نتناوله ليس هو بالطبيعة جسد المسيح إنما مجرد رمز له . فسمع اثنان من الشيوخ أنه يقول هذا الكلام . ولكن لما كانا يعرفان أن هذا الإنسان حسن السيرة ، ظنّا أنه يقول هذا عن حسن نية وعن سذاجة . فجاءا إليه وقالا له : يا أبانا ، لقد سمعنا عن إنسان كلاماً لا يصدق وهو أن الخبز الذي نتناوله ليس بالطبيعة جسد المسيح إنما هو مجرد رمز له ، ما رأيك ؟ قال الشيخ : أنا هو الذي يقول هذا . فطفقا يتوسلان إليه قائلين : لا تتمسك بهذا الرأي يا أبانا ، إنما ليكن لك الإيمان الذي تسلمناه من الكنيسة الجامعة . لأننا نؤمن أن الخبز نفسه هو جسد المسيح ، وما في الكأس هو دمه حقاً وليس رمزياً كما تقول . لأنه كما أنه منذ البدء أخذ تراباً من الأرض وجبل الإنسان

على صورته ، لا أحد يقدر أن يقول إن هذا خبز ، والربّ قال عنه إنه جسده . فنحن نؤمن أنه جسد المسيح حقاً . قال الشيخ : إذا لم أقتنع من الأشياء لا أؤمن . فقالا له : لنضرع إلى الله طيلة هذا الأسبوع لأننا نؤمن بأنه سيكشف لنا هذا السر . فقبل الشيخ كلامهما بفرح وتضرع إلى الله قائلاً : يا رب ، أنت تعلم أن موقفي هذا ليس عن سوء نية .لكن لئلا انخدع بالجهل ، أكشفه لي أيها الرب يسوع المسيح . ولما عاد الراهبان إلى قلايتهما ، تضرعا إلى الله قائلين : أيها الرب يسوع المسيح ، أكشف لهذا الأخ السر هذا ، لكي يؤمن بك فلا يضيع تعبه ؛فاستجاب الله لهما . فلما تمت أيام الأسبوع ، جاءا إلى الكنيسة يوم الأحد ووقف الثلاثة معاً عند أحد الأعمدة ، وكان الشيخ في الوسط ، فانفتحت أعينهم ، ولما وُضع الخبز على المائدة المقدسة بدا لهم جميعاً كأنه طفل . ولما مدّ الكاهن يده ليكسر الخبز ، للحال هبط ملاك الرب من السماء حاملاً بيده سكيناً ذبح به الطفل وسكب دمه في الكأس . ولما كان الكاهن يقطع القربان إلى قطع صغيرة ، كان ملاك الرب يقطع الطفل إلى قطع صغيرة . ولما تقدم الجميع إلى المناولة ، أعطي الشيخ لحماً مغمساً بالدم . فلما رأى ذلك ارتاع جداً وصرخ قائلاً: أؤمن يا رب بأن هذا الخبز هو جسدك ، وأن ما في هذه هو دمك . للحالِ تحوّل اللحم الذي بين يديه إلى خبز وفقاً للسر ، فتناوله وشكر الله . فقال له الرهبان : الله يعرف أن الطبيعة الإنسانية لا تقدر أن تأكل لحماً نيئاً ، لهذا حوَّل جسده إلى خبز ودمه إلى خمر للذين يقبلون هذا بإيمان . فشكر الجميع الله عن الراهب المرتاب الذي لم تذهب

٨ ـ قال الأب دانيال نفسه عن راهب كبير كان يعيش في مصر السفلى إنه كان يقول بسذاجة إن ملكيصادق هو ابن اللّه . فنقل النبأ إلى المغبوط كيرلّس رئيس أساقفة الإسكندرية ، فأرسل يستدعي الراهب . ولما كان يعرف أن الراهب هذا يجترح العجائب ، وأن كل ما يطلبه من اللّه يكشفه له ، وأن الراهب يقول هذا الكلام بسذاجة ، لجأ إلى الحكمة التالية قائلاً : يا أبت أتوسل

إليك ، لأن فكري يقول لي إن ملكيصادق هو ابن اللّه ، وفكراً آخر يقول إنه ليس ابن اللّه إنما رئيس كهنة اللّه . لهذا بما أن الشكوك تنتابني ، أرسلت في طلبك حتى تتضرع إلى اللّه فيكشف لك الأمر . فالراهب هذا ، لما كانت له ثقة كبيرة في فضيلته ، قال بصراحة : أعطني ثلاثة أيام حتى أسأل اللّه عن هذا الأمر ، وبعد ذلك أعود ثم أخبرك من هو . فمضى وصلّى إلى اللّه متضرعاً أن يكشف له هذا الأمر . ثم عاد بعد ثلاثة أيام وقال للأسقف إن ملكيصادق إنسان . فسأله رئيس الأساقفة : وكيف عرفت هذا يا أبت ؟ قال : لقد كشف لي اللّه كل البطاركة ، فكانوا يمرون أمامي الواحد تلو الآخر من آدم حتى ملكيصادق . لهذا كن متيقناً أن الأمر هكذا . ولما مضى كرز هو نفسه ، بأن ملكيصادق إنسان ، ففرح المغبوط كيرلّس جداً .

الأب ديوسقورس

١ ـ قالوا عن الأب ديوسقورس الذي من نخياستي إن خبزه كان من الشعير والعدس . وكل سنة كان يضع لنفسه بداءة للنسك قائلاً : لن أقابل أحداً هذه السنة ، أو لن أتكلم أو لن آكل مسلوقاً أو فاكهة أو خضاراً . وفي كل عمل كان يصنع هكذا . ولما كان ينتهي من الأول يبدأ بالثاني ، وهكذا دواليك كل عام .

٢ ـ قال أخ للأب بيمن : يا أبت ، أفكاري تزعجني كثيراً وتلهمني أن أترك خطاياي وانشغل بهفوات قريبي . فقال له الأب بيمن عن الأب ديوسقورس إنه كان يقيم في قلايته يبكي نفسه . أمّا تلميذه فكان يقيم في قلاية أخرى . فالتلميذ لما كان يزور الشيخ كان يجده غارقاً في البكاء ، فكان يقول له : يا أبت ، لماذا تبكي ؟ فكان جواب الشيخ : أبكي خطاياي يا ولدي . فقال التلميذ : ليس عندك خطايا يا أبتِ . أجاب الأب بيمن : في الحقيقة يا بني ، لو ترك لي أن أرى خطاياي ، عندئذ لا يكفيني ثلاثة أو أربعة آخرون يبكونها معي .

٣ ـ قال الأب ديوسقورس : إذا لبسنا ثوبنا السماوي فلا نكون عراة . ولكن إذا لم نلبسه فماذا سنعمل يا إخوتي ؟ لا ريب في أننا سنسمع ذلك الصوت القائل : « اطرحوه إلى الظلمة الخارجية ، إذ هناك يكون البكاء وصريف الأسنان » (متى ٢٢ : ١٣) . على كل حال يا إخوتي ، إنه عار علينا بعد أن لبسنا هذا الثوب (الاسكيم)[١] ، زماناً طويلاً ، أن نوجد وقت الحاجة بدون لباس العرس . كم من التوبة سيصير لنا في المستقبل . أي ظلام سيهبط علينا أمام آبائنا وإخوتنا عندما يشاهدوننا نأخذ جزاءنا من ملائكة العقاب .

الأب دولاس

١ ـ قال الأب دولاس : إذا أرغمنا العدو على هجر السكينة ينبغي أن لا نصغي إليه لأنه لا شيء يماثلها في الوجود . كذلك هو الحال مع الصوم . فالصوم يقترن بالسكينة في تحالف ضد العدو . وهذان (الصوم والسكينة) يعطيان العين الداخلية وضوحاً في الرؤية وحدّة في النظر .

٢ ـ وقال أيضاً : اقطع علاقتك مع الكثيرين حتى لا تكون حربك مع العقل الأعلى مزعجة ، فتثير الاضطراب في طريقة هدوئك[٢] .

---

(١) الاسكيم هو علاقة قبول النذور الرهبانية .

(٢) هذا القول يشبه قولاً لإفاغريوس البنطي (٢) . راجع « فصول في الصلاة والحياة الروحية » ، منشورات النور ، ١٩٨٣ .

القديس ابيفانيوس اسقف قبرص

١ ـ حدّثنا القديس إبيفانيوس الأسقف أنه ، في عهد المغبوط أثناسيوس الكبير ، كانت هناك جماعة من الغربان تطير على مقربة من هيكل سرابذوس . وكانت تنعب بدون توقف : كراك . . . . كراك . . . . كراك . . . . كراك . . . . . فجاء عبدة الأوثان إلى القديس أثناسيوس وقالوا له : أيها الشيخ الشرير ، قل لنا لماذا تنعب الغربان ؟ أجاب : الغربان تنعب وتقول : كراك . . . كراك . . . . التي تعني في لغة اللاتين « غداً » . ثم أردف : غداً سترون مجد الله . وفي اليوم التالي وصل نبأ وفاة الملك يوليان . فلما حدث هذا اجتمعوا كلهم ونادوا بسرابذوس . إذا كنت لا تريده لماذا كنت تقبل عطاياه ؟

٢ ـ هو نفسه قال إنه في مدينة الإسكندرية كان يعيش حوذي ابن امرأة تدعى مريم . هذا سقط مرة عن ظهر جواده أثناء سباق للخيل . إلاّ أنه نهض من جديد واجتاز الذي سبقه وفاز في السباق، فصرخ الجمهور قائلاً: إبن مريم سقط ونهض وانتصر. ولمّا كان هذا الصوت يطن في المسامع بعد، سرى بين الجمهور نبأ اعتلاء ثيوفيلس الكبير السدة وانه قد حطم صنم سريذوس واستولى على المعبد.

٣ ـ أُعلن للمغبوط إبيفانيوس أسقف قبرص على لسان رئيس دير تابع له في فلسطين أنه بصلواتك لم نهمل قانوننا ، إنما نقيم الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة بحماس كبير . أمّا هو فانتقدهم وقال لهم : من الواضح انكم تهملون ساعات النهار الأخرى طالما انكم تتوانون عن الصلاة ، لأن الراهب الحقيقي ينبغي أن يحوي الصلاة في قلبه على الدوام .

٤ ـ أرسل القديس إبيفانيوس إلى الأب إيلاريون إنساناً يستعطفه ويقول : دعنا نرى بعضنا قبل خروجنا من هذا الجسد . فلما التقيا فرحا جداً . ولمّا جلسا للطعام دُفعت إليهما دجاجة ، فتناولها الأسقف وأعطاها للأب إيلاريون ، فقال إيلاريون : سامحني يا أخي ، لأني مذ أخذت الاسكيم لم آكل مذبوحاً . فقال له الأسقف : أمّا أنا فمنذ ان أخذت الاسكيم لم أترك أحداً ينام وفي قلبه عليّ شيء ، ولا أنا نمت وفي قلبي شيء على أحد (متى ٥ : ٢٣ ـ مرقس ١١ : ٢٥) . قال الأب إيلاريون : سامحني يا أخي ، لأن فضيلتك أعظم من فضيلتي .

٥ ـ قال القديس إبيفانيوس : إذا كانت صورة المسيح ، ملكيصادق ، قد باركت أصل اليهود ، أي ابراهيم ، فكم بالحري المسيح نفسه الذي يبارك كل الذين يؤمنون به ويقدّسهم .

٦ ـ هو نفسه قال : الكنعانية تصرخ فيُسمع لها ، والنازفة الدم تصمت فتُغبّط ، لكن الفرّيسي يصرخ فيُدان ، والعشّار لا يفتح فاه فيُستجاب له (متى ١٥ : ٢١ ـ ٢٨ ، متى ٩ : ٢٠ ـ ٢٢ ، لوقا ١٨ : ٩ ـ ١٤) .

٧ ـ هو نفسه أيضاً قال : النبي داود كان يصلّي دون تحديد وقت ، وينهض للصلاة في نصف الليل ، ويضرع إلى الله قبل السحر ، وفي السحر كان حاضراً ، وعند المساء ونصف النهار كان يبتهل إلى الله ، لهذا السبب كان يقول : « سبع مرات في اليوم سبّحتك» (مزمور ١١٨ : ١٦٤) .

٨ ـ وقال أيضاً : انه لمن الضروري اقتناء الكتب المسيحية عند من يقدر على ذلك ، لأن مجرد رؤيتها تجعلنا بعض الشيء متكاسلين نحو الخطيئة وتحثنا على العودة إلى البرّ أكثر .

٩ ـ وقال أيضاً : إن قراءة الكتب المقدسة ضمانة كبيرة للهرب من الخطيئة .

١٠ ـ وقال أيضاً : إن جهل الكتب المقدسة هاوية عميقة ومنخفض سحيق .

١١ ـ وقال أيضاً : إنها لخيانة للخلاص عظيمة ان لا نعرف ولا ناموساً واحداً من النواميس الإلهية .

١٢ ـ وكان يقول : إن خطايا الأبرار تقترن بالشفاه ، أمّا خطايا الأشرار فتقترن بالجسد كله . لأجل هذا يقول النبي داود : « إجعل يا رب حارساً لفمي وباباً حصيناً على شفتي » (مزمور ١٤٠ : ٣) . وأيضاً : « أنا قلت سأحفظ طرقي لئلا أخطأ بلساني » (مزمور ٣٨ : ٢) .

١٣ ـ سئل القديس إبيفانيوس : لماذا تكون الوصايا الناموسية عشراً والتطويبات تسعاً قال : الوصايا العشر مساوية في العدد لضربات المصريين ، أمّا التطويبات فهي صورة ثالوثية للثالوث القدوس .

١٤ ـ سُئل هو نفسه : هل يكفي بارّ واحد لاستعطاف الله ؟ قال : نعم ، لأنه قال : « جد لي واحداً يحفظ الحق والبرّ فأرحم كل الشعب » (إرميا ٥ : ١) .

١٥ ـ هو نفسه قال أيضاً : الله يمنح الخطأة رأس المال عندما يتوبون ، كما هو الحال مع الزانية والعشّار ، ولكنه من الأبرار يطلب الفائدة . وهذا ما قاله للرسل : « إن لم يزد برّكم على الكتبة والفرّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ٥ : ٢٠) .

١٦ ـ وقال أيضاً : بالرخص الشديد يبيع الله البرّ للذين يبادرون إلى شرائه : بقطعة خبز صغيرة وثياب وضيعة وكأس ماء بارد وبفلس واحد .

١٧ ـ ثم أضاف هذا أيضاً : عندما يقترض الإنسان من إنسان مالاً ، أمّا بسبب الفقر ، أو لسعة أكبر ، ويردّ الدَين ويقرّ بالمعروف ، إنما يفعل ذلك خفية بسبب الخجل . أمّا الله السيد فيفعل العكس . يقترض في الخفاء ويرده أمام الملائكة ورؤساء الملائكة والأبرار .

القديس افرام

١ ـ كان القديس افرام طفلاً عندما رأى في ا لحلم أن كرمة صعدت إلى لسانه فنمت وكبرت وملأت الأرض وصارت كثيرة الثمر وكانت كل طيور السماء تأتي وتأكل من ثمارها . وكان ، كلما ازداد عدد الآكلين منها ، يكثر ثمرها ويزيد .

٢ ـ ذات يوم رأى أحد القديسين ، في رؤيا ، جماعة من الملائكة يهبطون من السماء بأمر من الله وهم يحملون في أيديهم درجاً ، أي كتاباً ، مكتوباً عليه من الداخل والخارج ، وكانوا يقولون في ما بينهم : من سيستلمه ؟ فالبعض كانوا يقولون « فلان » ، والبعض الآخر « فلان » . إلاّ أنهم قالوا أخيراً : في الحقيقة هؤلاء كلهم قديسون وأبرار ، لكن الكتاب هذا لا يقدر أن يتسلمه سوى أفرام . فرأى هذا الشيخ صاحب الرؤيا أن الملائكة قد سلّمت الكتاب إلى أفرام . ولمّا نهض عند الصباح سمع أفرام يبشر كما لو كان ثمة نبع يتدفق من فمه ، ففهم ان ما كان ينسكب على شفتيه هو من الروح القدس .

٣ ـ وذات يوم جاءت إلى أفرام امرأة زانية تريد أن تجربه بكلماتها من أجل جماع مشين . وكانت تبغي في حال رفضه طلبها ، أن تحركه على الأقل إلى الغضب ، لأن أحداً من الناس لم يكن يراه يغضب أبداً . قال لها افرام : اتبعيني . فلمّا جاء إلى مكان يعج بالناس قال لها : هلمّي الآن نفعل ما تريدين . لكن هذه بعد أن رأت الجموع الكثيرة ، قالت له : كيف نقدر أن نفعل هذا أمام جمهور كهذا واقف هنا ، ودون أن نخجل ؟ فقال لها أفرام : إذا كنا نستحي من الناس فكم بالأحرى ينبغي لنا أن نخْجل من الله الذي يفحص خفايا القلوب . فتركته المرأة لفرط خجلها ، خائبة الظن .

إفخارستوس الذي في العالم

١ ـ تضرع اثنان من الآباء إلى الله أن يكشف لهما إلى أي قياس روحي وصلا . فجاءهما صوت يقول : في القرية الفلانية من مصر إنسان يدعى أفخارستوس يعيش مع زوجته مريم . أنتما لم تبلغا بعد إلى قياسهما . فنهض الراهبان وتوجها إلى تلك القرية . وبعد البحث عن أفخارستوس وجدا حجرته وامرأته مريم ، فقالا لها : أين رجلك ؟ أجابت : إنه يرعى الغنم . ثم قادتهما إلى حجرته . ولمّا حلّ المساء عاد أفخارستوس إلى البيت مع القطيع . فلماّ رأى الشيخين أعدّ لهما للحال مائدة وأحضر ماء ليغسل أرجلهما . فقال له الضيفان : لن نذوق شيئاً من عندك إذا لم تحدثنا عن عملك . فقال أفخارستوس بتواضع : أنا راعٍ وهذه زوجتي . فألح عليه الراهبان الشيخان متضرعين إليه أن يخبرهما . أمّا هو فلم يشأ أن يتكلم . فقالا له : الله أرسلنا إليك . فلما سمع هذا الكلام ارتاع ، ففتح فاه وقال : هذه الأغنام ورثناها عن أهلنا ، وكل ما يجود به الله علينا نقسمه إلى ثلاثة . الأول نقدمه للضيوف ، والثاني نوزعه على الفقراء ، والثالث نتركه لحاجتنا . ومن يوم زفافنا إلى الآن لم نتنجس ، إذ إنها عذراء . في الليل ننام على انفراد ونلبس مسحاً[1] ، وفي الصباح نعود فنلبس ثيابنا . وإلى الآن لا أحد من الناس يعرف بهذا . فلما سمع الشيخان هذا الكلام تعجبا ، وغادرا البيت ممجدين الله .

---

(١) المسوح لباس متقشف جداً .

أفلويوس الكاهن

١ ـ أفلويوس ، تلميذ المغبوط يوحنا الأسقف وكاهن وناسك كبير ، كان يصوم كل يومين . ومراراً كثيرة كان يطيل صومه إلى أسبوع كامل عائشاً على الخبز والملح ، فتعجب الناس من سيرته . هذا زار الأب يوسف في بنفو متوقعاً أن يجد عنده نسكاً أقسى . فقبله الأب يوسف بفرح وقدّم له ممّا عنده . فقال تلاميذ أفلويوس : الأب أفلويوس لا يأكل سوى خبز وملح . أمّا الأب يوسف فكان يأكل صامتاً . وبعد أن أقاموا عنده ثلاثة أيام ، لم يسمعوهما يصلّيان أو يرتلان ، لأن عملهما كان خفياً . وهكذا خرجوا دون أن ينتفعوا . ولكن ، بتدبير إلهي ، حلّ ضباب على المكان كله ، فكادوا أن يضلّوا فعادوا إلى الأب يوسف . لكن قبل أن يقرعوا الباب ، سمعوهما يرتلان ، فوقفوا مدة طويلة قبل أن يقرعوه . بعد ذلك توقف الشيخان عن الإنشاد واستقبلاهم بفرح . ولشدّة الحر سكب تلاميذ أفلويوس ماء في وعاء وقدّموه إليه . وكان الماء الذي في الوعاء مزيجاً من ماء البحر والنهر ، فلم يقدر أن يشرب . بعد هذا سقط عند قدمي الشيخ يريد أن يعرف سيرته وقال : يا أبانا ، ما هذا ؟ أثناء وجودنا بينكما لم ترتلا ، وبعد رحيلنا ها قد بدأتما بالترتيل . كذلك الوعاء الذي أخذته وجدت أن فيه ماء مالحاً . قال الشيخ : لقد انخدع الأخ وسكب في الوعاء ماء مالحاً . فرجاه أفلويوس مريداً أن يعرف منه الحقيقة . فقال الشيخ : إن كأس الخمر الصغيرة هي للعشاء المشترك . لكن الماء الذي هنا فهو الذي يشربه الإخوة على الدوام . ثم لقنه تمييز الأفكار وفرز له كل ما هو إنساني ، فصار معتدلاً وبدأ يأكل من كل ما يقدم له ، وتعلّم العمل في الخفية ، ثم قال للشيخ : في الواقع ، عملك حقيقي يا أبتِ .

الأب أفبر بيوس

١ ـ قال الأب أفبربيوس : إذا ملكت في قلبك الثقة واليقين بأن الله أمين وقدير ، آمن به فتشترك في ما له . ولكن إذا لم تكترث فلن تؤمن . ونحن ما دمنا نؤمن بأنه قوي وقدير ، فإننا نؤمن بأن كل شيء ممكن له . ولكن في أمورك أنت آمن به ، لأنه فيك أيضاً يجترح آيات وعجائب .

٢ ـ هو نفسه ، عندما سلبوا له أمتعته ، كان يساعدهم على نقلها . ولكن لمّا أبقى اللصوص له عصاه ، حزن جداً وحملها وشرع يركض وراءهم يريد أن يعطيهم إياها . لكن هؤلاء رفضوا أن يقبلوها لأنهم كانوا يخشون حدوث شيء لهم . فما كان من أفبربيوس إلاّ أن سلّمها للمارة الذين كانوا يسلكون الإتجاه ذاته ورجا منهم أن يسلّموهم اياها .

٣ ـ قال الأب أفبربيوس : الجسديات مادة . فالذي يحب العالم يحب العثرة . لذلك إذا حدث وفقدنا شيئاً لنا ، علينا أن نقبل هذا بفرح وحمد على اننا قد انعتقنا وتحرّرنا من بعض الإهتمامات .

٤ ـ سأل أخ الأب أفبربيوس عن الحياة ، فقال له : كل عشباً ، البس عشباً ، نم بين الأعشاب [١] . فقط إجعل قلبك من حديد .

٥ ـ سأل أخ الأب أفبربيوس قائلاً : كيف تحلّ مخافة الله في النفس ؟ أجابه الأب إذا اقتنى الإنسان التواضع واللاقنية واللاعيب يصير فيه خوف الله .

---

(١) ويقصد بهذا أن على الإنسان أن يحتقر كل شيء .

٦ ـ هو نفسه قال : فليلازمك خوف الله والتواضع والحرمان من الأطعمة وأيضاً النوح .

٧ ـ زار الأب أفبربيوس في بداية حياته ناسكاً وسأله : يا أبتِ ، قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ أجابه الناسك : إذا أردت أن تخلص لازم عدم الكلام ولا تسبق أحداً إليه . لا تتكلم قبل أن يسألوك . فتأثر أفبربيوس من كلام الناسك وصنع له مطانية قائلاً : في الحقيقة ، اني قرأت كتباً كثيرة ، لكني لم أسمع بتربية كهذه . ثم خرج من عنده منتفعاً جداً .

الأب ألاذيوس

١ ـ قالوا عن الأب ألاذيوس إنه أقام عشرين سنة في القلالي لم يرفع عينيه إلى فوق ليرى سقف الكنيسة .

٢ ـ قالوا عن الأب ألاذيوس أيضاً أنه كان يأكل خبزاً وملحاً . فلما كان الفصح قال : الإخوة يأكلون خبزاً وملحاً ، أمّا أنا فعليّ أن أبذل جهداً من أجل الفصح . في الأيام السالفة كنت آكل وأنا جالس ، لكن الآن ، في زمان الفصح ، سأبذل جهداً لآكل وأنا واقف .

الأب إفاغريوس

١ ـ قال الأب إفاغـريوس : عندمـا تجلس في قلايتـك إجمـع فكرك . تذكر أيام الموت . تأمل عندئذ في موت الجسد وافهم المصيبة . التـزم الألـم وامقـت أباطيل العالم لكي تتمكن من أن تثبت في السكينة ، ولا تضعف . ثم تذكَّر الحالة في الجحيم . فكِّر في النفوس التي هناك وحالتها ، وفي أي صمت هي ، وفي أي تنهد مرّ تقيم ، كذلك في أي خوف مريع هي وفي أي نزاع وترقب . فكِّر في الألم الذي لا ينتهي والدموع النفسية التـي لا تنتهـي . فكِّر في يوم القيامة والمثول أمام الله . تذكَّر متصوراً تلك الدينونـة الرهيبـة . اسـتحضر أمامك ما يختص بالخاطئين ، والعار والخزي أمـام اللـه والملائـكة ورؤسـاء الملائكة والبشر . فكِّر بمكان العقاب والنار الأبدية والدود الذي لا ينام وجهنم والظلمة وصريف الأسنان والخوف والعذاب . استحضر أيضاً الخيرات التي تختص بالأبرار ، الدالّة أمام الله الآب ومسيحه يسوع والملائـكة والرؤسـاء وكل رهط القديسين ، وملكوت السموات وعطاياه وفرحه والتمتع به . ضع في عقلك ذكر هذين الأمرين الآخرين . كذلك إبكِ دينونة الذين خطئوا واذرف الدمع ونُح خائفاً لئلا توجد أنت معهم . وافرح وسرّ من جهة الخيرات التي تختص بالأبرار . اهتم بها لكي تتذوقها وتتمتع بها . أمّا تلك ، فاجتنبهـا . انتبه كي تنسى ذكرها سواء في صومعتك أو في أي مكان آخر ، لكي تتمكن على الأقل من الهرب من الأفكار النجسة المؤذية .

٢ ـ وقال أيضاً : إقطع علاقتك مع كثيرين لئلا يصـير عقلك كثـير الإهتمامـات فيضطرب هدوءك .

٣ ـ وقال أيضاً : عظيم أن يصلّي المرء بدون شرود لكن الأعظم هو أن يرتل بدون تشتت .

٤ ـ وقال أيضاً : تذكّر على الدوام ساعة خروجك ولا تنسى الدينونة الأبدية ، فلا توجد في نفسك خطيئة .

٥ ـ وقال أيضاً : أَبعِدْ التجارب ، فلا يخلص أحد .

٦ ـ وقال أيضاً : أخبرنا أحد الآباء أن أقسى أساليب الحياة هو الذي يقترن بالمحبة ، إذ سرعان ما يدخل الراهب إلى ميناء اللاهوى .

٧ ـ انعقد مجمع في القلالي بشأن أمر ما ، فتكلم الأب افاغريوس ، فقال له الكاهن : نعلم يا أبانا انك لو كنت في بلدك لأصبحت أسقفاً وزعيماً على كثيرين ، لكنك هنا تقيم كغريب . فتحرك افاغريوس لكنه لم يضطرب ، بل هز رأسه وقال له : بالصواب نطقت يا أبتِ . لكني « مرة تكلمت ، ومرتين لا أزيد » (أيوب ٣٩ : ٣٥) .

الأب افذمونوس

١ ـ قال الأب افذمونوس عن الأب بفنوتيوس أبِ الاسقيط : نزلت إلى هناك شاباً فلم يَدَعني أقيم قائلاً أمامي : إنني لا أترك مشهد امرأة يقيم في الاسقيط ، بسبب حرب العدو (١) .

---

(١) الأرجح أن افذمونوس كان أمرد عندما نزل إلى الاسقيط.

الأب زينون

١ ـ قال الأب زينون تلميذ المغبوط سلوان : لا تقم في مكان معروف ، ولا تجالس إنساناً ذائع الصيت ، ولا تضع قاعدة[١] تبني فوقها منسكاً خاصاً بك .

٢ ـ قالوا عن الأب زينون إنه منذ البدء لم يكن يريد أن يأخذ شيئاً من أحد . لهذا ، كل الذين جاؤوه بهدايا عادوا محزونين ، لأنه ما كان يقبل شيئاً من أحد . والبعض كانوا يأتون ليأخذوا منه كما من شيخ جليل عظيم ، فلم يكن عنده ما يعطيهم إياه . وهؤلاء أيضاً كانوا يعودون محزونين . فقال الشيخ : ماذا أعمل ما دام الذين يأتون يعودون محزونين ، والذين يطلبون يعودون أيضاً وقد أصابهم ما أصاب الأولين ؟ هذا هو الأنسب : إذا قدّم لي أحد شيئاً آخذه ، وإذا جاء أحد يطلب شيئاً أعطيه إياه . ولما عمل هذا كان يريح الجميع ويرضيهم .

٣ ـ زار أخ من مصر الأب زينون في سوريا . وكان ينتقد نفسه ويشتكي من أفكاره في حضرة الأب زينون . فتعجب الشيخ وقال له : إن الفضائل التي يملكها المصريون يخفونها ، لكن العيوب التي ليست فيهم يشتكون دائماً منها . أمّا السوريون واليونانيون فيدّعون اقتناء الفضائل التي ليست عندهم ، لكن العيوب التي عندهم يخفونها .

٤ ـ جاء إليه بعض الاخوة وسألوه قائلين : ما معنى المكتوب في سفر أيوب : «أمّا السماء فليست نقية » (١٥ : ١٥)؟ أجابهم الأب : لقد ترك الإخوة خطاياهم وشرعوا يبحثون عن السموات . هذا هو تفسير الآية . ولكن لما كان هو وحده

---

(١) اشارة إلى التغرب وعدم الإرتباط بالدنيويات .

نقياً وطاهراً ، قال : « أمّا السماء فليست نقية »[1] .

٥ ـ قالوا عن الأب زينون إنه ، لما كان في الاسقيط ، خرج في الليل من قلايته قاصداً الواحة ، فتاه وظل ثلاثة أيام وليالي يمشي . فلما أنهكه التعب سقط وأخذ ينتظر الموت . فانتصب أمامه صبي صغير كان يحمل بيده قطعة خبز وقارورة ماء وقال له : انهض وكل . فنهض وصلّى ظاناً أنه خيال . فقال له الصبي . حسناً فعلت . فصلّى للمرة الثانية والثالثة ، فقال له الصبي : حسناً فعلت . فنهض الشيخ وأخذ الخبز والماء وأكل . ثم قال له الصبي : مهما مشيت ستظل بعيداً عن قلايتك . انهض واتبعني . للحال وجد نفسه في قلايته . فقال له الشيخ : تعال وصلّ لنا . فلما دخل الشيخ اختفى الصبي .

٦ ـ ذات يوم ، بينما كان الأب زينون متجهاً إلى فلسطين ، جلس قليلاً عند حديقة فيها خضار ليأكل . فقال له فكره : خذ خيارة واحدة وكل . ما قيمتها ؟ فقال زينون لفكره : اللصوص يذهبون إلى الجحيم . جرِّب أنت نفسك ههنا لنرى إن كنت تحتمل الجحيم . فنهض ووقف خمسة أيام في الحر ، ولما احترق قال لفكره : إن كنت لا تقدر أن تحتمل الجحيم لا تسرق لتأكل .

٧ ـ قال الأب زينون : إن من يريد الله أن يستجيب صلاته ، عليه قبل كل شيء عندما ينهض للصلاة ويمد يديه نحو اللّه ، أن يصلّي أولاً من أجل أعدائه . وإذا ما فعل هذا فإن اللّه يستجيب لكل طلباته .

٨ ـ قالوا عن إنسان قروي إنه كان يصوم كثيراً ، حتى صاروا يسمّونه « الصوّام » . فلما سمع به الأب زينون ، أرسل يدعوه إلى زيارته ، فلبّى هذا الدعوة ومضى . وبعد الصلاة جلسا . فبدأ الشيخ يعمل بصمت دون أن يتمكن الصوّام من التحدث إليه ، فانزعج من الضجر وقال للشيخ : صلّ من أجلي يا أبتِ لأني راحل . فقال له الشيخ : ولماذا ؟ أجابه الصوّام : ان قلبي يكاد

---

(١) الجواب سقراطي . لكن عموماً هكذا كان جواب النساك في الأمور النظرية .

يحترق ولا أعرف ما به . لأني لما كنت في القرية ، كنت أصوم حتى المساء ولم يكن يصيبني ما يصيبني الآن . فقال له الشيخ : في القرية كنت تأكل بأذنيك . لكن انهض الآن وكلْ في التاسعة (أي الثالثة بعد الظهر) ، وأي خير تصنع اصنعه في الخفاء . ولما بدأ يعمل هكذا كان ينتظر بضيق حتى التاسعة . فقال الذين عرفوه ان به شيطاناً . فجاء من جديد إلى الشيخ وذكر له كل ما يحدث له ، فقال له الشيخ : هذه الطريق هي الطريق إلى الله .

الأب زخريا

١ ـ قال الأب مكاريوس للأب زخريا : قل لي : ما هو عمل الراهب ؟ أجابه : أتسألني أنا يا أبت ؟ قال : لي ثقة بك يا ابني زخريا . لأن هناك ما يدفعني إلى طرح السؤال عليك . أجابه الأب زخريا : برأي يا أبتِ ، الراهب هو من غصب نفسه في كل شيء .

٢ ـ جاء الأب موسى إلى البئر ليستقي ، فوجد هناك الأب زخريا يصلّي لنا وروح اللّه يرفرف فروقه .

٣ ـ قال الأب موسى للأب زخريا : قل لي ماذا أعمل ؟ فلما سمعه هذا سقط عند قدميه قائلاً : أتسألني أنا يا أبتِ ؟ قال له الأب موسى : صدقني يا بني . رأيت الروح القدس نازلاً عليك . لهذا السبب أنا مجبر أن أسألك . عندئذ انتزع زخريا عمامته من فوق رأسه وطرحها تحت قدميه وداسها وهو يقول: إذا لم ينسحق الإنسان هكذا لا يقدر أن يصبح راهباً.

٤ ـ لما كان الأب زخريا في الأسقيط رأى رؤيا ، فقام وأطلع الأب كريونوس عليها . أمّا الشيخ ، فلما كان عملياً في تربيته وغير دقيق في مثل هذه الأمور ، نهض للحال وضربه قائلاً إن هذه الرؤيا من الشياطين . لكن هذا الفكر بقي . فنهض ومضى في الليل إلى الأب بيمن وقصّ عليه الأمر وكيف أنه يحترق في داخله . فلما رأى الشيخ أنه من الله قال له : اذهب إلى الأب الفلاني ، ومهما قال لك افعله . فلما مضى إليه أخبره بكل الأمر قبل أن

يكلمه ، وأردف : الرؤيا هذه هي من الله . إنما إذهب وأطع أباك[1] .

٥ ـ قال الأب بيمن إن الأب موسى سأل الأب زخريا عند موته : ماذا ترى ؟ أجابه زخريا : أليس من الأفضل أن نصمت يا أبتِ ؟ فقال له الأب موسى : نعم يا بني ، اصمت . وفي ساعة انتقاله تطلع الأب اسيذوروس إلى السماء وكان جالساً ، وقال : افرح وسر يا بني زخريا لأن أبواب ملكوت السموات قد انفتحت لك .

(١) الأب كريونوس كان والده بالجسد أيضاً. أي بالرغم من أن الأب هذا على حق في كلامه ، إلاّ أن زخريا ينبغي أن يكون مطيعاً لأبيه .

الأب أشعيا

١ ـ قال الأب أشعيا : لا شيء ينفع المبتدىء كالشتم والاهانة ، لأنه ، كما أن الشجرة ترتوي كل يوم ، هكذا المبتدىء الذي يُشتم فيحتمل[١] .

٢ ـ قال أيضاً للذين بدأوا يخضعون جيداً للآباء القديسين : ان الصباغ الأول لا يزول كما في الأرجوان . ثم أردف قائلاً : كما أن الغصن الغضّ ينحني بسهولة ، هكذا يكون المبتدئون في الطاعة .

٣ ـ وقال أيضاً : إن المبتدىء الذي يتنقل من دير إلى دير يشبه حيواناً يطارده ذباب الخيل من كل الجهات .

٤ ـ وقال أيضاً : انتقد كاهن بيلوسيوس الاخوة عندما اجتمعوا حول مائدة المحبة ، فبدأوا يأكلون ويتكلمون في ما بينهم في الكنيسة ، قائلاً : إصمتوا يا اخوتي . لقد رأيت أخاً يأكل ويشرب الكأس مثلكم وصلاته ترتفع إلى الله مثل النار .

٥ ـ قالوا عن الأب أشعيا إنه حمل وعاءه ومضى إلى البيدر وقال للفلاح : أعطني قمحاً . أجابه الفلاح : وهل حصدت أنت أيضاً يا أبتِ ؟ قال له الأب أشعيا : كلا . فقال الفلاح : كيف تريد إذن ، أن تحصد من حيث لم تزرع ؟ فقال الأب : إذا لم يزرع الإنسان ألا يتقاضى أجراً ؟ أجابه الفلاح : كلا . وهكذا عاد الأب أدراجه إلى قلايته . فلما رأى الاخوة ما فعل سجدوا له

(١) الشتائم والإهانة تدرب على الصبر

ورجوا منه أن يقول لهم لماذا فعل هكذا . قال لهم الأب : لقد فعلت هذا للعبرة ، حتى يفهم من لا يعمل أنه بدون العمل لا ينال جزاء من اللّه .

٦ ـ دعا الأب أشعيا واحداً من الاخوة وغسل له رجليه . ثم جعل حفنة من عدس في قدر ووضعه على النار . ولما بدأت تغلي أنزلها عن النار ، فقال له الأخ : لم تنضج يا أبتِ . قال له الأب : ألم تكفك النار التي رأيت ؟ هذه تعزية كبرى .

٧ ـ وقال أيضاً : إذا أراد الله أن يرأف بنفس ويرحمها ، تجمح ولا تحتمل وتفعل مشيئتها ، فيسمح اللّه أن تذوق ما لا تريد حتى إنها بهذه الطريقة تفتش عنه .

٨ ـ وقال أيضاً : عندما يريد الإنسان أن يقابل الشر بالشر ، فإنه يستطيع ، بإيماءة فقط ، أن يؤذي ضمير قريبه .

٩ ـ سُئل الأب أشعيا : ما هي محبة الفضة ؟ قال : هي عدم الإيمان بأن الله يهتم بك ، واليأس من وعوده ، ومحبة الافتخار والعظمة .

١٠ ـ سُئل أيضاً : وما هو الغضب ؟ قال : انه الجهل والخصام والكذب .

١١ ـ سُئل أيضاً : وما هي المذمة ؟ أجاب : هي جهلنا مَجْدَ الله وحسدنا القريبَ .

الأب ايليا

١ ـ قال الأب ايليا : أخاف ثلاثة : عندما توشك نفسي أن تفارق جسدي ، وعندما انتصب أمام الله ، وعندما يصدر الحكم بحقي .

٢ ـ قالوا للأب ايليا في مصر عن الأب أغاثون[١] إنه صالح ، أجابهم الأب ايليا : هو صالح في جيله . فسألوه : وعند الأقدمين ، ما قيمته ؟ أجاب : قلت لكم إنه صالح في جيله ، ولكن بالنسبة للأولين فإني أقول لكم إنني قد رأيت في الاسقيط انساناً يقدر أن يوقف الشمس في السماء ، تماماً كما فعل يشوع بن نون . فلما سمعوا هذا ، ذهلوا ومجدوا الله[٢] .

٣ ـ قال الأب ايليا : ما قوة الخطيئة عندما توجد التوبة ؟ كذلك ، ما نفع المحبة عندما يظهر الكبرياء ؟

٤ ـ قال الأب ايليا : رأيت انساناً يحمل قرعة وخمراً تحت إبطه . ولكي أخجل الشياطين أن هذا وهم ، قلت للأخ : أحسِنْ إليّ وارفع هذا . فلما شمّر عن ساعده وجد أنه لا يملك شيئاً . هذا قلته لكم ، حتى ، إذا رأيتم شيئاً بأم أعينكم ، وسمعتم به بآذانكم لا تقبلوه . فكم بالأحرى ينبغي أن تحفظوا ضمائركم وأفكاركم عالمين أن الشياطين تلقي هذا الشيء بغية تدنيس النفس ، فينشغل الذهن بغير الخطايا والله .

٥ ـ وقال أيضاً : يفكر الناس إمّا بالخطايا ، أو بالمسيح ، أو بالناس .

---

(١) كلمة « اغاثون » تعني صالح .

(٢) على الرغم من مضي ثلاثة أجيال على ظهور الرهبنة في الاسقيط فإنه لم يكن أحد ، حسب الناس ، يضاهي الأبرار القدامى .

٦ ـ قال أيضاً إذا لم يرتفع العقل الأعلى مع الجسد ، عبثاً نتعب لأن من أحب الضيق ينتقل إلى فرح وراحة .

٧ ـ حدّثنا هو نفسه أن أحد الشيوخ أقام في هيكل للأوثان ، فجاءت الشياطين تقول له : إرحل عن مكاننا . فقال لها الشيخ : أنتِ ليس لكِ مكان . فشرعت الشياطين تبعثر أغصان النخيل التي أمامه . أمّا الشيخ فأصرّ على أن يجمعها من جديد . فما كان من الشياطين إلاّ أن أمسكت بيده وجرّته الى الخارج . فلما وصل الشيخ إلى الباب ، أمسكه باليد الأخرى وهو يصرخ : يا يسوع أعنّي . وللحال اختفت الشياطين ، فبدأ الشيخ يبكي . فقال له الرب : لماذا تبكي ؟ قال الشيخ : لأنهم يتجاسرون على الانسان ويعبثون به هكذا . أجابه الرب : أنت تقاعستَ . ولكن لما طلبتني ، هل رأيت كيف أسرعت إلى نجدتك ؟ هذه أقولها لكي أثبت أننا بحاجة إلى تعب كثير ، إذ بدون التعب لا يقدر أحداً أن يكون مع الله . فالله قد صلب لأجلنا .

٨ ـ زار أحد الإخوة الأب ايليا الهدوئي ، في دير القديس سابا وقال له : يا أبتِ ، قل لي كلمة ، أجاب الأب : في أيام آبائنا كانت الفضائل الثلاث : اللاقنية ، والامساك والوداعة ، محبوبة جداً . والآن ، يسود بين الرهبان الطمع والشراهة والوقاحة . وأمّا أنت ، فاحتفظ بما تشاء .

الأب هيراقليون

١ ـ حورب أحد الإخوة ، فأطلع الأب هيراقليون على ذلك . فقال الأب مشدّداً إياه : انه كان لأحد الشيوخ تلميذ دائم الطاعة ، هذا حورب مرة فسجد أمام أبيه قائلا : ساعدني كي أصير راهباً . قال له أبوه : اختر مكاناً فنصنع لك فيه قلاية ، ففعل . فصنعوا له . ثم قال للأخ : افعل ما أوصيك به . عندما تجوع ، كل واشرب ونم . فقط لا تبارح القلاية حتى السبت حيث تأتي بعد ذلك إليّ . فعمل الأخ بهذه الوصية يومين لكنه تضجّر في الثالث ، فقال : ترى لماذا فعل بي الشيخ هكذا ؟ فنهض وأنشد مزامير عديدة ، وبعد غروب الشمس ، تناول طعامه وخرج لينام على بساطه ، فرأى حبشياً ممدداً يصرّ بأسنانه عليه ، فطفق يركض خائفاً جداً حتى جاء إلى الشيخ وقرع بابه وقال : يا أبتِ ، ارحمني وافتح لي . فلما أدرك الشيخ أنه لم يحفظ قوله ، لم يفتح له حتى الصباح إذ وجده مُلحّاً في طلبه ، فتحنن عليه وأدخله . فقال الأخ : ارجوك يا أبتِ ، عندما خرجت لأنام رأيت ، في بساطي ، حبشياً . قال له الأب : لقد حل بك هذا لأنك لم تحفظ قولي . ثم بعد أن لقّنه ، ما استطاع ، قوانين السيرة الرهبانية ، أطلقه . وما هي إلاّ فترة قصيرة حتى صار هذا الأخ راهباً صالحاً .

الأب ثيوذورس الفرّيمي

١ ـ كان عند الأب ثيوذورس الفرّيمي ثلاثة كتب جيدة ، فزار الأب مكاريوس وقال له : يا أبتِ ، عندي ثلاثة كتب جيدة انتفع منها ، والإخوة أيضاً يستخدمونها وينتفعون . قل لي ما ينبغي أن أعمل ؟ هل أحتفظ بها لمنفعتي ومنفعة اخوتي ، أم أبيعها لكي أعطي الفقراء ؟ أجابه : حسنة الأعمال ، لكن عدم القنية أثمن من كل شيء . فلما سمع هذا الكلام ، مضى وباع الكتب موزّعاً ثمنها على المحتاجين .

٢ ـ اضطرب أخ من الوحدة وهو في القلالي ، فقام ومضى إلى الأب ثيوذورس الفرّيمي وأطلعه على أمره . فأجابه : إذهب وتواضعْ بفكرك واخضع للإخوة بمكوثك معهم . فمضى ، إلاّ أنه عاد بعد حين وقال له من جديد : لست مرتاحاً أيضاً مع الناس يا أبتِ . أجابه الأب ثيوذورس : لما كنت تعيش لوحدك لم تكن تجد راحة ، وكذلك لما عشت مع الآخرين . قل لي : لماذا طلبت الحياة الرهبانية ؟ أوَليس من أجل احتمال الضيقات ؟ قل لي : كم سنة لك في هذا الاسكيم ؟ أجابه الأخ : ثمانية أعوام . قال له الأب : في الحقيقة يا بني ، إنّ لي في هذا الاسكيم سبعين سنة لم أجد راحة حتى ولا يوماً واحداً . فكيف تطلب الراحة في ثماني سنين ؟ فلما سمع هذا الكلام ، مضى متشدداً .

٣ ـ زار أحد الاخوة الأب ثيوذورس وأقام عنده ثلاثة أيام متوسلاً إليه أن يسمع منه كلمة . أمّا الشيخ فلم يكن يجيبه . فخرج حزيناً . فقال تلميذ ثيوذورس : لماذا

تركته حزيناً دون أن تقول له كلمة يا أبتِ ؟ قال الشيخ : في الحقيقة لم أكن أشاء أن أقول له شيئاً ، لأنه تاجر ويبغي أن يتمجد بكلمات غريبة [1] .

٤ ـ وقال أيضاً: إذا توطدت بينك وبين انسان صداقة ، وحدث أن سقط هذا الصاحب في الزنى ، مُدَّ له اليد إذا كان بمقدورك لكي تجتذبه إلى فوق . وإذا ما وقع في هرطقة (بدعة) ولم يقتنع بكلامك ، فاقطع صلتك به للحال ، لئلا تسقط أنت أيضاً إذا تأخرت .

٥ ـ قالوا عن الأب ثيوذورس الفرّيمي إن أموراً ثلاثة كان يحترمها أكثر من سواها : اللاقنية ، النسك ، والهرب من الناس .

٦ ـ حدث أن أقام الأب ثيوذورس مع الاخوة . فلما كانوا يأكلون ، كانوا يأخذون كؤوس الماء بورع وخشوع ، وهم صامتون ، دون أن يقولوا العبارة المألوفة « عفواً » . فقال الأب ثيوذورس : لقد فقد الرهبان أدبهم عندما تخلوا عن كلمة « عفواً » .

٧ ـ ثم سأله أحد الاخوة قائلاً : هل ترى أنني أفعل حسناً عندما أنقطع عن الخبز بضعة أيام يا أبتِ ؟ قال له الشيخ : حسناً تفعل لأني أنا نفسي كنت أفعل هكذا . فقال له الأخ : اريد إذاً أن أضع الحمّص في المطحنة لأطحنه . فقال له الأب : لكن إذا كنت تنوي الذهاب الى المطحنة ، أعدد خبزك . لأنه ما الحاجة من جراء هذا التحويل ؟ .

٨ ـ جاء أحد الآباء الى الأب ثيوذورس وقال له : أنظر ! ها إن الأخ الفلاني قد عاد إلى العالم . قال له الشيخ : أهذا تتعجب ؟ لا تتعجب لهذا ؛ خير لك أن تتعجب عندما تسمع أن أحداً تمكّن من الهرب من فم العدو .

٩ ـ جاء أحد الاخوة الى ثيوذورس وبدأ يحدثه عن أمور لم يصنعها بعد . فقال له

---

(١) ويقصد الراهب أن الضيف كان تاجر كلام أقوال الآباء إلى الآخرين مدّعياً أنها له . ومن المعقول جداً أنه كان يدوّن ما يسمع .

الشيخ : لم تجد السفينة ولا وضعت امتعتك بعد ، لأنك قد بلغت المدينة المنشودة قبل أن تبحر اليها . قبل أي شيء ، قم بعملك ، وبعد ذلك تكلم على كل ما تخبرنا به .

١٠ ـ زار الأب ثيوذورس الأب يوحنا الخصي (منذ مولده) ، ولما كانا يتحدثان ، قال : لما كنت في الاسقيط ، كانت أمور النفس شغلنا الأول ، وعمل اليد أمراً ثانياً . أمّا الآن فقد صارت أمور النفس ثانوية ، وعمل اليد هو الأساس .

١١ ـ سأله أحد الاخوة : ما هو عمل النفس الذي صار عندنا ثانوياً ، والثانوي الذي صار أساسياً ؟ أجابه : إن كل ما يتم بسبب وصية الله هو عمل النفس . أما الاجتماع من أجل الحساب[1] فهذا ينبغي أن يصير ثانوياً . فقال الأخ : أوضح لي هذا الأمر يا أبتِ . قال الشيخ : إذا سمعت أني مريض وينبغي أن تزورني، أتقول في نفسك: «هل يجب أن أترك عملي لأقوم بهذه الزيارة؟ سأنهي عملي أولاً، وبعد ذلك اذهب». وقد تأتيك فكرة أخرى فلا تذهب أبداً . أو ربما يقول لك أحد الاخوة : مدّ لي يد العون يا أخي ، فتقول : «أينبغي أن أترك عملي وأذهب لمساعدته ؟ » . فإذا لم تذهب تكون قد أهملت وصية الله التي هي « عمل النفس » ، وانشغلت بما هو ثانوي ، أي « عمل الأيدي » .

١٢ ـ قال الأب ثيوذورس الفرّيمي : إن من يقيم في التوبة لا يتقيّد بوصية .

١٣ ـ هو نفسه قال : ليس ثمة فضيلة مثل عدم الازدراء .

١٤ ـ إن من عرف حلاوة القلاية لا يتحاشى القريب من بهدف اهانته .

١٥ ـ وقال أيضاً : إذا لم أقطع نفسي من الائتناس والتعاطف فلن تتركني أصير راهباً .

---

(١) الدينونة .

١٦ ـ وقال أيضاً : كثيرون قد اختاروا الراحة هذه الأيام قبل أن يعطيهم إياها الله .

١٧ ـ وقال أيضاً : لا تنم في مكان تقيم فيه امرأة .

١٨ ـ سأل أخ الأب ثيوذورس قائلاً : أريد أن أتمّم الوصايا . فحدّثه الأب ثيوذورس عن الأب ثيونا الذي قال : « أريد أن أملأ فكري بالله ، فأخذ طحيناً من الطاحون وصنع منه خبزاً فلما طلب منه الفقراء صدقة أعطاهم الخبز . ثم جاء آخرون وطلبوا ، فأعطاهم السلال والثياب التي كانت عليه ، ودخل الى القلاية واضعاً غطاء رأسه على حقويه . وبالرغم من كل هذا ، كان يلوم نفسه قائلاً : لم أتمم وصية الله .

١٩ ـ مرض الأب يوسف ذات مرة ، فأرسل يطلب الأب ثيوذورس قائلاً : تعال لأراك قبل أن أرحل عن هذا العالم . وكان منتصف الأسبوع ، فلم يذهب ، بل بعث يقول له : إذا بقيت حتى السبت ، سآتي اليك ، ولكن إذا رحلت قبل ذلك ، فإننا سنلتقي في ذلك العالم .

٢٠ ـ سأل اخ الأب ثيوذورس قائلاً : قل لي كلمة لأني أكاد أن أهلك . أجابه الأب بصعوبة : أنا في خطر . ترى ماذا أقدر أن أقول لك ؟

٢١ ـ قدم أخ إلى الأب ثيوذورس ليتعلم منه الخياطة وقد أحضر معه القماش . أمّا الشيخ فقال له : إذهب وعد إلى هنا في الصباح . فنهض الأب وبلل له القماش وأعد له كل شيء وقال : اعمل هكذا وهكذا ، ثم تركه إلى قلايته وجلس هناك . ولما حان وقت الغذاء أعد له طعاماً ثم أطلقه . فعاد صبيحة اليوم التالي ، فقال له الشيخ : خذ أغراضك واذهب لأنك أتيت الى هنا لتجرّبني وتشغلني . ولم يتركه بعد ذلك في القلاية .

٢٢ ـ قال تلميذ الأب ثيوذورس :ذات يوم جاء انسان الى هنا يبيع بصلاً وملأ لي

سلتي . فقال الشيخ ثيوذورس : املأ له قمحاً واعطه . وكانت هناك كومتان من القمح الواحدة نظيفة والأخرى غير نظيفة . فملأت للرجل من القمح غير النقي . فنظر إلى الأب ثيوذورس بحزن شديد . أمّا أنا فلشدة خوفي ، وقعت على الأرض ، فانكسر الوعاء ، فصنعت له سجدة تائباً . فقال الشيخ : إنهض . لست أنت المسؤول إنما أنا المخطىء لأني سألتك . ثم دخل وملأ حضنه قمحاً نقياً وأعطاه للرجل مع البصل .

٢٣ ـ خرج الأب ثيوذورس مع أحد الاخوة ليملأ جرته من البئر ، وكان الأخ قد سبق الأب ثيوذورس إلى البئر ، فرأى هناك تنيناً ، فقال له الأب : إذهب واسحق رأسه . لكنه ، لشدة الخوف ، لم يذهب . فتقدم الأب وما كان من الوحش ، لما رآه ، إلاّ أن هرب الى الصحراء .

٢٤ ـ سأل أحد الاخوة الأب ثيوذورس : إذا حصل بغتة انحراف في الأرض ، ألا تخاف يا أبتِ ؟ قال له الأب : إذا التصقت السماء بالأرض ثيوذورس لا يخاف . لأنه تضرع إلى الله أن يفارقه الجبن والخوف . هذا هو السبب الذي جعل الأخ السائل يسأل الأب ثيوذورس .

٢٥ ـ قالوا عنه إنه لما سيم شماساً في الأسقيط ، لم يرد أن يقبل الشموسية ، إنما هرب الى أماكن متعددة ، فأحضره الآباء قائلين : لا تترك خدمتك . قال لهم الأب ثيوذورس : اتركوني أصلّي الى الله لكي يؤهلني الثبات في عملي . فصلّى إلى الله وقال : يا رب إذا كانت مشيئتك أن أكون ههنا ، فاكشف لي الأمر . فظهر له عمود من نار انتصب من الأرض الى السماء وسمع صوتاً يقول : إذا كنت تقدر أن تصير كهذا العمود إذهب وكن شماساً . فلما سمع هذا الكلام ، قرر أن يرفض الشموسية . ولما جاء الى الكنيسة ، صنع له الاخوة مطانية وقالوا : إذا كنت لا تريد أن تكون شماساً ، احمل الكأس على الأقل . فرفض

٢٦ ـ قالوا عنه انه لما هجر الاسقيط ، جاء ليقيم في فريم . ولما شاخ ، مرض ،

فأحضروا له بعض الأطعمة . فما كان يجلبه له الأول كان يعطيه للثاني ، وهكذا كان على الدوام يعطي كل ما يقدم له . ولما كان يحين وقت الطعام ، كان يأكل مما يقدمه له الأخير .

٢٧ ـ قالوا عنه انه ، لما كان في الاسقيط ، قدم اليه الشيطان يريد الدخول إلى قلايته . فربطه في الخارج . وبعد ذلك جاء شيطان آخر ، فربطه إلى جانب رفيقه أيضاً . ثم جاءه ثالث فوجد رفيقيه موثقين ، فقال لهما : لماذا أنتما ههنا ؟ قالا له : إنه يجلس في الداخل ولا يسمح لنا أن ندخل . فلجأ هذا الى العنف محاولاً الدخول . فربطه الأب إلى جانب رفيقيه . فلما خافوا من صلاته طلبوا منه قائلين : أطلقنا . فقال لهم : إذهبوا ، فمضوا خجلين .

٢٨ ـ قال أحد الآباء عن الأب ثيوذورس : جئت إليه مرة وقت الظهيرة فوجدته لابساً عباءته الممزقة (البالية) وصدره مكشوف وقبعته أمامه . فجاء أحد النبلاء يريد أن يراه . هذا ، لما قرع الباب ، خرج الشيخ ليفتح له . فقبّله وجلس عند الباب يحدثه . فتناولت قطعة قماش وطرحتها على كتفيه . أمّا هو فمد يده ورماه . ولما مضى الزائر ، قلت له : يا أبتِ ، لماذا فعلت هكذا ؟ الرجل جاء لينتفع لا ليشك ويعثر ؟ قال لي : ماذا تقول يا أبتِ ، إلى الآن نعمل للناس ؟ لقد قمنا بالحاجة ، وها قد رحل . إن من يريد أن ينتفع فلينتفع ، ومن يريد أن يعثر فليعثر . أمّا أنا فأضيف الناس كما أنا . ثم أوصى تلميذه قائلاً : إذا جاء أحد يريد أن يراني ، لا تقل له أبداً أمراً إنسانياً . إذا كنت آكل ، قل : هو يأكل . وإذا كنت نائماً ، قل : إنه نائم .

٢٩ ـ نزل عليه مرة ثلاثة لصوص . فأمسكه اثنان ، أمّا الثالث فكان ينقل الأمتعة . وبعد أن اخرجوا الكتب ، همّوا بأخذ العباءة ، فقال لهم : هذه اتركوها . أمّا هم فلم يعبأوا به . فلما حرك يديه رمى اللذين كانا يمسكانه . فلما رأوا ذلك ، فزعوا . فقال لهم : لا تخافوا . اقسموا الغنائم الى أربعة ، ثم خذوا الثلاثة واتركوا الربع الأخير لي . ففعلوا . أمّا هو فكانت حصته

العباءة التي يرتديها في الإجتماعات[1] .

الأب ثيوذورس الأناتي

١ ـ قال الأب ثيوذورس الأناتي[2] : لما كنت شاباً وكنت أقيم في البرية ، ذهبت إلى المطحنة لأحضر خبزتين ، فرأيت هناك أخاً يهيء خبزه ولم يكن له من يساعده . فتركت خبزي ومددت له يد العون . ولما انتهيت ، جاء آخر ، ففعلت معه الأمر نفسه . ثم جاء ثالث ، ففعلت معه كذلك . وهكذا كانت حالي مع جميع القادمين إلى المطحنة . وبعد ان انصرف الجميع ، اعددت خبزتيّ وانصرفت .

٢ ـ قالوا عن الأبوين ثيوذورس ولوقيوس الأناتيين إنهما أمضيا ٥٠ سنة يسخران من أفكارهما ويقولان : بعد هذا الشتاء سنرحل من هنا . ولما كان الصيف ، كانا يقولان : بعد هذا الصيف نرحل من هنا . وهكذا عاش هذان الأبوان الدائما الذكر طيلة حياتهما .

٣ ـ قال الأب ثيوذورس الأناتي : إذا حاسبنا الله على كسلنا في الصلاة وفتورنا في التراتيل ، لا يمكننا أن نخلص البتة .

---

(١) الإجتماعات هي اللقاءات الليتورجية التي كانت تجمع الإخوة في بيت الله .

(٢) تقع هذه المنطقة في القسم الجنوبي الغربي من الإسكندرية . وكان فيها مجمّع رهباني . والمطحنة التي يؤتى على ذكرها في هذا النص هي عبارة عن فرن كبير .

الأب ثيوذورس الذي من الاسقيط

١ ـ قال الأب ثيوذورس الذي من الاسقيط : يأتي الفكر فيزعجني ويشغلني ولا يساعدني على القيام بعملي ، انما كل شأنه أن يعيقني عن الفضيلة . أمّا الرجل الصاحي فينهض للصلاة عندما يهاجمه الفكر .

الأب ثيوذورس المواطن الحر

١ ـ سأل الأب ابراهيم الأيبيري الأب ثيوذورس المواطن الحر قائلاً : ما الأحسن يا أبت ، اقتناء المجد أم الهوان ؟ اجابه الشيخ : من جهتي ، أنا أريد مجداً لا هواناً ، لأني ، إذا قمت بعمل حسن وتمجدت ، أقدر أن أدين أفكاري بأني لست أهلاً لهذا المجد . أمّا الهوان فيأتي من الأعمال الشريرة . كيف إذاً أستطيع أن أعزي قلبي عندما يعثر أناس كثيرون بسببي ؟ خير لك عندئذ أن تعمل الخير وتتمجد . فقال الأب ابراهيم : بالصواب نطقت يا أبت .

الأب ثيوذوتس

١ ـ قال الأب ثيوذوتس : ان حاجة الخبز تذيب جسد الراهب . وقال أب آخر : لكن السهر يذيب الجسد أكثر .

الأب ثيوناس

١ ـ قال الأب ثيوناس : بسبب انشغال العقل الأعلى في غير رؤية الله ، نسقط أسرى الأهواء الجسدية .

المغبوط رئيس الأساقفة ثيوفيلوس

١ ـ زار رئيس الأساقفة المغبوط ثيوفيلوس جبل النطرون فاستقبله رئيس الجبل ، فقال له رئيس الأساقفة : ماذا وجدت في درب هذه الحياة يا أبت ؟ أجابه الشيخ : أن ألوم نفسي وأن انتقدها دائماً . قال له الأسقف : ليس ثمة طريق آخر يا أبت .

٢ ـ زار هو نفسه الاسقيط . فلما اجتمع الاخوة ، قالوا للأب بمفو : قل كلمة للأب فينتفع . قال لهم الشيخ : إذا لم ينتفع بصمتي ، لا يمكنه أن ينتفع بكلامي .

٣ ـ قدم بعض الآباء إلى الاسكندرية بدعوة من رئيس الأساقفة ثيوفيلوس ، من أجل الصلاة وهدم الهياكل الوثنية . فلما جلسوا لتناول الطعام ، دفع اليهم لحم عجل ، فأكلوا بدون تمييز . ثم مدّ رئيس الأساقفة يده وتناول قطعة من اللحم ودفعها إلى الراهب الجالس إلى جانبه وقال له : خذ يا أبت هذه قطعة جيدة . فأجاب الحاضرون : نحن ، إلى الآن ، كنا نأكل البقول ، ولكن إذا كان ثمة لحم ، فلنأكل . فتوقف الحاضرون عن الأكل منه .

٤ ـ قال الأسقف نفسه : أي خوف وهلع وضيق نرى عندما تنفصل النفس عن الجسد . لأن قوة القوى المضادة تصل إلينا ، ورؤساء الظلام وقادة الشر في العالم وأرواح الشر ، بحكم ، يغتصبون النفس ويقدمون كل خطاياها التي بمعرفة والتي عن جهل ، من سن الشباب حتى لحظة انفصالها . فتنتصب تشكو أعمال النفس كلها . إذن أي هلع يصيب النفس في تلك الساعة حتى

يخرج القضاء وتصبح حرة ؟ هذه هي ساعة ضيقها ، حتى ترى ما سيحدث لها . ومن الجهة الثانية ، تنتصب القوى الإلهية في مواجهة مع الأخصام ، وهذه ، بدورها ، تورد أعمال النفس الصالحة . افهم إذن أي هلع وخوف يحلان في النفس إلى أن يصدر الديّان العادل حكمه عليها. فإذا كانت مستحقة ، تنتهر تلك القوى وتوبخ وتخطف النفس منها ، فتطمئن وتسكن ، كما هو مكتوب : « فيرنم جميع الساكنين فيك » (مزمور ٨٦ : ٧) . عندئذ يتم المكتوب « ابتعد وزال الألم والحزن والتنهد » (أشعياء ٢٦ : ١٠) . وهكذا ، عندما تنعتق ، تنطلق إلى ذلك الفرح الذي لا ينطق به ، الذي فيه تنهض من جديد . ولكن إذا عاشت في الكسل ، فإنها ستسمع الصوت المريع : « ليبتعد عديم التقوى حتى لا يعاين مجد الرب » (أشعياء) . عندئذ يمسك بها يوم غضب وضيق وظلام وضباب . وعندما تُسلّم إلى الظلمة الخارجية ويحكم عليها بالنار الأبدية ، تعاقب إلى الدهور التي لا تنتهي . عندئذ أين يكون افتخار العالم والمجد الفارغ والتنعم والراحة والأوهام والخيالات واللذة والمال والشرف والأب والأم والأخ ؟ من يقدر أن يخرج هذه التي تتلظى بالنار وترزح تحت العذابات المرة ؟ كيف نكون في سلوكنا وتقوانا ؟ أية محبة ينبغي أن نقتني ؟ أية سيرة ؟ أية حياة ؟ أي درب ؟ أية دقة ؟ وأية صلاة وحرص ؟ لأنه يقول : «فإذا أنتم تنتظرون ذلك أيها الأحباء ، فاجتهدوا أن توجدوا لديه في السلام بلا دنس وعيب » (٢ بطرس ٣ : ١٤) . لكي نستحق أن نسمعه يقول : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم إلى دهر الداهرين أمين » (متى ٢٥ : ٣٤) .

٥ ـ عندما أوشك رئيس الأساقفة أن يغادر هذا العالم ، قال : هنيئاً لك يا ارسانيوس لأنك كنت تتذكر هذه الساعة دائماً .

الأم ثيوذورا

١ ـ سألت الأم ثيوذورا الأب ثيوفيلوس عن معنى قول الرسول « مفتدين الوقت » (افسس ٥ : ١٦) فقال لها : الجملة هذه تشير إلى الربح . فإذا كنت في لحظة شتيمة أو إهانة ، افتدي وقت الإهانة بالتواضع وطول الأناة واكسبي لنفسك ربحاً . وفي وقت الهوان ، افتدي الوقت بالصبر ، فتربحي . وكل الأمور المضادة يمكن أن تصير لنا ربحاً ، شرط إرادتنا .

٢ ـ قالت الأم ثيوذورا : جاهدوا لكي تدخلوا من الباب الضيق . لأنه كما أن الشجرة ، إذا لم تتعرض للرياح والعواصف والأمطار ، لا يمكنها أن تأتي بثمر ، هكذا الحال بالنسبة إلينا أيضاً . هذا الدهر شتاء قاس . وبدون ضيقات وتجارب متنوعة يمكننا أن نرث ملكوت الله .

٣ ـ وقال أيضاً : حسنة حياة السكينة ، لأن الرجل العاقل يعيش بالهدوء . إنه في الحقيقة نفع كبير للعذراء والراهب معاً ، أن يعيشا في الهدوء ، خاصة في سن الشباب . ولكن اعلموا أنه إذا أراد الإنسان أن يبلغ الهدوء ، للحال يأتي الشيطان ويثقل النفس بالفتور وصغر النفس والأفكار ، كما يثقل الجسم بالأمراض والضعف وانحلال المفاصل وسائر الأعضاء ويحل قوة النفس والجسد معاً ، فيقول الإنسان أنا مريض ولست أقدر أن أقيم الخدمة والصلاة . لكن إذا صحونا ، تزول هذه كلها . كان ثمة راهب ، كلما أراد أن يقيم الخدمة والصلوات ، تضربه قشعريرة وحمى فيبدأ رأسه يزعجه ويؤلمه ، فيقول لنفسه : هاءنذا مريض وعما قليل أرقد . فلأنهضنّ ، إذاً ، وأتلُ

صلاتي قبل أن أغادر هذا العالم . وبهذه الفكرة كان يقيم الخدمة والصلاة . ولما كان يوشك أن ينهي الخدمة ، تفارقه الحمى . وهكذا تابع الأخ صلواته وغلب الفكر الشرير .

٤ ـ وقالت هي نفسها : ذات مرة شتم أحدهم شخصاً تقياً ، فقال له : كان بمقدوري أن أردّ عليك بالمثل ، إلاّ أن شريعة الله تلجم فمي . وقالت أيضاً : بينما كان أحد المسيحيين يتحدث عن الجسد مع إنسان ماني ، قال : أعط الشريعة إلى الجسد ، تجد الجسد إلى جانب الخالق .

٥ ـ وقالت هي نفسها : ينبغي أن يكون المعلِّم غريباً عن حب التسلط والمجد الفارغ ، وبعيداً أيضاً عن الكبرياء ، لئلا يسقط فريسة التملق ، ولئلا تعمى بصيرته من الهبات ويُستعبد لبطنه فيسوده الغضب ؛ وليكن طويل الأناة حكيماً مترفقاً متواضعاً من كل القدرة ، مجرَّباً ، كثير الإحتمال ، متأهباً ومحباً للنفس .

٦ ـ وقالت هي نفسها : لا النسك ولا السهر ولا أي وجع يخلّص الإنسان ، سوى التواضع الأصيل . كان ثمة راهب يبعد الشياطين ويسألهم : بماذا تخرجون ؟ هل تخرجون بالصوم ؟ فكانوا يجيبونه : نحن لا نأكل ولا نشرب . بالسهر ؟ نحن لا ننام . بالإنصراف عن العالم ؟ نحن نعيش في البراري . إذاً ، بماذا تخرجون ؟ فكانوا يقولون إن لا شيء ، كالتواضع يقهرنا . أترى إذاً كيف أن التواضع يحقق الغلبة على الشياطين .

٧ ـ وقالت أيضاً : قال راهب رحل من هنا بسبب كثرة التجارب إنه عندما انتعل حذاءه ، رأى إنساناً آخر ينتعل حذاءه أيضاً ، فقال له : وهل أنت راحل بسببي ؟ ها إني أسبقك إلى حيث تنتقل .

الأب يوحنا الكولوفي

١ ـ قالوا عن الأب يوحنا إنه عندما مضى إلى طيبة الى شيخ في الاسقيط ، أقام في البرية . فأخذ أبوه الروحي عصاً يابسة وغرسها في الأرض وقال : اسقها كل يوم قليلاً من الماء حتى تثمر . وكانت الماء بعيدة عنهما مسيرة ليلة كاملة . ولكن بعد ثلاث سنين ، أثمرت العصا فقطف الأب ثمرها وجاء به إلى الكنيسة وقال للإخوة : خذوا كلوا من ثمار الطاعة .

٢ ـ قالوا عن الأب يوحنا إنه قال لأخيه الأكبر مرة : أريد أن أكون بلا همّ كما هو حال الملائكة الذين لا يشتغلون بل يعبدون الله بدون توقف . ثم طرح عنه عباءته وخرج الى البرية . وبعد أسبوع عاد وقرع الباب ، فأجابه أخوه قبل أن يفتح : من الطارق ؟ قال له : أنا يوحنا أخوك . قال له : يوحنا أخي صار ملاكاً ولم يعد بين البشر . فرجاه يوحنا أن يفتح له قائلاً : أنا أخوك يوحنا . لكنه لم يفتح أيضاً . بل تركه عند الباب حزيناً حتى الصباح حيث فتح له وقال : أنت انسان وتحتاج إلى عمل لتعيش . فسجد له وقال : سامحني يا أخي .

٣ ـ قال الأب يوحنا : إذا أراد ملك الاستيلاء على مدينة ، فإنه يمنع عنها الطعام والماء أولاً ، فيستسلم له سكانها بسبب الجوع . هكذا هو حال أهواء الجسد . إذا عاش الانسان بالصوم والجوع ، فإن أعداء النفس تمرض .

٤ ـ وقال أيضاً : الشبعان إذا ما تكلم مع صبي ، يزني بفكره معه .

٥ ـ وقال أيضاً : بينما كنت سالكاً طريق الاسقيط حاملاً السلال ، لاحظت أن الجمّال كان يكلمني ويحثني على الغضب ، فتركت السلال وهربت .

٦ ـ هو نفسه في وقت الحصاد سمع أخاً يتكلم ضد قريبه بغضب ويقول : وأنت أيضاً ؟ فترك البيدر وهرب .

٧ ـ وجد بعض الشيوخ في الاسقيط الوقت ليأكلوا معاً ، وكان بينهم الأب يوحنا . فنهض كاهن كبير ليقدم إبريق الماء للاخوة ، فلم يقبله منه أحد سوى يوحنا . فتعجب الحاضرون وقالوا له : كيف وأنت الصغير بيننا تجاسرت وقبلت أن يخدمك الكاهن ؟ قال لهم : أنا عندما أنهض لأقدم الإبريق للاخوة ، أفرح إذا ما قبله الجميع من يدي ، وذلك لأنال أجراً . للسبب عينه قبلت منه الإبريق لكي أقدم له أجراً ، لأنه ربما حزن إذا رفضنا تقدمته . ولما قال هذا ، تعجب الجميع وانتفعوا من قوة تمييزه .

٨ ـ هو نفسه ، بينما كان جالساً في الكرسي الأمامي من الكنيسة ، أحاط به الاخوة ، وعرضوا عليه أفكارهم . فلما رآه أحد الشيوخ ، دبّ الحسد إلى قلبه فقال له : إبريقك يا يوحنا مملوء سمّاً . أجابه يوحنا : نعم يا أبت . لقد قلت هذا لأنك رأيت ما في الخارج فقط . ماذا كنت ستقول لو رأيت ما في الداخل أيضاً ؟

٩ ـ قال الآباء، إن أحدهم ضحك فيما كانوا معاً إلى المائدة يأكلون فلما رآه الأب يوحنا بكى قائلاً: ترى ماذا يحمل هذا الأخ في قلبه حتى يضحك. أما كان ينبغي عليه بالأحرى أن يبكي ، لأنه يأكل في مائدة المحبة؟[1]

١٠ ـ جاءه بعض الاخوة ليجربوه ، لأنه لم يكن يترك أفكاره تسرح ، كما ولم يكن يتكلم على أمور هذا الدهر . قالوا له : نشكر الله الذي جعل السماء تمطر هذا العام حتى ترتوي أشجار النخيل وتخرج براعم ، فيجد الاخوة عمل أيديهم . قال لهم الأب يوحنا : هكذا هو الروح القدس . عندما ينزل في قلوب الناس ، تتجدد وتخرج براعم بمخافة الله .

---

(١) إشارة إلى العشاء السري

١١ ـ قالوا عنه إنه حاك مرة حبلاً يكفي لصنع سلّتين ، إلا أنه صنع منه واحدة فقط ولم ينتبه لعمله هذا إلاّ حينما وصل إلى الحائط ، لأن فكره كان منشغلاً بمعاينة الله .

١٢ ـ قال الأب يوحنا : إنني أشبه إنساناً يجلس تحت شجرة كبيرة يراقب وحوشاً كثيرة وزحافات تقترب منه . فعندما لا يحتمل أن يثبت أمامها ، يهرع إلى الشجرة فينجو ، هذه هي حالتي . أقيم في قلايتي وأبصر فوقي الأفكار الشريرة . وعندما لا أستطيع أن أسيطر عليها ، ألتجىء الى الله بالصلاة ، فأنجو من العدو .

١٣ ـ قال الأب بيمن عن الأب يوحنا الكولوفي إنه تضرع إلى الله ، فابتعدت عنه أهواؤه ، وصار بدون همّ . عندئذ ذهب إلى أحد الشيوخ وقال له : إني أرى نفسي في راحة لا في حرب . قال له الشيخ : إذهب وتضرع إلى الله حتى تعاودك الحرب وانسحاق القلب والتواضع التي كانت لك فيما مضى . فالنفس بالحروب تنمو وتتقدم . فتضرع يوحنا الى الله ، ولما جاءته الحرب ، لم يصلّ لكي تفارقه ، بل كان يقول : يا رب أعطني الصبر في الحروب .

١٤ ـ قال الأب يوحنا إن أحد الشيوخ رأى رؤيا بينما كان في حالة الوجد . منها ثلاثة رهبان واقفون عبر البحر ، فجاءهم صوت من الجهة الأخرى يقول : اتخذوا أجنحة نار وهلمّوا إليّ . فأخذ اثنان أجنحة وطارا إلى الجهة الأخرى ، أمّا الثالث فبقي في مكانه وكان يبكي بشدة ويصرخ . بعد ذلك أعطيت له أجنحة أيضاً لم تكن كالأولى إنما كانت ضعيفة وغير قوية . وبالجهد كان يقوى على الطيران حتى بلغ الجهة الأخرى . كذلك هو هذا الجيل ، إذ بالرغم من أنه يتخذ أجنحة ، إلاّ أنها ليست نارية بل ضعيفة ومريضة للغاية .

١٥ ـ سأل أخ الأب يوحنا قائلاً : كيف أن نفسي المثخنة بالجراح لا تستحي من ثلب القريب ؟ فضرب له الشيخ مثلاً في الثلب . إنسان فقير وله امرأة . هذا

صادف امرأة جميلة ، فاتخذها لنفسه . وكانت الاثنتان عاريتين . وحدث أن أقيم في مكان مجاور احتفال ، فرجته المرأتان قائلتين : « خذنا معك» . فأخذهما وجعلهما في خابية . ثم ركب السفينة فبلغ مكان الاحتفال . فجاء الحرّ وهدأ الناس . فنظرت الأولى فلم تجد أحداً ، فقفزت للحال الى مزبلة وأخذت تجمع خرقاً عتيقة لتجعل منها منطقة . ثم ، بعد ذلك ، طفقت تمشي بشجاعة . أمّا الأخرى التي كانت ما تزال داخل الخابية عارية ، فكانت تقول : « انظروا ان هذه الزانية لا تستحي أن تمشي وهي عارية» . فحزن رجلها وقال : يا للعجب ، إن تلك يكفي أنها تغطي عيبها وتستره ، أمّا أنت فعارية تماماً ولا تستحين أن تتكلمي . هكذا تماماً هي خطيئة الثلب .

١٦ ـ تحدث الأب يوحنا للأخ عن النفس التي تريد أن تتوب ، قال : كان هناك في إحدى المدن زانية جميلة لها أصحاب عديدون . فجاءها أحد الأسياد يوماً وقال لها : إقطعي لي عهداً أنك ستصبحين عاقلة ، فتكوني لي زوجة . فوعدته . فحملها إلى بيته . أمّا رفاقها الذين هبّوا للبحث عنها فكانوا يقولون : السيد الفلاني أخذها الى بيته ، فإذا مضينا إليه وعلم بقدومنا ، سينالنا منه عقابٌ صارم . فلنذهب من وراء البيت ونصفّر لها . وهي ما ان تسمع صوتنا حتى تنزل للقائنا ، فنكون نحن بدون مسؤولية . فلما سمعت هذه صوتهم ، أغلقت أذنيها وهرعت الى البيت، الداخلي وأغلقت خلفها الباب . قال الأب : الزانية هي النفس ، ورفاقها هم الأهواء والناس . أمّا السيد فهو المسيح يسوع ربنا . والبيت الداخلي هو المنزل الأبدي . فالذين كانوا ينادونها هم الشياطين الأشرار ، وهذه كانت على الدوام تركض نحو الرب .

١٧ ـ مرة بينما كان الأب يوحنا صاعداً من الإسقيط مع بعض الاخوة ، ضلّ مرشدهم الطريق لأن الوقت كان ليلاً . فقال الاخوة للأب يوحنا : ماذا نعمل يا أبانا وقد ضل الأخ الطريق ، ونخشى أن نموت في هذا التيه ؟ قال لهم : إذا قلنا له ، سيحزن و يخجل . إلاّ أني سأتظاهر بأني مريض وأقول له انني لا

أقوى على متابعة السير ، لهذا سأبقى هنا حتى الصباح . ففعل كذلك . فقال الاخوة : ونحن أيضاً لن نذهب لأننا سنمكث معك . فأقام الجميع حتى الصباح ، وهكذا لم يعثروا الأخ .

١٨ ـ كان أحد الآباء ، في الاسقيط ، محباً للآلام في الجسديات ، إلاّ أنه لم يكن دقيقاً في الأفكار ، فمضى إلى الأب يوحنا يسأله عن النسيان . فلما سمع منه الكلمة ، عاد إلى قلايته ونسي كل ما قاله الأب يوحنا له . فعاد من جديد ليسأله . وبعدما سمع الكلمة قفل عائداً . لكنه ما ان بلغ القلاية حتى نسي كل شيء . فمضى اليه المرة تلو الأخرى وأثناء عودته كان النسيان يتسلط عليه . فلما قابل الشيخ ، قال له : هل تعلم يا أبت أنني نسيت أيضاً كل ما قلته لي ؟ إلاّ أني لم أعد إليك ، لئلا أزعجك . فقال له الأب يوحنا : إذهب واشعل المصباح ، فأشعله . فقال له ثانية : إحضر مصابيح أخرى وأشعلها من المصباح الأول ، ففعل . فقال له الأب يوحنا : ترى هل تضرر المصباح الذي منه أشعلت سائر المصابيح؟ قال : كلا . فقال الشيخ : هكذا هي الحال مع يوحنا أيضاً . فلو جاءني كل سكان الاسقيط ، لا يمكنهم أن يعيقوني عن نعمة المسيح . إذن يمكنك أن تأتي إليّ متى تشاء دون أن تتردد البتة . وهكذا بصبر الاثنين معاً ، رفع الله النسيان عن الشيخ . هذه كانت أعمال أهل الاسقيط وهي أن يقدّموا خدمة وعوناً للذين يحارَبون ، ويضغطون على أنفسهم لكي يربحوا بعضهم بعضاً للخير .

١٩ ـ سأل أخ الأب يوحنا قائلاً : ماذا أعمل عندما يأتيني أحد مراراً من أجل عمل ما بينما أكون متعباً ومريضاً ، والعمل شاق ؟ ماذا أعمل بالوصية إذاً ؟ أجابه الشيخ قائلاً : قال يشوع بن نون : « كنت ابن أربعين سنة حين ارسلني وارسلك موسى عبد الرب من الصحراء إلى هذه الأرض . واليوم أنا ابن خمس وثمانين سنة . ولم أزل قوياً في الدخول والخروج من الحرب ، كما كنت آنذاك» (يشوع ١٤: ٧ و ١٤ : ١٠ ـ ١١) . حتى أنك أنت أيضاً ، إذا كنت

تستطيع أن تخرج كما تدخل ، إذهب . ولكن إذا كنت لا تقدر أن تعمل هذا ، لازم قلايتك وابكِ خطاياك . وإذا ما وجدوك مكتئباً ، لن يرغموك على الخروج .

٢٠ ـ قال الأب يوحنا : من باع يوسف ؟ أجابه أحد الاخوة قائلاً : اخوته . قال له الشيخ : كلا . لقد باعه تواضعه . لأنه كان يقدر أن يقول « إني أخوهم» وإن يعترض . إنما صمت ، فباع نفسه بالتواضع ، فجعله تواضعه قائداً في مصر .

٢١ ـ قال الأب يوحنا : لقد تركنا النير الخفيف وأعني لوم النفس ، وحملنا الثقيل الذي هو تبرير الذات .

٢٢ ـ هو نفسه قال : التواضع ومخافة الله اسمى من كل الفضائل .

٢٣ ـ هو نفسه حدّث أنه كان يجلس في الكنيسة مرة ، فتنهد غير عالم أن هناك إنساناً يجلس وراءه . فلما عرف به ، سجد أمامه قائلاً : سامحني يا أبت ، لأنني لم أتعلم بعد المبادىء المسيحية .

٢٤ ـ هو نفسه كان يقول لتلميذه : لنحترم الواحد فيحترمنا الجميع ، لأننا إذا احتقرنا الواحد ، وأعني الله ، فإن الجميع يحتقروننا ، فنذهب الى الهلاك .

٢٥ ـ قالوا عن الأب يوحنا إنه جاء إلى الكنيسة في الاسقيط ، فلما سمع مشاجرة بعض الاخوة ، قفل عائداً إلى قلايته ، وبعد أن طاف حولها ثلاث مرات ، دخل . فرآه بعض الاخوة ، فتساءلوا عن السبب الذي دفعه الى الدوران . ثم لما خرج سألوه عن السبب . فقال لهم : كانت أذناي مملؤتين شجاراً ، وهكذا طفت حول القلاية قبل أن أدخل وذلك لكي أنظفهما ، فأدخلها وفكري هادىء .

٢٦ ـ جاءه في إحدى الأمسيات أخ وفي نيته العودة بسرعة . فلما كانا يتكلمان على

الفضائل ، طلعت الشمس ولم يعرفا . فخرج الأب يوحنا يرافق الضيف لوداعه ، لكنهما ما لبثا يتحدثان حتى الساعة السادسة (أي الثانية عشر ظهراً) . فما كان من الأب يوحنا إلاّ أن أدخله وتناول وإياه طعام الغذاء ثم تركه يذهب .

٢٧ ـ قال الأب يوحنا : السجن هو أن تقيم في قلايتك وتذكر الله على الدوام . وهذا هو معنى الآية « كنت محبوساً فأتيتم إليّ » (متى ٢٥ : ٣٦) .

٢٨ ـ وقال أيضاً : من كان قوياً كالأسد ، هل يُعقَل أن يقع في الشرك وتضعف قوته ، من أجل بطنه ؟

٢٩ ـ وقال أيضاً : بينما كان آباء الاسقيط يأكلون خبزاً وملحاً ، كانوا يقولون : « لا نرغمنّ أنفسنا على الخبز والملح» . وهكذا لبثوا أقوياء من أجل عمل الله .

٣٠ ـ جاء أحد الاخوة ليأخذ السلال من الأب يوحنا . فلما خرج ، قال له : ماذا تريد يا أخي ؟ أجابه الأخ : السلال يا أبت . فدخل الأب لاحضارها له ، فنسي وجلس للحياكة . فقرع الأخ الباب ، فخرج الأب يوحنا . قال الأخ : أريد السلال يا أبت . فدخل الأب من جديد ليحضرها له ، إلاّ أنه نسي أيضاً وجلس للحياكة . فعاد الأخ وقرع الباب ، فخرج الأب يوحنا وقال له : ماذا تريد يا أخي ؟ قال : السلال يا أبت . للحال أمسكه بيده وأدخله الى القلاية وقال له : إذا كنت تريد سلالاً ، خذها وامش ، لأنه لا فراغ عندي .

٣١ ـ جاءه مرة جمّال يطلب سلاله ليحملها الى مكان آخر . فلما دخل الأب ليحضرها له ، نسي ما دخل من أجله إذ أن عقله كان مشغولاً بالله . فقرع الجمّال الباب من جديد ، فخرج الأب يوحنا ثم عاد ودخل ليحضرها له . إلاّ أنه نسي أيضاً ما قد دخل من أجله . فعاد الجمّال وقرع الباب ، فخرج الأب يوحنا ثم عاد وهو يقول : سلال الجمل ، سلال الجمل ، سلال الجمل .

٣٢ ـ هو نفسه أصبح حاراً بالروح ، فلما زاره أحد الاخوة ، امتدح عمله ، إذ كان يعمل في الحياكة . لكنه صمت . فبدأ الأخ يكلمه من جديد ، إلاّ أن الأب لبث صامتاً لا يفتح فاه . وأخيراً ، قال للزائر : منذ أن حللت هنا ، أخذت الله مني .

٣٣ ـ جاء شيخ إلى قلاية الأب يوحنا فوجده نائماً وملاك يقف إلى جانبه يروّح له . فلما رأى ذلك رحل . وعندما استيقظ الأب ، قال لتلميذه : هل جاءني أحد لمّا كنت نائماً ؟ قال له : نعم يا أبتِ . الشيخ الفلاني . ففهم الأب يوحنا أن من زاره كان في مقامه الروحي ، ولذلك رأى الملاك .

٣٤ ـ قال الأب يوحنا : أريد الانسان أن يأخذ قليلاً من جميع الفضائل . وبالتالي ، فإنك عندما تستيقظ كل صباح ، ابدأ من جديد في كل فضيلة ووصية وذلك بصبر عظيم وخوف وطول أناة ومحبة لله من كل الجسد والنفس ، وبتواضع كبير وصبر على ضيقات القلب والسجن أيضاً ، بصلاة كثيرة وشفاعات وتنهد وعفة في اللسان وحفظ للعين ، محتملاً الاهانة وغير غضوب ، مسالماً وغير مقابل الشر بالشر ، غير مراقب لهفوات الآخرين ونقائصهم ، وغير معتبر نفسك ذا شأن كونك دون الخليقة كلها ، في رفض للماديات والجسديات ، في صليب وجهاد ، في مسكنة الروح ونسك ونوح وصوم وتوبة ، في جهاد في الحروب ، في تمييز ، في عفة نفس ، في هدوء في العمل وشوق إلى عيش المحبة ، في سهر الليل ، في جوع وعطش وبرد وعري ، في أتعاب ، قافلاً قبرك كأنك مت منذ الآن ، وكأنك تعتقد أن موتك بات وشيكاً في كل ساعة .

٣٥ ـ قالوا عنه أيضاً إنه ، لما كان يأتي من الحصاد أو من زيارة لأحد الآباء ، كان يشغل نفسه بالصلاة والدرس والترتيل ، حتى يعود ذهنه الى حالته الأولى .

٣٦ ـ قال أحد الاباء فيه : من هو يوحنا الذي بتواضعه علّق الاسقيط كله بأصبعه الصغير ؟

٣٧ ـ سأل أحد الآباء الأب يوحنا قائلاً : من هو الراهب ؟ قال : الكادح ، لأن الراهب يتعب في كل أمر . هكذا يكون الراهب .

٣٨ ـ قال الأب يوحنا إن شيخاً روحياً قد أغلق على نفسه ، لكنه كان معروفاً جداً في المدينة وكان له من المجد القدر الكثير . فأخبروه أن أحد القديسين يوشك أن يغادر هذا العالم ، فتعال وعانقه قبل رقاده . ففكر في نفسه بأنه إذا خرج في النهار سيسرع الناس اليه فيصير له مجد عظيم ، وهكذا لا تجد نفسه راحة . فقرر الخروج تحت جناح الظلام ليتوارى عن أعين الناس . فلمّا خرج عند المساء راغباً في التواري عن أعين الناس ، للحال أرسل الله اليه ملاكين يحملان شموعاً لتضيئه . وهكذا خرجت اليه كل المدينة لترى المجد وبمقدار ما كان يريد الهرب من الأضواء والمجد ، تمجّد . بهذا تمّ المكتوب :« من يضع نفسه يرتفع » (لوقا ١٤ : ١١) .

٣٩ ـ قال الأب يوحنا الكولوفي : لا يمكنك أن تبني بيتك من أعلى إلى أسفل ، إنما من الأساس إلى فوق . قالوا له : وما هو هذا الكلام يا أبانا ؟ أجابهم : الأساس هو القريب الذي ينبغي أن تربح ، وينبغي أن يكون اهتمامك الأول ، لأن به تتعلق كل وصايا المسيح .

٤٠ ـ قالوا عن الأب يوحنا إن والدَي فتاة شابة ماتا وتركاها يتيمة وكان اسمها بايسيا . ففكّرت أن تحوّل بيت أهلها إلى نزل ، حباً بآباء الاسقيط . وقد بقيت على هذه الحال مدة من الزمن وهي تستقبل الآباء وتخدمهم . وبعد زمن يسير ، انفقت كل مالها وافتقرت . فالتصق بها أناس منحرفون وأبعدوها عن الهدف الصالح . ومنذ ذلك الحين أخذت تعيش في الفسق حتى بلغ بها الى الزنى . فسمع الآباء بحالها وحزنوا جداً ودعوا الأب يوحنا الكولوفي وقالوا له : لقد سمعنا عن هذه الأخت أنها تعيش حياة فاسقة ، وأنت تعلم أنّ هذه الفتاة ، لما كان بمقدورها ، أظهرت لنا محبتها . هلمّ نحن أيضاً نظهر لها المحبة ونقدم لها العون . أبذل جهداً للذهاب اليها ، وبالحكمة التي أوتيتها

من الله ، رتّب أمورها . فجاء الأب يوحنا وقال للبوابة العجوز : دلّيني على سيدتك . فأرسلته اليها قائلة : أنتم منذ البدء أكلتم ثروتها ، لهذا السبب هي الآن فقيرة . قال لها الأب يوحنا : نادي سيدتك لأني سأقدّم لها فائدة كبيرة . أمّا الخدام فكانوا يقولون له وهم يبتسمون : وماذا تقدر أن تقدّم لها ؟ هل تريد سوى أن تكون معها ؟ فأجابهم : كيف تعرفون عطيتي ؟ للحال صعدت العجوز وأخبرتها عنه . فقالت لها الشابة : إن هؤلاء الرهبان يتجولون على الدوام قرب البحر الأحمر بحثاً عن اللآلىء . ولما تزيّنت ، قالت للعجوز : قولي له أن يدخل . فلما دخل ، كانت هي جالسة في سريرها . فتقدم الأب يوحنا وجلس بقربها . ولما حدّق في وجهها قال : لماذا احتقرت يسوع المسيح حتى بلغت بك الحال الى ما أنت عليه ؟ فلما سمعت هذا الكلام ، جمدت في مكانها . أمّا الأب يوحنا ، فأطرق رأسه وطفق يبكي بشدة . فقالت له : ولماذا تبكي يا أبت ؟ فنهض وكان مطرقاً الرأس وهو يبكي ، وقال لها : أرى الشيطان يلهو ويمرح على وجهك ، فكيف لا أبكي ؟ فلما سمعت هذا الكلام ، قالت له : وهل من توبة يا أبت ؟ قال لها : نعم . فقالت : خذني إلى حيث تشاء . قال لها : هلمّ ننطلق . ونهضت تتبعه . فلاحظ الأب أنها لم تطلب شيئاً البتة ، ولم تحدّثه عن بيتها ، فتعجب . ولما وصلا الى البرية ، كان ظلام ، فأمسك حفنة من الرمال وجعلها بمثابة وسادة ورسم عليها إشارة الصليب وقال : نامي هنا . ثم أعدّ لنفسه مكاناً على مسافة قصيرة ، وأتم صلاته ونام.. وفي منتصف الليل نهض فأبصر طريقاً نورانية ممتدة من السماء الى الموضع الذي كانت الشابة نائمة عليه . ورأى ملائكة الله تحمل روحها ، فنهض وتوجه الى المكان الذي تنام فيه وأمسكها من رجلها . ولما رأى أنها قد ماتت ، انطرح إلى الأرض حتى خرّ على وجهه وأخذ يصلّي إلى الله . فسمع أن الساعة التي امضتها في التوبة صارت مقبولة أكثر من توبة طويلة عند كثيرين لا يظهرون حرارة كتلك التي أظهرتها هذه الشابة .

الأب يوحنا الذي يعيش في دير ذي شركة

١ ـ كان هناك أخ يعيش في دير فيه حياة شركة ، عاكفاً على النسك الشديد . فلماّ سمع به اخوة الاسقيط ، جاؤوا لرؤيته ، ودخلوا المكان الذي كان يعمل فيه . وعندما رأى الاخوة ما صنع ، قالوا له : يا يوحنا ، من أعطاك الاسكيم ؟ ومن جعلك راهباً ولم يعلّمك أن تأخذ من الاخوة وتقول لهم « باركوا أو استريحوا» ؟ أجابهم : إن يوحنا الخاطىء لا ينشغل بمثل هذه الأمور .

الأب ايسيذورس كاهن الاسقيط

١ ـ قالوا عن الأب ايسيذورس كاهن الاسقيط إنه لو كان لأحد أخ مريض أو لا مبال أو شتّام ، وأراد أن يطرده ، كان يقول : أحضره إليّ إلى ههنا . فكان يأخذه ، وبطول أناة ، كان يخلّصه .

٢ ـ سأله أخ قائلاً : لماذا تخشاك الشياطين جداً ؟ قال الأب : لأنني منذ أصبحت راهباً ، وأنا أحاول إلاّ أسمح للغضب أن يرتفع الى حلقي .

٣ ـ قال أيضاً إن له أربعين سنة وهو يشعر بالخطيئة في الفكر ، لكنه لم يذعن للشهوة أو الغضب أبداً .

٤ ـ قال أيضاً : لما كنت أصغر سناً وأكثر حداثة ، وكنت أقيم في قلايتي ، لم يكن عندي مقياس للصلاة ، لأن الصلاة كانت بالنسبة إليّ في الليل والنهار .

٥ ـ قال الأب بيمن عن الأب ايسيذورس إنه كان يمضي ليله وهو يحيك الخوص . فرجاه الاخوة قائلين : استرح قليلاً ، لأنك شخت . وكان يجيبهم : إذا احرقوا ايسيذورس ونثروا رماده في الهواء ، فليس له أية نعمة أكبر ، لأن ابن الله قد جاء إلى هنا من أجلنا .

٦ ـ هو نفسه قال عن الأب ايسيذورس إن أفكاره قالت له إنه رجل عظيم ، فقال لها : ترى هل بلغت إلى رتبة العظيم أنطونيوس ؟ أو هل أصبحت مثل بمفو؟ أو هل أنا كسائر القديسين الذين أرضوا الله ؟ ولما كان يقول هذا ، كان يرتاح . ولكن لما كان العدو يقنعه بأنه بعد كل هذا سيطرح الى الجحيم ، كان يقول : حتى ولو طرحت إلى الجحيم ، فإني سأجدكم تحتي أيها الشياطين .

٧ ـ قال الأب ايسيذورس : ذهبت مرة إلى السوق لأبيع بعض السلال . فلما رأيت الغضب يقترب مني ، تركت السلال وهربت .

٨ ـ مضى الأب ايسيذورس إلى الأب ثيوفيلوس رئيس أساقفة الاسكندرية . ولما عاد الى الاسقيط سأله الاخوة : كيف حال المدينة ؟ قال لهم : الحقيقة ، يا اخوتي ، اني لم أرَ وجه إنسان سوى رئيس الأساقفة . فلما سمعوا هذا الكلام ، اضطربوا وقالوا : وهل اختفى سكانها يا أبانا ؟ قال : طبعاً لا ، إلاّ أن فكري لم يغلبني حتى أرى أياً منهم . فلما سمعوا هذا ، تعجبوا وتشددوا وذلك لكي يحفظوا أبصارهم من الاضطراب .

٩ ـ هو نفسه قال : إن فكر القديسين هو في أن يعرفوا إرادة الله . فالانسان يمكنه أن يغلب كل شيء إذا ما أطاع الحقيقة ، كونه مخلوقاً على صورة الله ومثاله . إن الأردأ بين كل الأرواح أن يتبع الانسان قلبه (أي أفكاره) ، لا شريعة الله ، لأن هذا سيجعله في غم ونوح ، كونه لم يعرف السر ، ولم يجد طريق القديسين لكي يعمل فيها . والآن وقت العمل للرب ، لأن الخلاص يُقْتَنى في وقت الضيقات ، وقد كتب « بصبركم تقتنون نفوسكم» (لوقا ٢١ : ١٩) .

الأب ايسيذورس البيلوسيوتي

١ ـ قال الأب ايسيذورس البيلوسيوتي : حياة بدون كلام خير من كلام بدون حياة . فالأولى بالصمت تنفع ، أمّا الثانية فبالصياح تزعج . لكن ، إذا اقترنت الحياة بالكلمة ، يولد مثال كل الفلسفة .

٢ ـ هو نفسه قال : أكرم الفضائل ولا تهتم بالملذات ، لأن الفضائل خالدة ، أمّا الملذات فتزول بسهولة .

٣ ـ وقال أيضاً : كثيرون من الناس يريدون الفضيلة ، إلاّ أنهم يترددون في السير على الطريق التي تقود اليها . كذلك البعض الآخر لا يعتقدون أن ثمة فضيلة . فينبغي أن نقنع الأولين بالتخلي عن كسلهم وتهاونهم ، وأن نعلّم اللاحقين أن الفضيلة هي بالحقيقة فضيلة .

٤ ـ وقال أيضاً : الشر أبعد الانسان عن الله ، وفرّق بين الانسان وأخيه . لذلك ينبغي أن نتحاشاه ونسرع في طلب الفضيلة التي تقودنا الى الله وتجمعنا بالناس . إن تحديد الفضيلة والفلسفة هو البساطة المقرونة بفهم وتعقل .

٥ ـ وقال أيضاً : بما أن علو التواضع عظيم ، كذلك هو السقوط في الكبرياء . لذا ، أنصحكم أن تقبلوا ذاك ، ولا تسقطوا في هذا .

٦ ـ وقال أيضاً : إن حب المال المخيف ، الذي لا يعرف الشبع ، يقود النفس المستعبدة له إلى أسوأ الشرور . لذلك فلنبتعد عنه من البدء لأنه ، إذا ساد ، يصبح سيداً لا يقهر .

الأب اسحق كاهن القلالي

١ ـ في أحد الأيام جاؤوا ليشرطنوا الأب اسحق كاهناً، فلما سمع بهذا الأمر، هرب الى مصر واختبأ في أحد الحقول بين المزروعات، وكان الآباء في أثره. فلما وصلوا إلى المكان الذي كان فيه، توقفوا ليأخذوا لأنفسهم قسطاً من الراحة لأن المساء كان قد حل. وكان معهم حمار، فتركوه يرعى. لكن الحمار ابتعد ووقف إزاء الشيخ وفي الصباح طلبوا الحمار فوجدوه بجوار الأب اسحق، فتعجبوا. ولما أرادوا أن يربطوه، منعهم قائلاً: لن أهرب بعد الآن، لأن هذه هي إرادة الله. إذ حيثما ذهبت، أصل إلى ذلك بعينه.

٢ ـ قال الأب اسحق: لما كنت أصغر سناً، كنت أقيم مع الأب كرونيو الذي لم يكن يطلب مني أية خدمة، مع أنه كان طاعناً في السن وعنده رجفة في جسمه. بل كان ينهض بمفرده ويقدم لي ولسواي لنشرب. كذلك أقمت مع الأب ثيوذورس الفيرمي، وهذا أيضاً لم يطلب مني أية خدمة، بل كان يعدّ الطعام بنفسه ويمدّ المائدة بيده ويقول: يا أخي إذا كنت تريد أن تأكل تفضل. أمّا أنا فكنت أقول له: يا أبت، جئت إليك لكي انتفع، فكيف لا تطلب مني القيام بعمل؟ لكن الشيخ كان دائماً يلازم جانب الصمت. فذهبت وقلت هذا للشيوخ، فجاؤوا وقالوا له: يا أبانا، هذا الأخ جاء إليك لكي يستفيد، فكيف لا تطلب منه أية خدمة؟ قال لهم: ماذا تظنون؟ هل أنا رئيس دير حتى آمره؟ على كل حال أنا لا أقول له شيئاً، ولكن إذا أراد، فليفعل ما يراني أقوم به. ومنذ ذلك الحين بدأت أسرع في القيام بالأعمال التي كان هو ينوي القيام بها. بينما كان الشيخ كعادته يعمل بصمت. وهذا علمني أن أقوم بعملي صامتاً.

٣ ـ كان الأب اسحق والأب ابراهيم يقيمان معاً . وحدث مرة أن دخل الأب ابراهيم عليه فوجده يبكي ، فقال له : لماذا تبكي يا أبت ؟ قال الشيخ : ولماذا لا نبكي؟ الى أين سنذهب؟ آباؤ نا ماتوا وعمل أيدينا لم يكن يكفي لأجرة المراكب عندما كنا نذهب لزيارتهم . أمّا الآن فنحن يتامى ، من أجل هذا أبكي يا ولدي .

٤ ـ قال الأب اسحق : اعرف أخاً أراد بينما كان يحصد في البيدر ، أن يأكل حفنة من القمح . فقال لصاحب الحقل : هل تسمح لي بحفنة من القمح يا أخي ؟ فلما سمع صاحب الحقل هذا الكلام ، تعجب وقال له : الحقل كله لك يا أبت وتسألني ؟ بهذا المقدار كان هذا الأخ دقيقاً .

٥ ـ قال أيضاً للاخوة : لا تحضروا الأولاد الى هنا ، لأن أربع كنائس في الاسقيط أصبحت مقفرة بسببهم .

٦ ـ قالوا عن الأب اسحق إنه كان من يأكل مع الخبز رماد بخور التقدمة .

٧ ـ قال الأب اسحق : آباؤنا والأب بمفو كانوا يلبسون الثياب الخشنة القديمة ، أمّا الآن فإنكم تلبسون الثياب الثمينة الفاخرة . ارحلوا عني ، واخلوا هذا المكان . ولما كان ينوي الذهاب الى الحصاد ، كان يقول لهم : لن أعطيكم بعد اليوم وصايا ، لأنكم لا تحفظونها .

٨ ـ حدّثنا أحد الآباء عن أخ جاء إلى كنيسة القلالي يعتمر قبعة صغيرة ، فأتى ووقف أمام الأب اسحق . فطرده الأب قائلاً : إن ما هنا هو للرهبان ، أمّا أنت فمن العالم ، ولا تقدر أن تقيم في هذا المكان .

٩ ـ قال الأب اسحق : لم أدخل إلى قلايتي فكراً ضد أخ أزعجني . وكان همي ألاّ أترك أحداً وفي قلبه عليّ شيء .

١٠ ـ مرض الأب اسحق مرضاً خطيراً وطال مكوثه فيه ، فأعدّ له أخ قليلاً من

الحساء جاعلاً فيه فتاتاً من الخبز اليابس . فرفض الأب أن يأكل . فرجاه قائلاً : خذ منه قليلاً لأجل المرض يا أبت . أجابه الشيخ : في الحقيقة يا ولدي ، كنت أريد لو أبقى في مرضي ثلاثين سنة .

١١ ـ قالوا عن الأب اسحق إنه لما دنت ساعة رحيله من هذا العالم ، التف حوله الآباء وقالوا : ماذا نعمل بعدك يا أبانا ؟ قال لهم : أنظروا كيف كان سلوكي بينكم . فإذا أردتم أن تتبعوني ، احفظوا وصايا الله ، وهو يرسل نعمته ويحفظ هذا المكان . ولكن إذا لم تحفظوها ، لن تقيموا ههنا . ونحن كنا في الواقع نحزن لفراق آبائنا . إلاّ أننا كنا نحفظ وصايا الرب وتوجيهات الآباء ، فكنا نثبت وكأنهم بيننا . وأنتم أيضاً ، إذا فعلتم هكذا ، تخلصون .

١٢ ـ قال الأب اسحق : اعتاد الأب بمفو أن يقول : إنه من المفيد للراهب أن يلبس ثوباً من النوع الذي ، إذا ما رماه خارج القلاية ثلاثة أيام ، لا يلتقطه أحد .

الأب يوسف الذي في بنفو

١ ـ صعد بعض الآباء مرة إلى الأب يوسف في بنفو كي يسألوه عن طريقة استقبال الاخوة وإضافتهم وهل ينبغي أن يخالطوهم ويكلموهم بحرية وقبل أن يسألوه ، قال لتلميذه : إفهم ما أنا مزمع أن أعلّمه اليوم ، واحتمله . ثم وضع الأب وسادتين الواحدة عن يمينه والأخرى عن يساره ، وقال : .إجلسوا . أمّا هو فدخل إلى القلاية وارتدى لباس المتسول ، ولما خرج ، اجتاز في وسطهم . ثم عاد ودخل من جديد إلى قلايته وارتدى لباسه الأول . فتعجب الجميع من عمله . فقال لهم : أفهمتم ماذا فعلت ؟ قالوا : نعم . قال : هل تبدل فيّ شيء لما ارتديت لباساً حقيراً ؟ قالوا : كلا . قال لهم : إذا كنت أنا نفسي في كلتا الحالتين لم أتغيّر في الأولى ، ولم أتأذَّ في الثانية ، إذن ينبغي أن نعمل الشيء نفسه لدى استقبال الاخوة الغرباء . لأن الكتاب يقول : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢٢: ٢١) . لأجل ذلك عندما يحضر بعض الاخوة ، ليكن استقبالنا لهم بجرأة وفرح . ولكن عندما نعود إلى وحدتنا ، نحتاج إلى النوح ليبقى معنا . فلما سمعوا هذا الكلام تعجبوا ، لأنه قال لهم كل ما جال في فكرهم قبل أن يسألوه . فمجّدوا الله .

٢ ـ قال الأب بيمن للأب يوسف : قل لي : كيف يمكنني أن أصير راهباً ؟ قال له : إذا أردت أن تجد راحة هنا وهناك ، قل في كل شيء : « من أنا؟» ، ولا تدنْ أحداً .

٣ ـ هو نفسه سأل الأب يوسف قائلاً : ماذا أعمل عندما تدنو الأهواء مني ؟ هل

أقاومها ؛ أم أتركها تدخل ؟ قال له الشيخ : اتركها تدخل ثم حاربها . ثم عاد وأقام في الاسقيط . وحدث أن قدم واحد من أهل طيبة الى الاسقيط وقال للاخوة : لقد سألت الأب يوسف قائلاً : هل أقاوم الأهواء متى دنت مني ، أم أتركها تدخل ؟ فقال لي : لا تدعها تتسرب إليك البتة ، إنما أقطعها للحال . فلما سمع الأب بيمن أن الأب يوسف أجاب الأخ هكذا ، نهض للحال ومضى إلى بنفو وقال له : لقد وثقت بك يا أبت وسلمتك أفكاري . إلاّ أنك أجبتني بخلاف ما أجبت الأخ الذي من طيبة . قال له الشيخ : ألا تعلم أني أحبك ؟ قال : نعم . قال : ألم تقل لي : كلمني كما تكلم نفسك ؟ أجاب : نعم ، هكذا قلت لك . قال له الشيخ : في الواقع إذا دخلت إليك الأهواء وحاربتها ، فإنها تجعلك ذا خبرة أعمق . لقد كلمتك كنفسي . لكن هناك أناس لا يوافقهم دنو الأهواء منهم ، وعليهم أن يقطعوها فوراً .

٤ ـ سأل أخ الأب يوسف قائلاً : ماذا أعمل لأنني لا أقدر أن أحتمل المشقات أو أن أعمل وأن أمارس الإحسان ؟ أجابه الشيخ : إذا كنت لا تقدر أن تعمل واحدة من هذه ، يكفيك أن تحفظ ضميرك تجاه القريب نقياً ، فتخلص .

٥ ـ قال أحد الاخوة إني زرتُ الأب يوسف في هيراقلية الجنوبية . وكان في الدير تينة جميلة . فقال لي عند الصباح : إذهب وكل . وكان ذلك اليوم جمعة ، فلم أذهب بسبب الصيام ، فتضرعت إليه وقلت : حباً بالله ، قل لي ما هو هذا الفكر ؟ أنت كنت تريدني أن أذهب وآكل ، أمّا أنا فبسبب الصيام لم أذهب ، وكنت أخجل من وصيتك وقد فكرت في نفسي وقلت : بأي فكر كان الأب يطلب هذا ؟ ماذا كان ينبغي أن أعمل لما طلبت مني أن أذهب ؟ قال : بادىء ذي بدء لا يعلن الآباء للإخوة الأشياء صحيحة ، إنما يحرّفونها . لكن إذا لاحظوا أن الإخوة ينفذون كل ما يطلب منهم ،يكفّون عن التحريف ويبدأون بما هو حقيقي ، لأنهم عرفوا أن الاخوة قد صاروا مطيعين في كل شيء .

٦ ـ قال الأب يوسف للأب لوط : لا تستطيع أن تصير راهباً ، إذا لم تصبح ناراً ملتهبة بالكلية .

٧ ـ زار الأب لوط الأب يوسف وقال له : يا أبت ، على قدر طاقتي أقوم بصلاتي وصومي ودرسي وتأملي . كذلك على قدر طاقتي أحتفظ بأفكاري نقية . فماذا بقي عليّ أن أعمل ؟ فنهض الأب يوسف وبسط يديه نحو السماء ، فصارت أصابعه كعشر شموع من نار ، وقال له : إذا كنت تريد ، فما عليك إلاّ أن تكون ناراً بالكلية .

٨ ـ قال أحد الاخوة للأب يوسف : أريد أن أخرج من الجماعة وأتوحّد ؟ قال له الشيخ : أقم حيث ترى أن نفسك ترتاح ولا تتأذى . أجابه الأخ : في الجماعة أجد راحتي ، وفي التوحد والإنقطاع أيضاً . فماذا تريدني أن أعمل ؟ قال له الشيخ : إذا كنت تجد راحتك في الإثنين معاً ، ضع فكريك على كفتي ميزان ، وحيثما تجد أن نفسك تزداد نفعاً وفكرك يزداد ثقلاً فهناك استقر .

٩ ـ زار أحد الآباء رفيقه كي يذهبا معاً لزيارة الأب يوسف . فقال : قل لتلميذك أن يعدّ لنا الحمار . أجابه : ناده ، ومهما أردت سيعمله . قال : وما اسمه ؟ أجاب الأب : لا أعرف . فقال له : كم له من الوقت معك حتى أنك لا تعرف اسمه ؟ قال : سنتان . قال الأب : إذا كنت لا تعرف اسم تلميذك بعد سنتين من إقامته معك ، فأنا في يوم واحد ماذا يعوزني حتى أتعلمه ؟

١٠ ـ اجتمع بعض الاخوة لدى الأب يوسف . ولما كانوا يسألونه كان هو يطير من الفرح ، وبلهفة قال لهم : اليوم أنا ملك ، لأنني ملكت على أهوائي .

١١ ـ قالوا عن الأب يوسف إنه ، لما شارف على الموت ، كان هناك آباء كثيرون عنده ، فنظر إلى النافذة ، فرأى الشيطان جالساً هناك ، فنادى تلميذه وقال له : إليّ بالعصا ، لأن هذا يظن أنني قد هرمت ولم أعد قادراً عليه . ولما أمسك عصاه ، لاحظ الآباء أن الشيطان نزل من الشباك ككلب واختفى .

الأب يعقوب

١ ـ قال الأب يعقوب : خير للإنسان أن يتغرب من أن يستضيف .

٢ ـ وقال أيضاً : عندما يُمتدح إنسان ، ينبغي أن يتأمل في خطاياه ويفكر في أنه لا يستحق ما يُقال فيه .

٣ ـ وقال أيضاً : كما أن المصباح يضيء غرفة النوم المظلمة ، هكذا خوف الله عندما يدخل القلب ، ينيره ويعلّمه كل الفضائل ووصايا الله .

٤ ـ ليست حاجتنا إلى الكلام فقط ، لأن الكلام في هذا الزمان كثير ، إنما حاجتنا إلى العمل . فهذا هو المطلوب ، لا الكلام الذي لا يأتي بثمر.

الأب إيراكا

١ ـ سأل أخ الأب إيراكا قائلاً : قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ قال له الشيخ : إجلس في قلايتك . وإذا عطشت إشرب . وإذا جعت كل . لا تتكلم على أحد بسوء . هكذا تخلص .

٢ ـ هو نفسه قال : لم أشأ أبداً أن أنطق بكلمة دنيوية ، ولا أردت أن أستمع لها .

الأب يوحنا الخصي

١ ـ لما كان الأب يوحنا الخصي شاباً ، سأل أحد الشيوخ قائلاً : كيف استطعتم أن تعملوا إرادة الله براحة ، بينما نحن بالجهد نفعل ذلك ؟ قال الشيخ : لقد تمكنا من ذلك ، إذ أن اهتمامنا الأساسي هو عمل الله . أمّا للحاجة الجسدية فنعير انتباهاً قليلاً . بينما أنتم تعطون الحاجة الجسدية الاهتمام الأول ، وعمل الله ليس الأهم عندكم . لأجل هذا تتعبون ، ولهذا قال الرب لتلاميذه : «يا قليلي الإيمان ، أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم » (متى ٦ : ٣٣) .

٢ ـ هو نفسه قال : إن أبانا أنطونيوس قال : لم أؤثر مرةً مصلحتي على مصلحة أخي .

الأب يوحنا الكيليكس

١ ـ قال الأب يوحنا الكيليكس رئيس دير رايثو إلى الاخوة : يا أولادي ، كما أننا هجرنا العالم فلنهجر رغبات الجسد أيضاً .

٢ ـ وقال أيضاً : لنتشبه بآبائنا . كم من الشدة والسكينة أقاموا هنا .

٣ ـ وقال أيضاً : لا نلوّث هذا المكان يا أبنائي ، لأن آباءنا قد طهّروه من الشياطين .

٤ ـ إن هذا المكان ملك للنسّاك لا لذوي الحِرَف .

الأب يوحنا رجل القلالي

١ ـ حدّثنا الأب يوحنا رجل القلالي قائلاً : كان في مصر زانية جميلة جداً وغنية . وكان الأسياد والأمراء يتوافدون إليها . مرّت ، في أحد الأيام ، أمام الكنيسة وأرادت أن تدخل ، لكن الشماس المساعد ، الذي كان يقف عند الباب ، لم يسمح لها بالدخول قائلاً : أنت لا تستحقين الدخول إلى بيت الله لأنك غير طاهرة . ولما كانا يتماحكان ، سمع الأسقف الضجة ، فخرج . قالت له الزانية : إنه لا يسمح لي بالدخول إلى الكنيسة . قال لها الأسقف : لا يسمح لك بالدخول لأنك غير طاهرة . فتحركت هذه في داخلها وقالت له : لن أزني بعد اليوم . قال لها الأسقف : إذا أحضرت كل أموالك إلى هنا ، أعرف انك لن تمارسي الزنى أبداً . فذهبت وجاءت بكل مالها وأحرقته . ثم دخلت إلى الكنيسة تبكي وتقول : إذا أصابني هنا مثل هذا ، الويل لي ، ماذا سيحدث لي هناك ؟ فتابت وأضحت إناءً مختاراً .

٢ ـ قال الأب يوحنا الطيبي : يجب على الراهب ، قبل كل شيء ، أن يكون متواضعاً ، لأن هذه هي وصية السيد الأولى : « هنيئاً للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات » (متى ٥ : ٣) .

الأب إيسيذورس الكاهن

١ ـ قالوا عن الأب إيسيذورس الكاهن إن أخاً جاءه يدعوه إلى الطعام . أمّا هو فأبى أن يذهب قائلاً : آدم خُدع بالأكلة ، فمكث خارج الفردوس . قال له الأخ : وأنت أيضاً ، تخاف الخروج من قلايتك يا أبت ؟ أجابه الأب : نعم يا بني ، أخاف لأن « الشيطان يزأر كالأسد طالباً من يبتلعه » (١ بطرس ٥ : ٨) . ومراراً كثيرة كان يقول : إذا سلّم أحد نفسه إلى تعاطي الخمرة لن يهرب من مكيدة الأفكار ، لأن لوط ، لما أجبرته بناته ، سكر بالخمرة ولما سكر قاده الشيطان بيسر وسهولة إلى الزنى غير المشروع .

٢ ـ قال الأب إيسيذورس : إذا اشتهيت أن تنال ملكوت السموات ، فاحتقر الأموال واسع نحو المكافأة الإلهية .

٣ ـ وقال أيضاً : يستحيل عليك أن تعيش وفقاً لإرادة الله إذا كنت محباً للمال واللذة .

٤ ـ وقال أيضاً : إذا حفظتم الصوم وفق الأصول لا تتكبروا ، لأنه خير لكم أن تأكلوا لحماً من أن تقعوا في الكبرياء . فخير للإنسان أن يأكل لحماً من أن يتباهى ويفتخر .

٥ ـ وقال أيضاً : يجب على التلاميذ أن يحبوا المعلمين الحقيقيين كآباء ، وأن يخافوهم كرؤساء . فلا يسقطون الخوف بداعي المحبة ، ولا يزيلون المحبة بداعي الخوف .

٦ ـ وقال أيضاً : إذا كنت تشتاق إلى الخلاص ، اعمل كل ما من شأنه أن يقودك إليه .

٧ ـ قالوا عنه إنه كان يهرب إلى قلايته الداخلية ، كلما جاءه أحد الاخوة . فقال له البعض : يا أبانا ، ما الذي تفعله ؟ أجابهم : إن الحيوانات التي تسرع إلى أوكارها عندما تُطارد ، تنجو . هذا قاله لمنفعة الاخوة .

الأب يوحنا الفارسي

١ ـ جاء إليه صبي ليشفى من الشيطان ، وفي الوقت نفسه كان هناك بعض الاخوة الذين جاؤوا لزيارته من أحد أديار مصر . فلما خرج الشيخ ، رأى أحد الاخوة يقترف الخطيئة مع الصبي ، فلم يوبِّخه قائلاً : إذا كان الله الذي أبدعهما ، يراهما ، فمن أنا حتى أوبِّخهما؟

٢ ـ قال أحد الآباء عن الأب يوحنا الفارسي إنه بسبب النعمة الكثيرة بلغ درجة عميقة من الطهارة . وكان يقيم في منطقة العرب في مصر . فاقترض من أحد الاخوة مالاً واشترى به كتاناً كي يعمل . فجاءه أحد الاخوة راجياً إياه وقائلاً : أعطني يا أبت شيئاً من الكتان لأصنع ازاراً . فأعطاه ، كما أعطى بفرح آخرين طلبوا منه . وأخيراً جاء الذي أقرضه المال ليسترده . فقال له الأب : سأذهب لأحضره لك . ولم يكن يعلم من أين سيأتي بالمال ليفي الدين المفروض عليه . فقام ومضى إلى الأب يعقوب المسؤول عن الخدمة كي يقرضه بعض المال ليعيد للأخ ما له . وفي الطريق صادف قرصاً من ذهب على الأرض ، فلم يلمسه . فصلّى وعاد إلى قلايته . فعاد الأخ من جديد يزعجه من أجل المال . فقال له الأب : سأهتم بإحضاره مهما يكن الأمر . فلما مضى إلى الأب يعقوب ، وجد في الطريق القرص الذهبي ملقى على الأرض ، فصلّى وعاد إلى قلايته دون أن يأخذه . فعاد الأخ للمرة الثالثة يزعجه ، فقال له : هذه المرة سأحضره لك . وهكذا مضى إلى الأب يعقوب من جديد وقال له : يا أبت ، لما كنت آتياً إليك ، وجدت في الطريق هذه القطعة النقدية . أَحسِنْ إليّ وأعلن هذا الأمر للرعية ، إذ ربما أضاعها أحدهم . وفي حال ظهور

صاحبها، أردّها إليه . فمضى الأب يعقوب وأعلن ذلك مدة ثلاثة أيام، فلم يظهر صاحب القطعة . عندئذ قال الأب يوحنا للأب يعقوب : إذا لم يفقدها أحد أعطها للأخ الفلاني لأني مدين له . فأنا ، لما كنت آتياً إليك لآخذ منك إحساناً ، وجدت هذا القرص في الطريق . فتعجب الأب يعقوب ، كيف أن الأب يوحنا لم يلتقط المال ما دام مديناً . وكان هذا المذهل في طبعه وهو أنه إذا قدم إليه أحد يطلب شيئاً ، لم يكن يعطيه إياه وحسب ، بل كان يقول : اذهب وخذ بنفسك ما تحتاج إليه . ولما كان يعيده كان يقول له : أعده الى مكانه . وعندما لم يكن يعيد إليه أحد ما أخذ ، لم يكن يقول له شيئاً .

٣ ـ قالوا عن الأب يوحنا الفارسي إنه ، لما دخل الأشرار إلى المنطقة التي كان هو فيها ، كان يقدّم لهم طستاً ويغسل لهم أرجلهم . أمّا هم ، فلشدة تقديرهم واحترامهم له ، كانوا يتوبون .

٤ ـ قال أخ للأب يوحنا الفارسي : لقد تعبنا تعباً هذا مقداره من أجل ملكوت السموات ، ترى هل نرثه ؟ أجابه الأب : أنا أؤمن أنني سأرث أورشليم العلوية التي في السموات ، لأن من وعدنا به أمين ، فلماذا الشك إذن ؟ لقد كنت مضيفاً كإبراهيم ، وديعاً كموسى ، باراً كهرون ، صبوراً كأيوب ، متواضعاً كداود ، ناسكاً كيوحنا ، حزيناً كإرميا ، معلّماً كبولس ، أميناً كبطرس ، حكيماً كسليمان . وأؤمن ، كاللص ، بإن من وهبني هذه كلها لفرط خيريته ، سيهبني الملكوت أيضاً .

الأب يوحنا الطيبي

١ ـ قالوا عن الأب يوحنا الطيبي الصغير تلميذ الأب أموي إنه أقام اثنتي عشرة سنة في خدمة أبيه لما كان مريضاً . فكان يجلس معه على البساط . وكان الأب المريض لا يكترث له ، مع العلم أن الأب يوحنا كان يتعب أمامه كثيراً . وبالرغم من الخدمة هذه ، لم يقل له حتى ولا لمرة واحدة « أرجو أن تخلص » . إلاّ انه لما أوشك أن يغادر هذا العالم ، أمسك يده بينما كان الآباء مجتمعين ، وقال : أرجو أن تخلص ، أرجو أن تخلص ، أرجو أن تخلص . ثم سلّمه إلى الآباء قائلاً : هذا ملاك لا إنسان .

الأب يوحنا تلميذ الأب بولس

١ ـ قالوا عن الأب يوحنا تلميذ الأب بولس إنه كان مطيعاً جداً . كان هناك في أحد الأمكنة قبور تعيش فيها ضبعة . فرأى الشيخ في جوار قلايته بعضاً من روثها، فقال ليوحنا : اذهب واحضرها . قال التلميذ : وماذا نفعل بالضبعة يا أبي ؟ أجاب الشيخ مازحاً : إذا هاجمتك ، إربطها واحضرها إلى هاهنا . فمضى إليها في المساء ، للحال هاجمته ، فعمل بكلمة أبيه وهجم ليمسكها ، لكنها هربت ، فانطلق يعدو في أثرها ويقول : لقد طلب مني أبي أن أربطك . ولما أمسكها ربطها . فحزن الشيخ بولس وكان جالساً ينتظر عودته . أمّا يوحنا فعاد يجر الضبعة وراءه . فلما رأى الشيخ هذا تعجب جداً . وأراد أن يعلّمه التواضع ، فربت على كتفه وقال له : أيها المجنون ، لقد أحضرت إليّ كلباً مجنوناً . للحال ، حلّ الوحش من رباطه وأطلقه .

الأب يوسف الطيبي

١ ـ قال الأب يوسف الطيبي : ثلاثة أمور مكرمة في عيني الرب : الأول عندما يمرض الإنسان فتأتيه التجارب ويقبلها بشكر . والثاني ، عندما يتمّ الإنسان أعماله كلها أمام الرب بدون أي أمر بشريّ . والثالث عندما يعيش المرء في طاعة أبيه الروحي ، ويرفض كل مشيئة ذاتية . هذا له إكليل خاص ينتظره . أمّا أنا ، فقد اخترت المرض .

الأب اسحق الطيبي

١ ـ زار الأب اسحق الطيبي ديراً ، فرأى أخاً يخطـأ ، ووبّخه على خطيئته . ولما خرج إلى البرية ، جاء ملاك الرب ووقف أمام باب قلايته قائلاً : لن أدعك تدخل . فتوسل إليه قائلاً : ولأي سبب تمنعني من الدخول ؟ أجابه الملاك : لقد أرسلني الله إليك قائلاً : قل له : اين تأمرني أن أضع الأخ الذي وبّخته ؟ للحال ندم وقال : لقد خطئت سامحني . فقال له الملاك . انهض ، لقد سامحك الله . وانتبه لنفسك ألاّ تدين أحداً قبل أن يدينه الله .

٢ ـ قالوا عن الأب أبو للو إنه كان له تلميذ يدعى اسحق ، وكان مدرّباً في كل خير وصلاح . وقد اقتنى صمت التقدمة المقدسة . هذا لما كان يذهب إلى الكنيسة ، لم يكن يسمح لأحد أن يأتي لمقابلته . وكان سبب موقفه هذا ، ان كل شيء حسن في حينه « لأن لكل أمر أواناً » (الجامعة ٣ : ١) . ولما كان يحل اجتماع الاخوة ، كان هو يسرع كمن يهرب من نار للوصول إلى قلايته . وكان الاخوة يتناولون عادة ، بعد الإجتماع ، خبزاً وخمراً ، أمّا هو فلم يكن يجاريهم ، لا لأنه يمقت تقدمة الاخوة ، إنما كي يحتفظ بالصمت والسكينة . وحدث مرة أن اضطر إلى ملازمة قلايته بسبب وعكة صحية . فلما سمع به الاخوة ، قاموا ومضوا إليه . ولما جلسوا ، سألوه قائلين : يا أبانا اسحق ، لماذا تهرب من الاخوة بعد الصلاة ؟ قال لهم : أنا لا أهرب من الاخوة بل من حنكة الشياطين وحيلهم وحبائلهم ، لأنه لو أمسك أحد شمعة مضاءة وأطال وقوفه في الريح ، تنطفىء . هكذا هي حالنا تماماً عندما نستنير من التقدمة

المقدسة (الجسد والدم الطاهرين) ، فإن عقلنا يظلم إذا مشينا خارج قلالينا . هذه هي سيرة الأب القديس اسحق . [1]

الأب إيلاريون

١ ـ زار الأب إيلاريون من فلسطين الأب أنطونيوس في الجبل . قال له الأب أنطونيوس : اهلاً بك يا كوكب الصبح المنير . اجابه الأب إيلاريون : سلام لك يا عمود النور الذي يضيء المسكونة .

الأب اسخيريون

١ ـ تنبأ الآباء القديسون عن الجيل الأخير وقالوا : ماذا عملنا نحن ؟ أجاب أحدهم واسمه اسخيريون وقال : نحن أتممنا وصايا الله . قالوا أيضاً : والذين بعدنا ، ماذا سيفعلون ؟ قال : سيبلغون نصف ما وصلنا إليه . قالوا : والذين بعدهم ، ماذا سيفعلون ؟ قال : في ذلك الجيل لن يكون لهم عمل . فالتجارب ستأتيهم ، والمجرَّبون منهم ، يغتبرون ، في ذلك الوقت ، أفضل منا ومن آبائنا .

---

(١) إن كلمة « إجتماع » المستعملة كثيراً في الأدب الرهباني ، هي كناية عن القداس الإلهي ، وكلمة « التقدمة » ، تعني المناولة بالمفهوم الشعبي ، أي سر الشكر .

الأب كسيانوس

١ ـ قال الأب كسيانوس : زرت ، بصحبة القديس جرمانوس ، أحد آباء مصر ، ولما أضافنا سألناه : لأي سبب لا تحفظون قانون صومكم عندما تستقبلون اخوة غرباء ، كما تسلمنا في فلسطين ؟ أجاب قائلاً : الصوم معي دائماً . أمّا أنتم فلستم معي على الدوام . لا شك أن الصوم أمر نافع جداً وضروري ، إلاّ أنه اختياري . أمّا إتمام المحبة ، فتطلبه منّا شريعة الله بالضرورة . وإذا قبلت المسيح فيكم ، يجب عليّ أن أخدمكم بكل غيرة وحماس . ولكن عندما ترحلون أستطيع العودة إلى صومي الأول ، « لأن أصدقاء العريس لا يقدرون أن يصوموا ، ما دام العريس معهم . ولكن عندما يرفع عنهم ، حينئذ يصومون » .

٢ ـ هو نفسه قال : كانت ثمة عذراء بارّة قديسة تقوم بخدمة أحد الشيوخ . وكان الناس يقولون : هذان ليسا نقيين وطاهرين . فسمع الشيخ بهذا الكلام . ولما أوشك أن يغادر العالم ، قال للآباء : عندما أنتقل اغرسوا عصاي في القبر ، فإذا أينعت وأثمرت تفهمون أني كنت بريئاً من تهمة الناس ، وإذا لم تثمر تفهمون أني قد خطئت معها . وبعد موته ، غرسوا العصا في القبر ، فأينعت في اليوم الثالث وأتت بثمر ، فمجّدوا الله .

٣ ـ وقال أيضاً : كنت في زيارة شيخ آخر ، فقدّم لنا طعاماً . ولما أكلنا كفايتنا ، ألحّ علينا أن نأكل أيضاً . فقلت له : لم نعد قادرين على الأكل يا أبت . فأجاب : أنا بسبب الاخوة الزوار مددت المائدة ست مرات متوسلاً إلى كل

واحد أن يأكل ، وكنت بنفسي آكل معه ، ولا أزال إلى الآن جائعاً . أمّا أنتم فقد شبعتم من أكلة واحدة ولم تعودوا قادرين أن تأكلوا .

٤ ـ هو نفسه قال : زار الأب يوحنا رئيس أحد الأديار الأب بييسيوس الذي أقام ٤٠ سنة في صحراء بعيدة . ولما كان يحبه جداً ، قال له بدالة : ماذا جنيت كل هذا الزمان وأنت بعيد عن الناس لا يزعجك أحد ؟ قال : منذ أن أصبحت راهباً ، لم ترني الشمس آكل . قال الأب يوحنا : وأنا لم ترني أغضب .

٥ ـ لما أوشك الأب يوحنا أن يغادر هذا العالم وأن ينتقل باستعداد وفرح ، تحلّق حوله الاخوة وطلبوا منه أن يترك لهم كلمة موجزة نافعة بها يتمكنون من بلوغ الكمال في المسيح . فتنهد وقال : لم أفعل ، مرةً ، مشيئتي . كما أنني لم أعلّم أحداً ما لم أفعله أنا أولاً .

٦ ـ حدّثنا أيضاً عن شيخ كان يقيم في البرية أنه تضرع إلى الله أن يمنحه النعمة كي لا ينعس عندما يتلى عليه حديث روحي . وإذا كان الكلام باطلاً أو مجرد افتراء، كان ينام للحال . وذلك لئلا تذوق أذناه سمّاً كهذا . وكان يقول إن الشيطان غيور على الكلام الباطل ،وعدو لكل تعليم روحي . وقد ساق المثل التالي : بينما كنت أتكلم إلى بعض الاخوة ، من أجل المنفعة ، للحال غطوا في نوم عميق ، حتى أنهم لم يقدروا أن يحركوا رموش أعينهم . فأردت أن أظهر فعل الشيطان ، فأدخلت حديثاً باطلاً ، للحال انتفض الجميع بفرح ، فقلت متنهداً : حتى اللحظة التي كنت فيها أكلمكم على الأمور السماوية ، كانت عيونكم مثقلة بالنعاس ، لكن ، ما إن خرج من فمي كلام باطل ، حتى نهضتم تسمعونه بلهفة . لهذا يا اخوتي ، استحلفكم بالله أن تنتبهوا لفعل الشرير وإلى أنفسكم من النعاس، عندما تفعلون أمراً روحياً أو تسمعونه .

٧ ـ وقال أيضاً : إنسان رفيع الشأن أراد أن يترك العالم ، فوزع أملاكه وأمواله على الفقراء واحتفظ لنفسه بالقليل ، غير مريد أن يقبل التواضع الآتي من

التخلي الكامل والخضوع الأصيل لقانون حياة الشركة . فقال عنه القديس باسيليوس : لقد فقدت الغنى ، لكنك لم تصبح راهباً .

٨ ـ وقال أيضاً : كان ثمة راهب يعيش في أحد كهوف البرية . فأخبره أنسباؤه قائلين : إن أباك يتألم كثيراً وقد أشرف على الموت . تعال إذن ليكون لك الميراث . أجابهم : لقد مت عن العالم قبله فالميت لا يرث الحي .

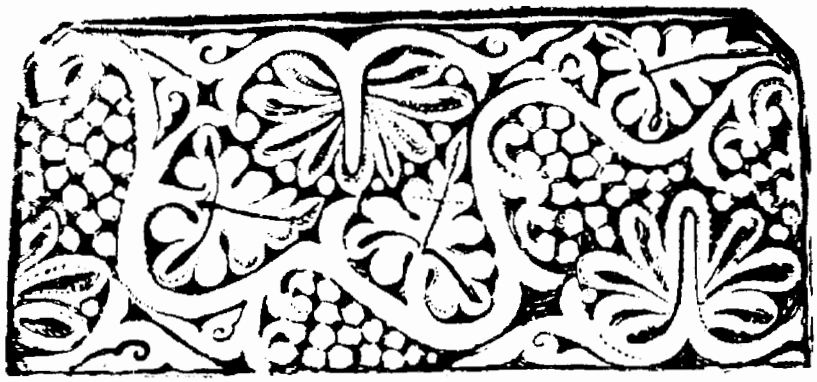

الأب كرونيوس

١ ـ قال أخ للأب كرونيوس : قل لي كلمة . أجابه الأب : عندما اقترن أليشع بالشونمية ، وجد أن ليس لها علاقة بأحد ، فحبلت وولدت إبناً بحضور ألشيع (٤ مل ٤ : ١٦) . فقال له الأخ : وما معنى هذا الكلام يا أبت ؟ أجابه الشيخ : النفس إذا سهرت وجمعت ذاتها من التشتت وهجرت إرادتها ، يستقر عليها روح الله ، فتلد ، ولو كانت عاقراً .

٢ ـ سأل أخ الأب كرونيوس قائلاً : ماذا أفعل بالنسيان الذي يأسر عقلي ويتركني بدون شعور أو إحساس ، حتى إنه يقودني دائماً إلى الخطيئة ذاتها ؟ أجابه الأب : عندما أخذ الغرباء تابوت العهد بسبب أعمال أبناء إسرائيل ، جرّوه حتى وصلوا به إلى بيت داجون إلههم ، فسقط هذا على وجهه (١ مل ٥ : ١) ، و « الداجون هو التمثال » . قال الأخ : وما معنى هذا يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إذا جاؤوا ليستعبدوا ذهن الإنسان من منطلقاته الخاصة ، فإنهم سيجرّونه إلى الهوى غير المنظور . وهناك ، إذا التفت الذهن وطلب الله ذاكراً الدينونة الأخيرة ، للحال يسقط الهوى ويتلاشى ، لأنه كتب : « إذا استدرت وتنهدت ، تخلص ، وتعلم أين كنت » (أشعيا ٣٠ : ١٥) .

٣ ـ سأل أخ الأب كرونيوس قائلاً : كيف يبلغ الإنسان إلى التواضع ؟ قال له الشيخ : بمخافة الله . قال الأخ : وكيف يصل إلى مخافة الله ؟ أجابه الشيخ : أظن أنه يتم له ذلك عندما يجمع ذاته ويسلم نفسه للتعب الجسدي متذكراً ، من كل قلبه ، ساعة خروجه من هذا العالم ، ودينونة الله .

٤ ـ قال الأب كرونيوس : لو لم يوجّه موسى خرافه إلى سفوح جبل سيناء ، لما رأى النار في العليقة (خروج ٣) . فسأله الأخ : وما معنى العليقة يا أبت؟ أجاب : العليقة هي الفعل الجسدي ، لأنه مكتوب « يشبه ملكوت الله كنزاً مخفياً في حقل . . . . . » (متى ١٣ : ٤٤) . فقال الأخ : إذن بدون التعب الجسدي لا ينمو أحد في الشرف والفضيلة ؟ قال له الشيخ : لقد كتب « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب » (عبرانيين ١٢ : ٢) . ويقول النبي داود: « لن أعطي لعيني نوماً ، ولا لأجفاني نعاساً ، ولا لصدغي راحة حتى أجد مقراً للرب . . . . . » (مزمور ١٣١ : ٤) .

٥ ـ قال الأب كرونيوس : حدّثنا الأب يوسف البيلوسيوطي أنه ، لما أقام في سيناء ، كان فيها أخ صالح ناسك وجميل الهيئة . هذا كان يأتي إلى الكنيسة لابساً ثوباً بالياً كثير الرقع . فلما رآه يرتاد الكنيسة باستمرار ، قال له : ألا ترى يا أخي كيف أن الاخوة كالملائكة في الكنيسة . فكيف تأتي إلى هنا هكذا ؟ أجابه الأخ : سامحني يا أبت إذ ليس عندي سوى ما تراني فيه . فأخذه الأب إلى قلايته وأعطاه ما كان بحاجة إليه ، فلبسه وصار ملاكاً كسائر الاخوة . وحدث أن احتاج الآباء الى عشرة اخوة يرسلونهم إلى الملك لأمر ما ، فاختاروا هذا واحداً منهم . فلما سمع بهذا ، ركع أمام الآباء وقال : من أجل الرب سامحوني ، لأني كنت خادماً عند واحد من هؤلاء الكبار . فإذا عرفني ، سيلزمني بالبقاء لخدمته . فاقتنع الآباء ولم يرسلوه. ثم علمت من إنسان كان يعرف هذا الأخ جيداً ، أنه ، عندما كان في العالم ، كان رئيساً . فلكي لا يتعرّف عليه أحد ويزعجه الناس ، زعم هذا الزعم . لقد كان عند الآباء مثل هذه القوة كي يتحاشوا المجد والراحة الآتيَيْن من العالم .

الأب كاريون

١ ـ قال الأب كاريون : لقد بذلت جهوداً كثيرة تفوق ما بذله ابني زخريا ، ولم أبلغ بعد إلى قامته في التواضع والصمت .

٢ ـ كان في الاسقيط راهب يدعى كاريون . هذا كان له ولدان ، تركهما عند زوجته وترهب . وبعد زمن يسير ، حدثت مجاعة كبيرة في مصر ، فضاق صدر الزوجة ، فنهضت وجاءت إلى الاسقيط ومعها الولدان ، الواحد صبي ويدعى زخريا ، والثاني فتاة . فجلست على مسافة من الواحة ، وذلك لأن الاسقيط كان محاطاً ببعض الواحات المترامية هنا وهناك . وقد شيّدت الكنائس قرب ينابيع المياه . وقد جرت العادة في الاسقيط أنه ، إذا جاءت امرأة تريد الكلام مع أحد الاخوة أو مع أحد أنسبائها ، كانا يتحدثان عن بعد . عندئذ قالت المرأة للأب كاريون : ها قد أصبحت راهباً والمجاعة حاصلة ، ترى من سيطعم وَلَدَيكَ ؟ قال لها : ارسليهما إلي إلى ههنا . فقال المرأة للوالدين : إذهبا الى أبيكما . ولما هما بالتوجه نحوه ، استدارت الفتاة وعادت إلى أمها . أمّا الصبي فجاء إلى أبيه . عندئذ قال لها : أنظري ما حصل . الفتاة لك ، والفتى لي . فكان يهتم بالصبي والجميع عرفوا أنه أبيه . وصار الصبي شاباً ، فحصل تذمر بين الاخوة . فلما وصل النبأ إلى الأب كاريون ، قال لابنه : زخريا ، انهض يا بني لنرحل من هنا ، لأن الآباء يتذمرون . قال الصبي : أعتقد أنه يجب تصحيح العبارة على الوجه الآتي : وماذا تنتفع من الرحيل طالما أن الجميع ، حيثما ذهبنا ، يعرفون أنني ابنك . قال الأب : انهض لنرحل من هنا . فذهبا إلى طيبة واقاما في قلاية لبضعة أيام . وهناك أيضاً

حصل تذمر بسبب الصبي ، فقال الأب : زخريا ، انهض لنعود إلى الاسقيط . ولما رجعا ، لاحظا التذمر ذاته . عندئذ مضى الصبي زخريا إلى بحيرة النيطرة وخلع ثيابه ونزل إلى الماء حتى أنفه ومكث فيه على هذه الحال وقتاً طويلاً على قدر ما استطاع أن يحتمل ، حتى صار جسده كجسد إنسان أبرص . ولما خرج من الماء ، لبس ثيابه وعاد إلى أبيه ، للحال عرفه . ولما ذهبا إلى الكنيسة حسب مألوف العادة لتناول جسد الرب ودمه ، انكشف للقديس إيسيذورس أمر الصبي وما فعله بنفسه ، فلما رأى ذلك ، تعجب وقال : زخريا الصبي ، لما تقدم في الأحد الماضي لتناول الجسد والدم الطاهرين ، كان إنساناً ، أمّا الآن فقد أضحى ملاكاً .

الأب كوبريس

١ ـ قال الأب بيمن عن الأب كوبريس إنه قد وصل إلى قامة رفيعة من القداسة حتى إنه ، لما مرض ولازم الفراش ، كان يشكر الله ويقطع إرادته .

٢ ـ قال الأب كوبريس : هنيئاً لمن يحتمل التعب بشكر .

٣ ـ اجتمع مرة كل سكان الاسقيط من أجل مسألة ملكيصادق ونسوا أن يدعوا الأب كوبريس إلى الإجتماع . لكن بعد حين ، عادوا فدعوه . فلما جاء ، سألوه عن الموضوع نفسه . أمّا هو فضرب على فمه ثلاث مرات قائلاً : الويل لك يا كوبريس لأنك قد أهملت كل ما طلبه الله منك وشرعت تفتش عمّا لم يطلبه . فلما سمع الاخوة هذا الكلام ، قفلوا عائدين إلى قلاليهم[1] .

---

(١) كان الحديث المطروح يدور حول شخصية ملكيصادق هل هي إنسانية أم إلهية .

الأب كيرس

١ ـ عندما سُئل الأب كيرس الاسكندري عن فكر الزنى ، قال : إن لم يكن عندك فكر ، لا يكُنْ عندك رجاء . وإن لم يكن عندك أفكار ، فعندك عمل . وهذا يعني أن من لا يحارب الخطيئة في الفكر ويعارضها ويقاومها ، فإنّه يمارسها جسدياً ، لأنمن يعمل لا تزعجه الأفكار . سأل الشيخ الأخ قائلاً : تُرى هل أنت معتاد على مقابلة النساء ؟ أجابه الأخ : كلا ، لأن أفكاري هي مصوّر حديث وقديم ، وتزعجني ذكريات المرأة وصورتها . فقال الأب : لا تكن من الأموات خائفاً ، إنما تحاشَ الأحياء ، وأطِل صلاتك .

الأب لوكيوس

١ ـ زار بعض الرهبان المدعوين « المصلّيين » (يدعون أيضاً ميساليين لأنهم ينادون بالصلاة ويهملون العمل) ، الأب لوكيوس فسألهم : ما هو عملكم اليدويّ ؟ قالوا : نحن لا نعمل إنما ، كما يقول الرسول بولس ، نصلّي بلا انقطاع . قال لهم الأب لوكيوس : ألا تأكلون ؟ قالوا : نعم . قال لهم : عندما تأكلون ، من يصلّي عنكم ؟ ثم قال لهم : ألا تنامون ؟ قالوا له : نعم . فقال لهم : ومن يصلّي عنكم أثناء نومكم ؟ فلم يجدوا ما يجيبونه به . فقال لهم : سامحوني يا إخوتي ، إنكم لا تفعلون ما تقولون . أمّا أنا فأثبت لكم أني بعملي أصلّي بدون انقطاع . اجلس للعمل بمعونة الله وأحوك الخوص وأنا أردد : « ارحني يا الله كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رأفتك امح مآثمي » . ثم قال لهم : أليست هذه صلاة ؟ قالوا : نعم . قال لهم : إذن عندما أعمل وأصلّي أربح فوق عملي وصلاتي ست عشرة قطعة نقدية ، أتصدّق بإثنتين منها وأعيش بالباقي . والذي أتصدق عليه يصلّي من أجلي . وعندما آكل وأنام تتم صلاتي بنعمة الله بدون انقطاع .

الأب لوط

١ ـ جاء أحد الآباء إلى الأب لوط عند الواحة الصغرى المدعوة ارسنويتي وطلب منه قلاية فأعطاه . وكان الضيف مريضاً ، فأراحه الأب لوط . ولما جاء البعض لزيارة الأب لوط ، جعلهم يفكرون في الأب المريض ، فبدأ ذاك يسمعهم بعضاً من أقوال أوريجنس . فحزن الأب لوط و فكر في نفسه : «تُرى هل يظن هؤلاء أننا هكذا» . لكنه خاف ، حرصاً على الضيافة ، أن يطرده من المكان . فقام ومضى إلى الأب ارسانيوس وأخبره عمّا يقلقه ، فقال له ذاك : لا تطرده ، لكن قل له : خذ من خيرات الله ما طاب لك ، كل واشرب ، لكن لا تتكلم هكذا . فإذا أراد أن يصطلح ، قبل كلامك ، وإذا أبى ، فإنه سرعان ما يطلب الرحيل فلا تكون أنت السبب . فمضى الأب لوط وفعل هكذا . فلما سمع المريض هذا الكلام ، لم يرد أن يتعظ ، وبدأ يتضرع بالكلام قائلاً : حباً بالله ، خذني من ههنا ، لأني لا أقدر أن أحتمل البرية . وهكذا نهض وخرج والأب لوط يودّعه بمحبة[1] .

٢ ـ حدّثنا إنسان عن أخ وقع في الخطيئة ، أنه زار الأب لوط وكان مضطرباً ، حتى إنه كان يدخل ويخرج دون أن يتمكن من الجلوس . فسأله الأب لوط : ما بك يا أخي ؟ قال : لقد سقطت في زلة عظيمة ولا أقدر أن أبوح بها للآباء . قال له الأب لوط : اكشفها لي وأنا أحتملها . عندئذ قال ذاك : لقد وقعت في الزنى ، فقدّمت ذبيحة لكي يُرشدني الله إلى الصواب . قال له الأب : تشجع يا أخي ، فالتوبة أمامك . اذهب واجلس في الكهف عاكفاً على الصيام يومين يومين ، وأنا أحتمل معك نصف الخطيئة . ولما تمت الأسابيع الثلاثة ، تيقن الأب أن الله قد قبل توبة الأخ . وهكذا بقي ذاك خاضعاً للأب لوط حتى رقاده .

---

(١) وكان النزاع حول أوريجنس قد أصبح حاداً في الصحراء منذ القرن الرابع .

الأب لونجينس

١ ـ سأل الأب لونجينس الأب لوكيوس عن أفكار ثلاثة قائلاً : أريد أن أعيش في غربة . قال له الشيخ : إذا لم تحفظ لسانك ، لن تكون غريباً أينما حللت . إحفظ لسانك هنا ، فتصير غريباً . قال له أيضاً : أريد أن أصوم . أجابه الشيخ : قال النبي أشعياء : «إذا أحنيت عنقك كما الى طوق حديدي ، لن يسمّى هذا صوماً مقبولاً » (أشعياء ٥٨ : ٥) ، لكن بالحري أضبط الأفكار الشريرة . ثم قال له ثالثة : أريد أن أهرب من الناس . أجابه الشيخ : إذا لم تحقق الفضيلة مع الناس أولا ، لا تستطيع بمفردك ، وأنت فى البرية ، أن تحققها .

٢ ـ قال الأب لونجينس : إذا ما صنعت شراً ، قل : « إصنع الشرّ ومت ». ولكن إذا طلبت مني الطعام في غير أوانه ، فلن أقدم لك حتى غذاءك اليومي .

٣ ـ كان ثمة امرأة تشكو من داء السرطان في صدرها . فلما سمعت بالأب لونجينس ، طلبت أن تراه وكان يقيم في غرب الاسكندرية . فلما مضت إليه ، وجدته يجمع الحطب قرب البحر ، فقالت له : أين يقيم الأب لونجينس عبد الله يا أبت ؟ ولم تكن تعرف أن الذي تكلمه هو لونجينس نفسه . فقال لها الأب لونجينس : وماذا تريدين من هذا المخادع الغشاش ؟ لا تذهبي إليه . ثم سألها عمّا بها ، فكشفت له المرأة عن دائها ، فبارك الموضع ، وأطلقها قائلاً : إذهبي ، والرب يشفيك ، لأن لونجينس لا يمكنه أن ينفعك البتة . فمضت المرأة مؤمنة بما قال لها ، وللحال شفيت من دائها . وبعد حين

قصّت على الناس أمرها ووصفت لهم ملامح الأب الذي باركها ، فقالوا لها إن من باركها هو لونجينس نفسه .

٤ ـ ذات يوم أحضروا إليه إنساناً به شيطان ، فقال لهم : ليس لي ما أقدمه لكم ، لكن إذهبوا به إلى الأب زينون . وبعد أن أخذوه إليه ، بدأ ذاك ينتهر الشيطان ليخرجه . أمّا الشيطان فكان يصرخ ويقول : هل تعتقد يا زينون أنني بسببك أخرج الآن ؟ إن لونجينس يصلّي إلى الله ضدي . فأنا أخاف صلواته ، أمّا أنت فلا أكترث لك .

٥ ـ قال الأب لونجينس للأب اكاكيوس : المرأة تعرف أنها قد حبلت ، عندما يتوقف دمها . هكذا النفس ، فإنها تحبل بالروح القدس عندما تتوقف الأهواء التي تجري من تحتها . فإذا كانت تساكن الأهواء ، كيف تقدر أن تتظاهر بعدم الهوى ؟ أعط دماً وخذ روحاً .

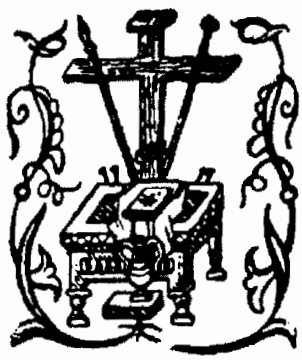

الأب مكاريوس المصري

١ ـ قال الأب مكاريوس عن نفسه : لما كنت أصغر سناً ، كنت أقيم في قلاية في مصر ، فأمسكوني وجعلوني كاهناً على القرية . ولما لم أقبل ، هربت إلى موضع آخر . فجاء إليّ انسان تقي من أهل الدنيا كان يأخذ مني عمل يدي ويخدمني . وحدث أن إحدى العذارى قد أُخذت بزلّة في تلك القرية . فلما حبلت ، سألوها : من هو الفاعل ؟ قالت : الراهب . فخرجوا وأمسكوني وعلّقوا في عنقي قدوراً ساخنة وطافوا بي القرية وهم يضربونني ويقولون : لقد أفسد هذا الراهب عذراءنا ، خذوه ، خذوه . فضربوني حتى أوشكت أن أفارق الحياة . وحدث أن جاء أحد الآباء فقال لهم : حتى متى تضربون هذا الراهب الأجنبي ؟ وكان الذي يخدمني يسير ورائي خجلاً لأنهم شتموه أيضاً وقالوا له : أنظر إلى الناسك الذي كنت تشهد له ، وعاين ما فعل . ثم قال أهل الفتاة : لن نطلقه حتى نسمع أنه قد قطع عهداً بإعالتها . فقلت لخادمي : تكلم عني واقطع هذا العهد . ولما عدت إلى قلايتي ، أعطيته كل السلال التي كانت عندي ، وقلت له : بع هذه ، وأعط ثمنها لزوجتي فتأكل . أمّا أنا فجلست أقول في نفسي : مكاريوس ، ها قد وجدت لنفسك زوجة ، لذا ينبغي أن تعمل أكثر حتى تعولها . وكنت أعمل الليل والنهار مقدماً لها ثمار تعبي . فلما حان وقت ولادتها ، ظلت أياماً عديدة تتألم دون أن تلد ، فقالوا لها : ما هذا ؟ قالت : أنا أعرف . إن هذا يحدث لي بسبب التهمة التي ألصقتها بالراهب وهو مني بريء . أمّا المذنب فهو الشاب الفلاني . فجاء خادمي وأبلغني بفرح كبير ، أن الفتاة لم تقدر أن تلد حتى

اعترفت بالحقيقة كلها ، وان كل القرية تريد القدوم إلى ههنا للإعتذار والتوبة . فلما سمعت هذا ، نهضت وهربت إلى الاسقيط كي لا يحزنوني . وهذا هو السبب الذي من أجله أتيت إلى ههنا .

٢ ـ جاء ذات يوم الأب مكاريوس المصري من الاسقيط إلى جبل النطرون للإشتراك في الخدمة الإلهية التي يقيمها الأب بمفو . فقال له الشيوخ : قل للاخوة كلمة يا أبانا : أجابهم الأب مكاريوس : أنا لم أصبح راهباً بعد ، إنما رأيت رهباناً ، لأني ، لما كنت ذات يوم في قلايتي في الاسقيط ، أزعجتني أفكار كثيرة قائلة لي : انطلق الى البرية وانتبه لما تراه هناك . وبقيت خمسة أعوام في حرب مع الأفكار قائلاً لها : ترى هل هذه الحروب من الشياطين ؟ ولما استمر الفكر يزعجني ويقضّ راحتي ومضجعي ، قمت ومضيت إلى البرية ، وهناك وجدت بحيرة تتوسطها جزيرة صغيرة ، كانت الوحوش تأتي اليها لتشرب . فرأيت بين الحيوانات الكثيرة إنسانين عاريين ، فارتعد جسدي ، لأني اعتقدت انهما روحان . فلما لمحاني ، وأنا مرتعد ، قالا لي : « لا تخف نحن بشر مثلك » . فقلت لهما : ومن أين أنتما ؟ وكيف أتيتما إلى هذه البرية ؟ قالا : كنا نعيش في دير ، وقد اتفقنا فيما بيننا على المجيء إلى هنا . وقد صار لنا في هذه الديار زهاء أربعين سنة . الواحد منا مصري والآخر ليبي . ثم سألاني : وكيف حال العالم ؟ وهل ينزل المطر بكثرة وغزارة في أوانه ، وهل العالم في يسر ؟ فقلت لهما : نعم . ثم سألتهما : اخبراني ، كيف يمكنني أن أصبح راهباً ؟ قالا لي : إذا لم يترك الإنسان كل ما للعالم لا يمكنه أن يصبح راهباً . فقلت لهما : أنا مريض ولا أقدر أن أماثلكما في السيرة . فقالا لي : إذا كنت لا تقدر أن تفعل ما نفعله ، لازم قلايتك وابك خطاياك . ثم انني سألتهما : عندما يحل الشتاء ، ألا تبردان ؟ كذلك عندما يهبط الحر ، ألا يحترق جسداكما ؟ فقالا : لقد صنع الله معنا هذا التدبير وهو أننا في الشتاء لا نبرد ، وفي الصيف لا يحرقنا الحر . لأجل هذا قلت لكما إني لم أصبح راهباً ، لكني

رأيت رهباناً . سامحوني يا إخوتي .

٣ ـ عندما كان الأب مكاريوس في البرية كان الوحيد فيها . ولكن ، في موضع آخر ، كان ثمة إخوة آخرون . فراقب الأب الطريق ، فرأى الشيطان في هيئة إنسان يسير معه جنباً إلى جنب وهو صاعد . وكان يرتدي ثياباً رقيقة علّق عليها أوعية كثيرة . فقال له الأب مكاريوس : إلى أين أنت ذاهب ؟ قال : أنا ماض الى الاخوة . فقال له الأب مكاريوس : ولماذا تحتاج إلى كل هذه الأوعية ؟ أجابه الشيطان : بها أعدّ للاخوة الطعام . قال الأب مكاريوس : وهل تحتاج إلى كل هذه الأوعية ؟ أجاب : نعم . إذا لم يرض الأخ بالوعاء الأول ، دفعت له بالثاني ، وإذا رفض الثاني قدّمت له الثالث . ولا ريب أن واحداً منها سيروق له . ولما قال هذا مضى . فتابع الأب النظر إلى الطريق حتى عاد . فلما رآه ، قال له : أرجو أن تخلص . فأجابه : وكيف أقدر أن أخلص ؟ قال الشيخ : ولماذا تقول هذا ؟ أجابه الشيطان : الجميع نبذوني ولم يعد أحد يرضى بي . قال له الشيخ : أليس لك صديق هناك ؟ أجابه : عندي واحد فقط يطيعني للغاية حتى إنه ما أن يراني حتى ينطلق كالريح ويأتي إليّ . قال له الشيخ : وما اسمه ؟ أجابه الشيطان : اسمه ثيوبمبتس . ولما قال هذا ، رحل ، فنهض الأب مكاريوس ومضى إلى البرية الجنوبية . فلما علم الاخوة بقدومه ، خرجوا لاستقباله بالسعف والأغصان . وكان كل واحد منهم يظن أن الأب سينزل ضيفاً عليه . أمّا هو فكان يطلب ثيوبمبتس . ولما وجده نزل عنده ، فاستقبله الأخ بفرح . ولما تآلف الشيخ معه ، قال له : كيف حالك يا أخي ؟ قال الأخ : بصلواتك يا أبت يكون كل شيء حسناً . قال له الأب : وهل تحاربك الأفكار ؟ قال : في الوقت الحاضر أنا بألف خير . وكان يخاف أن يتكلم . فقال له الشيخ : لي سنون كثيرة وأنا ناسك ، والجميع يحترمونني ، إلاّ أن روح الزنى ما يزال يحاربني إلى الآن . فقال ثيوبمبتس : في الواقع يا أبت أنني مثلك في هذه الحرب . وتظاهر الأب

أن أفكاراً أخرى تقلقه ، وذلك كي يجعل الأخ يبوح بما عنده ويكشف عمّا في قلبه . ثم قال له : وكيف تصوم ؟ قال الأخ : حتى التاسعة (أي الثالثة بعد الظهر بتوقيت العالم) . قال له الشيخ : ليكن صومك حتى المساء . وروّض نفسك على الجهادات الروحية ، واحفظ الإنجيل والأسفار المقدسة عن ظهر قلب . وإذا ما اتاك فكر شرير ، لا تنتظر إلى أسفل ، إنما وجّه أبصارك إلى العلاء والرب يعينك ويقويك . ولما رسم عليه علامة الصليب ، خرج يطلب بريته الخاصة . وفي الطريق صادف الشيطان فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : إلى الاخوة كي نفقدهم . ثم مضى ولما عاد سأله الأب قائلاً : وكيف حال الاخوة ؟ أجابه الشيطان : سيئة للغاية . قال له الشيخ : ولماذا هي هكذا ؟ أجابه الشيطان : كلهم وحوش ، والشر الأعظم أن ذاك الذي كان يطيعني ، لا أعرف لماذا أشاح وجهه عني ، فلم يعد يطيعني ، بل صار أشد شراسة من الجميع . وقد أقسمت ألاّ أمضي إلى هناك إلاّ بعد زمن طويل . ولما قال هذا ، مضى . فدخل القديس الى قلايته .

٤ ـ زار الأب مكاريوس الكبير الأب أنطونيوس في الجبل . فلما قرع الباب ، خرج الأب أنطونيوس وسأله : من أنت ؟ قال : أنا مكاريوس . فعاد الأب أنطونيوس أدراجه وأغلق الباب تاركاً مكاريوس ينتظر خارجاً . وبعد أن رأى صبره ، فتح له ومازحه قائلاً : منذ زمان بعيد أنا مشتاق أن أراك لسماع أخبارك . ثم أراحه بحسن استقباله وضيافته إذ كان تعباً جداً . ولما هبط المساء ، بلّل أنطونيوس الخوص لنفسه ، فقال له الأب مكاريوس : اسمح لي أن أبلّل قليلاً منه لنفسي أيضاً ، فأذن له . فجعل ربطة كبيرة وشرع يعمل . وكان كلاهما يتحدثان عن خلاص النفس وكان خيط الخوص يتدلى من النافذة الى المغارة . وعند الصباح دخل الأب أنطونيوس ، فرأى ما قد انتجه مكاريوس ، فقال له : إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين .

٥ ـ تحدث الأب مكاريوس للاخوة عن خراب الاسقيط ، فقال : عندما تشاهدون

قلاية تشاد بجوار الواحة ، اعلموا أن موتهـا قريب . وإذا رأيتـم شجـراً ، افهمـوا أن الدمـار على الأبـواب . وعندمـا ترون أولاداً ، احملـوا متاعـكم وارحلوا .

٦ ـ قال أيضاً مريداً أن يعزّي قلوب الاخوة : جاء إلى هنا صبي به شيطان تصحبه أمه ، وكان يقول لها : قومي أيتها العجوز لنرحل من هنا . أمّا هي فكانت تقول : لا أستطيع أن أمشي يا ولدي . قال لها الصبي : أنا أحملك . فتعجب من خبث الشيطان كيف انه يريد إبعادهـا .

٧ ـ قال الأب سيسوى : عندما كنت في الاسقيط مع الأب مكاريوس ، خرجنـا سبعة رجال كي نجمع القمح معه . وكانت وراءنا أرملة تجمع العيدان وهي تبكي بدون توقف . فنادى الأب صاحب الحقل وقال له : لماذا تبـكي هذه العجوز ؟ قال له : انها تبكي لأن زوجها كان معه وديعة من إنسان ، لكنـه مات على حين غرة دون أن يقول أين وضعها . أمّا صاحب الوديعة فينوي أن يأخذ المرأة وأولادها عبيداً له . قال الأب : قل لها أن تأتي إلينا حيث سنستريح من الحرّ . فلما جاءت المرأة ، قال لهـا الأب : لماذا تبـكين هكذا يا امـرأة ؟ قالت : مات زوجي دون أن يطلعني على مكان الوديعة . فقال لها الأب : هلمّي أريني أين يدفن زوجك . فأخذ الأب الاخوة معه وخرجوا بصحبة المرأة متوجهين نحو القبر . ولما بلغوا المكان ، قال لها الشيخ : عودي إلى بيتك . ثم صلّى ونادى الميت قائلاً : أيها الميت ، أين تركت الوديعة ؟ أجابه الميت وقال : إنها في بيتي تحـت ساق السرير . قال له الأب : أرقـد من جديد حتـى يوم القيامة . فلما رأى الاخوة ما حصل ، سقطوا عند قدميه من شدة الخوف ، فقال لهم : ما كان هذا من أجلي ، لأني لست بشيء ، إنما من أجل الأرملة وأولادها اليتامى . هذا هو المهم إن الله يريد النفس بدون خطيئـة ، ومهما تطلب منه تَنَلْهُ . ولما عاد الى البيت ، أعلم المرأة بمكان الوديعة ، فحملتهـا وسلّمتها الى صاحبها ، فأطلق لها أولادها . والذين سمعوا هذا ، مجدوا الله .

٨ ـ قال الأب بطرس عن الأب مكاريوس إنه ، لما وصل إلى أحد النساك ورآه يتألم ، سأله ماذا يريد أن يأكل ، إذ لم يوجد في قلايته ما يؤكل . فقال له الناسك : أريد « بستيلو»[1] . فلم يتردد ذلك الشجاع في الذهاب الى الاسكندرية تلبية لرغبة الناسك المريض . والعجيب أن أحداً لم يعرف به .

٩ ـ قال الأب بطرس عن الأب مكاريوس إنه كان يتصرف ببراءة مع الاخوة . فقال له البعض : ولماذا تفعل بنفسك هكذا ؟ قال : لقد أمضيت اثنتي عشرة سنة في خدمة ربي كي يمنحني هذه الموهبة . وها أنتم الآن تنصحونني بالتخلي عنها .

١٠ ـ قالوا عن الأب مكاريوس إنه ، كلما كان مع الاخوة ، كان يضع لنفسه الشرط التالي : إذا كان ثمة خمر ، أشرب منه حباً بالاخوة . لكن إزاء كل كأس خمر ، أمتنع عن الماء يوماً كاملاً . أمّا الاخوة ، فمن أجل إراحته ، كانوا يقدمون له خمراً . وكان هو يتناوله بفرح لكي يعذّب نفسه . فلما علم تلميذه بالأمر ، قال للاخوة : من أجل الرب لا تقدموا له خمراً ، لأنه سيعذب نفسه حال عودته الى قلايته . فلما سمعوا بهذا ، كفّوا عن تقديمه له .

١١ ـ فيما كان الأب مكاريوس ذاهباً من الواحة إلى قلايته يحمل عيدان الخوص ، صادف الشيطان يحمل منجلاً . ولما أراد أن يضرب به مكاريوس ، مُنع عن ذلك . فقال له : أرى فيك قوة عظيمة يا مكاريوس ولا أستطيع النيل منك البتة . ما تفعله أنت ، إياه افعل أنا . أنت تصوم وأنا أصوم أيضاً . أنت تسهر وأنا أسهر أيضاً ولا تعرف عيناي النوم . واحدة فقط بها تغلبني وتقهرني . قال الأب مكاريوس : وما هي ؟ أجابه الشيطان : انه التواضع الذي به تسلّح نفسك فلا أعود قادراً عليك .

١٢ ـ سأل بعض الآباء مكاريوس قائلين : كيف أنك إذا أكلت ولم تأكل ، يظل

---

(١) البستيلو هي قطعة حلوى مصنوعة من العسل والسمسم .

جسمك قوياً ؟ أجابهم : إن الخشب الذي يتوسط المواد المشتعلة ، تلتهمه النار بسرعة . هكذا هو الحال مع الانسان ، فإنه إذا نقّى ذهنه بمخافة الله ، فإن المخافة هذه ، تلتهم جسده .

١٣ ـ صعد الأب مكاريوس من الاسقيط الى ترينوثي ودخل المعبد لينام . وكان هناك رفات قديمة لبعض الوثنيين . فمدّ يده وأخذ واحدة جعلها تحت رأسه بمثابة وسادة واتكأ عليها . فلما أبصر الشياطين شجاعته ، حسدوه ، وأرادوا ان يخيفوه ، فأطلقوا اسماً نسائياً قائلين : يا فلانة ، تعالي معنا الى الحمّام . ثم نهض شيطان آخر وتكلم من تحته كأنه واحد من الأموات ، قائلاً : هناك إنسان أجنبي فوقي ولا استطيع أن أنهض . أمّا مكاريوس ، فلم يجزع ، بل كان يضرب الرفات بشجاعة ويقول : انهض واذهب الى الظلمة اذا كنت تقدر . فلما سمع الشياطين هذا الكلام ، صرخوا بأعلى صوتهم وقالوا : لقد غلبتنا وخرجوا مخجولين .

١٤ ـ قالوا عن الأب مكاريوس المصري إنه ، بينما كان صاعداً من الاسقيط يحمل السلال ، تعب فجلس قليلاً ليرتاح . وصلّى قائلاً : يا إلهي أنت تعرف أنني لا أستطيع متابعة السير . للحال وجد نفسه على ضفاف النهر .

١٥ ـ كان لإنسان ولد مقعد في مصر ، فأحضره إلى قلاية الأب مكاريوس وتركه عند الباب يبكي ومضى هو ووقف من بعيد . فلما لمح الشيخ الصبي ، قال له : من أتى بك الى ههنا يا بني ؟ أجابه الصبي : لقد تركني أبي ومضى . قال له الأب : انهض والحق به . للحال شفي من دائه ونهض وطفق يجري نحو أبيه . وهكذا عاد الاثنان الى بيتهما فرحين .

١٦ ـ كان الأب مكاريوس الكبير يقول للاخوة في الاسقيط عندما كانوا يخرجون من الكنيسة : اذهبوا يا إخوتي . فسأله أحد الشيوخ قائلاً : واين نذهب خارج هذه البرية يا أبانا ؟ فجعل أصبعه في فمه وقال : اطرحوا هذا . ودخل

بعد ذلك الى قلايته واغلق الباب وجلس .

١٧ ـ قال الأب مكاريوس : إذا عاقبت إنساناً وأنت تغضب ، فأنت تُرضي هواك . ولكي تخلّص الآخرين ينبغي ألاّ تُرضي نفسك .

١٨ ـ هو نفسه لما كان في مصر ، وجد إنساناً يملك حيواناً كان يسرق منتجاته . وكان يرى السرقة كغريب . فكان يحمّل الحيوان برفق ويقوده بهدوء عظيم قائلاً : « ما جئنا العالم ومعنا شيء ولا نقدر أن نخرج منه ومعنا شيء (١ تيمو ٦ : ٧) . الرب أعطى كما أراد . وهكذا كان يبارك الرب في كل شيء» (أيوب ١ : ٢١) .

١٩ ـ سألوا الأب مكاريوس قائلين : كيف ينبغي أن نصلّي ؟ أجابهم : لا حاجة لنا إلى كثرة الكلام ، بل إلى أن نمد أيدينا إلى العلاء ونقول : يا رب ارحمنا كما تريد وكما تعلم . وإذا حلّت بنا حرب ، نقول : اعنّا . فهو يعرف ما نحتاج إليه ويعاملنا برحمة .

٢٠ ـ قال الأب مكاريوس : لن تموت إذا صار عندك الهزء كالمديح والفقر كالغنى والحرمان كالقنية ، لأنه يستحيل على من يؤمن جيداً ويسلك بتقوى أن يسقط في نتانة الأهواء وخديعة الشياطين .

٢١ ـ قالوا إن أخوين قد خطئا في الاسقيط ، ففصلهما الأب مكاريوس المدنيّ فجاء البعض واخبروا الأب مكاريوس الكبير بذلك ، فقال لهم : ليس الاخوان هما المفصولين ، لكن مكاريوس هو المفصول . قال هذا لأنه كان يحبه . ثم سمع أنه قد انفصل عن أبيه وذهب إلى الواحة . فخرج الأب مكاريوس الكبير ، فوجده مجرّحاً من لسع البعوض ، فقال له : أنت فصلت الاخوة ، أمّا أنا فكان ينبغي في ذلك الحين أن أرحل إلى القرية . إلاّ انني فصلتك ، وأنت كبتول صالح ، جئت إلى هنا إلى المضجع الداخلي . أمّا أنا فدعوت الاخوة وعرفت منهم هذا وقلت لهم : إن هذا الأمر لم يحدث . فانظر

أنت أيضاً يا أخي ، ربما خدعتك الشياطين ، وتبْ عن خطيئتك . فقال : إذا أردتَ امنحني التوبة . فلما رأى الشيخ تواضعه ، قال له : اذهب وصمْ ثلاثة أسابيع متناولاً الطعام مرة كل أسبوع . وهكذا كان عمله دائماً أن يصوم أسابيع عديدة .

٢٢ ـ قال الأب موسى للأب مكاريوس في الاسقيط : أريد أن أعيش بهدوء لكن الاخوة لا يتركونني . قال له الأب مكاريوس : أرى أن طبيعتك ناعمة ولا تستطيع أن تبعد أخاً عنك . ولكن إذا أردت أن تعيش في الهدوء ، اذهب الى البرية الداخلية ، إلى البترا ، وهناك تجد هدوءك المطلوب . ففعل ما قاله ، فارتاح .

٢٣ ـ زار أحد الاخوة الأب مكاريوس المصري وقال له : يا أبت ، قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ أجابه الأب : أمض الى القبور واشتم الموتى . فمضى وشتمهم ورجمهم بالحجارة ، ثم عاد وأخبر الأب عما فعل . فقال له : ألم يقولوا لك شيئاً ؟ قال الأخ : كلا يا أبت . قال له الشيخ : اذهب في الغد وامتدحهم . ولما صار الغد ، مضى إلى القبور ، وامتدح الموتى قائلاً : أيها الرسل والقديسون الأبرار . . . وعاد إلى الأب وأخبره عما فعل . فقال له الأب : ألم يقولوا لك شيئاً أيضاً ؟ أجابه الأخ : كلا . فقال الأب : أتفهم الآن كيف أنك سخرت منهم فلم يجيبوك ، وامتدحتهم ، فلم يكترثوا لك . هكذا أنت ، إذا أردت أن تخلص ، عليك أن تكون كالأموات فلا تكترث لمديح الناس أو ذمهم ، تماماً كما فعل الأموات . وأنت ، ان فعلت هذا ، تخلص .

٢٤ ـ لما كان الأب مكاريوس يطوف مصر ، سمع صبياً يقول لأمه : يا أمي ، ثمة غني يحبني ، لكني أمقته ، وفقير يمقتني ، إلاّ أني أحبه . فلما سمع الأب هذا الكلام ، تعجب جداً . فقال له الاخوة : وما معنى هذا الذي أدهشك يا أبانا ؟ قال لهم : في الحقيقة يا إخوتي ، ربنا هو الغني ويحبنا ولكننا لا نريد أن

نسمع له . أمّا عدوُّنا ، فهو فقير ويكرهنا ، إلاّ أننا نحبه ونحب نتانته .

٢٥ ـ تضرع إليه الأب بيمن بدموع قائلاً : قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ أجابه الأب مكاريوس قائلاً : إن ما تطلبه الآن قد أضحى بعيداً عن الرهبان .

٢٦ ـ زار الأب مكاريوس أنطونيوس ، ولما كلّمه ، عاد إلى الاسقيط . فجاء الآباء لزيارته . ولما كانوا يكلّمونه ، قال لهم : لقد ذكرت للأب أنطونيوس أنه ليس عندنا قربان في منطقتنا . فبدأ الآباء يتكلمون على أمور أخرى ولم يطلبوا أن يعرفوا جواب الأب ، والأب نفسه لم يذكره لهم . فقال أحد الآباء، إذا رأى الآباء أن الاخوة ينسون أن يسألوا عن أمر ينفعهم ، يضطرون إلى الكلام من جديد . وإذا لم يضطروا ، لا يتابعون الحديث ، كي لا يبدو أنهم يتكلمون بدون أن يُسألوا ، فيكون كلامهم بمثابة ثرثرة .

٢٧ ـ سأل الأب أشعيا الأب مكاريوس قائلاً : قلْ لي كلمة . أجابه الأب : أهرب من الناس . قال الأب أشعيا : وما معنى الهرب من الناس ؟ قال الأب مكاريوس : معناه أن تجلس في قلايتك وتبكي خطاياك .

٢٨ ـ قال الأب بفنوتيوس تلميذ الأب مكاريوس : لقد توسلت إلى أبي قائلا : قل لي كلمة . فأجابني : لا تَدِنْ أحداً ولا تُسِءْ إلى أحد . احفظ هذه ، تخلص .

٢٩ ـ قال الأب مكاريوس : لا تنم في قلاية راهب له سمعة سيئة .

٣٠ ـ زار بعض الاخوة الأب مكاريوس في الاسقيط ، فلم يجدوا في قلايته سوى ماء آسن ، فقالوا له : تعال معنا إلى القلاية فنريحك . أجابهم الأب : اتعرفون يا إخوتي الفرن الفلاني في القرية ؟ قالوا : نعم . قال لهم : وأنا أيضاً أعرفه . أتعرفون الحقل الفلاني الذي يمرّ به النهر ؟ قالوا : نعم . قال لهم : وأنا أيضاً أعرفه . إذن عندما أريد ، لا أحتاج إليكم للذهاب الى هناك .

٣١ ـ قالوا عن الأب مكاريوس إنه ، إذا جاءه أخ بخوف معتبراً إياه قديساً وشيخاً عظيماً، لم يكن يقول له شيئاً. ولكن عندما كان أحد الاخوة يقول له لكي يذلّه : « يا أبت لما كنت جمّالاَ وكنت تسرق الملح وتبيعه ، ألم يضربك الحراس ؟ »، كان يجيبه عن سؤاله.

٣٢ ـ قالوا عن الأب مكاريوس الكبير إنه أصبح كما هو مكتوب إلهاً أرضياً . فكما أن الله يحتضن العالم ، هكذا كان مكاريوس يحتضن العيوب التي يراها كما لو لم ير شيئاً ، والتي يسمعها كما لو لم يسمع شيئاً البتة .

٣٣ ـ حدّثنا الأب فيتيميوس أن الأب مكاريوس قال : لما كنت أقيم في الاسقيط نزل هناك شابان غريبان . وكان الواحد ذا لحية ، أمّا الثاني فلم يكن قد أطلقها بعد . ولما وصل الشابان قالا : أين هي قلاية الأب مكاريوس ؟ فقلت لهما : وماذا تريدان منه ؟ قالا : لقد سمعنا عنه الكثير فجئنا لرؤيته . قال لهما : أنا هو . فسجدا له قائلين : نحن نريد أن نقيم ههنا . أمّا أنا فلما رأيتهما في بحبوحة وغنى ، قلت لهما : أنتما لا تقدران على السكنى ههنا . فقال الأكبر : إذا لم نتمكن من الاقامة هنا ، سنرحل الى موضع آخر . فقلت لفكري : لماذا تطردهما يا مكاريوس ؟ ألا تعثرهما ؟ التعب نفسه سيحملهما على الهرب . ثم قلت لهما : هيّا ، أعدَا لنفسيكما قلاية إذا كنتما تقدران . فقالا : أرنا المكان لنصنع فيه قلاية . فأعطاهما بلطة وزنبيلا مملؤاً خبزاً وملحاً وأراهما صخرة قاسية وقال لهما : إحفرا ههنا وأتيا بالخشب من الواحة . وعندما تسقفان البناء أقيما فيه . وقال إنه من التعب كنت أظن أنهما سيرحلان . ثم سألاني : وبماذا تشتغلان هنا ؟ قلت : نحن نحيك الخوص . ثم تناولت أغصان نخيل من الواحة ، وأريتهما بدء العمل وكيف تكون الحياكة ، وقلت : اصنعا السلال وأعطياها للحراس وهؤلاء يأتيانكما بالخبز . وبعد ذلك رحلت . فقام هذان ينفذان بصبر كل ما قلته لهما . وانقطعا عن زيارتي ثلاث سنوات . أمّا أنا فكنت أقاتل أفكاري قائلاً :

ترى أي عمل يمارسان حتى أنهما لم يأتيا ليسألاني عن أي من الأفكار ؟ البعيدون يعودونني ، أمّا هذان القريبان فلا يأتيان البتة ، وإلى الكنيسة لا يذهبان . فتضرعت إلى الله وأنا أصوم الأسبوع كله أن يكشف لي عملهما . وبعد أسبوع نهضت وانطلقت اليهما لأرى كيف يمكثان . ولما قرعت الباب ، فتحا لي وعانقاني بصمت . وبعد الصلاة جلست . فأومأ الأكبر إلى رفيقه أن يخرج ، أمّا هو فجلس يحيك الخوص دون أن يتكلم . وعند الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر حسب توقيت العالم) ، قرع الباب فدخل الأصغر وأعدّ طعاماً ووضع الطاولة بعد ايماءة من الأكبر ، ثم جعل عليها ثلاث خبزات ، ثم لبث بدوره صامتاً . أمّا أنا فقلت : قوما لنأكل ، ثم دفع الينا شراب ، فشربنا ، ولما هبط المساء ، قالا لي : هل سترحل : قلت لهما : كلا ، إنما سأنام هنا . ففرشا لي في إحدى الزوايا بساطاً أنام عليه . وفي زاوية أخرى افترشا لنفسيهما أيضاً وحلاّ الأحزمة وتمددا على الأرض أمامي . فتضرعت إلى الله أن يكشف لي عملهما . فانفتح السقف وصار البيت كالنهار ، أمّا هذان فلم يلمحا النور . ولما كانا يظنان أنني نائم ، قام الأكبر ولمس الأصغر بأحد أنامله ، ونهضا ورفعا أيديهما الى السماء . وأنا كنت أرى كل هذا دون أن يشاهداني . ثم رأيت الشياطين تنقض على الأصغر انقضاض الذباب ، وأخرى تقف على فمه ، وأخرى على عينيه . ثم رأيت ملاك الرب حاملاً سيفاً من نار يقاتل به الشياطين ويطردهم عنه . أمّا الأكبر فلم تكن الشياطين تتجاسر أن تدنو منه . ولما رقدا عند الصباح ، تظاهرت أنا بالنهوض من النوم ، ففعلا هما كذلك . ثم قال لي الأكبر هذه الكلمة وحسب : أتريد أن نتلو الاثني عشر مزموراً ؟ قلت : نعم . ثم أنشد الأصغر المزامير الخمسة الأولى مع استيخوناتها الستة والهليلويا . وعند كل استيخون ، كان يصعد من فمه مصباح ملتهب ويرتفع الى السماء . كذلك كان مصباح ملتهب يرتفع من فم الأكبر عندما ينشد ويصلّي حتى السماء . أمّا أنا فتلوت البعض عن ظهر قلب . ولما خرجت قلت لهما : صلّيا من أجلي أمّا هما فسجدا لي صامتَيْن .

فعرفت أنّ الأكبر كامل بينما الأصغر ما زال يحارب الشياطين بقوة . وبعد أيام قليلة رقد الأكبر ، وفي غضون أيام قليلة أخرى ، لحق به الأصغر . ولما زار بعض الآباء الأب مكاريوس ، أخذهم الى قلاية المذكورين ، وقال لهم : تعالوا وانظروا شهادة هذين الغريبين الصغيرين .

٣٤ ـ أرسل بعض شيوخ الجبل رسالة إلى الأب مكاريوس في الاسقيط متضرعين إليه وقائلين : لئلا يتعب الشعب كله في المجيء اليك ، تعال أنت إلينا ، وذلك لنراك قبل أن ترحل إلى الرب . ولما جاء إلى الجبل ، التف حوله الشعب (جماهير الرهبان) ، ورجا منه الآباء أن يقول للاخوة كلمة . ولما سمع هذا ، قال : لنبك يا اخوتي ، ولتنهمر الدموع من مآقينا قبل أن نذهب إلى هناك حيث ستلهب الدموع أجسادنا . فبكى الجميع وانطرحوا إلى الأرض وقالوا : صلِّ من أجلنا يا أبانا .

٣٥ ـ ذات يوم هجم أحد الشياطين على الأب مكاريوس يريد أن يقطع رجله بآلة حادة . ولما لم يقدر بسبب تواضعه ، قال له : كل ما عندكم عندنا ، إلاّ أنكم بتواضعكم تتفوقون علينا وتغلبوننا .

٣٦ ـ قال الأب مكاريوس : إذا تذكرنا الشرور الآتية علينا من الناس ، فإننا نقطع بذلك قوة ذكر الله . ولكن ، إذا تذكرنا شرور الشياطين ، نصير بلا جراح .

٣٧ ـ حدّثنا الأب بفنوتوس تلميذ الأب مكاريوس أن شيخه قال : لما كنت طفلاً كنت أرعى القطيع مع سائر الأولاد الصغار. فذهبوا ليسرقوا تيناً. ولما كانوا يركضون، سقطت واحدة، فأخذتها وأكلتها. وعندما أتذكر ما فعلت، أجلس وأبكي.

٣٨ ـ قال الأب مكاريوس : كنت أسير في البرية ، فوجدت ، ذات يوم ، جمجمة إنسان ميت مرمية على الأرض ، فحركتها بعصا النخيل لتكلمني . قلت لها : ومن أنت أيها الانسان ؟ أجابتني الجمجمة : كنت رئيس كهنة عند الوثنيين

الذين بقوا في هذا المكان . أمّا أنت فتدعى مكاريوس حامل الروح القدس الذي في كل وقت وفي كل ساعة تشفق على الموجودين في الجحيم وتصلّي من أجلهم ، فيتعزون قليلاً . قال الشيخ : وما هما التعزية والعقوبة ؟ أجابت الجمجمة : كما تبعد السماء عن الأرض ، هكذا هي النار تحتنا . فالنار تلفحنا من أخمص القدمين حتى الرأس ، ولا أحد منا يقدر أن يرى وجه الآخر ، لأن وجه كل واحد ملتصق بظهر الآخر . وعندما تصلّي من أجلنا ، يتمكن الواحد منا أن يرى رفيقه بعض الشيء . هذه هي التعزية . فبكى الأب وقال : واحسرتاه على اليوم الذي فيه يولد الانسان إذا كانت هذه هي تعزية العقوبة . ثم قال : وهل هناك عذاب أسوأ ؟ أجابت الجمجمة : العذاب الأشد هو من تحتنا . فقال الشيخ : ومن هم الذين هناك ؟ قالت : نحن قد رُحِمْنَا قليلاً لأننا لا نعرف الله . أمّا أولئك الذين عرفوه وأنكروه فهم الذين تحتنا . فأخذ للحال الجمجمة وطمرها .

٣٩ ـ قالوا عن الأب مكاريوس المصري إنه ، بينما كان صاعداً ذات مرة من الاسقيط الى جبل النطرون ، قال لتلميذه لما اقترب من المكان : اسبقني قليلاً . ولما تقدم الأخ صادف كاهناً (هيلينياً) وثنياً ، فناداه قائلاً : أيها الشيطان ، أين تركض ؟ فاستدار ذاك وجرّحه وتركه بين حي وميت وحمل عصاه وهرب . ولما تقدم قليلاً صادفه الأب مكاريوس يركض ، فقال له : أرجو أن تخلص ، أرجو أن تخلص يا محب الألم . فتعجب ذاك وجاء إليه يسأله : أيَّ خير رأيت فيّ حتى تدعوني ؟ قال له الشيخ : لقد رأيتك تتعب ، ولكن لم أكن أعرف أنك تتعب عبثاً . فقال له ذاك : أمّا أنا فمن تحيّتك التي ألقيتها عليّ أنذهلت ، وأدركت أنك من الله . لكن ثمة راهب شرير صادفني قبل برهة ، وشتمني ، فما كان مني إلاّ أن جرحته حتى الموت . ففهم الشيخ أنه كان يقصد التلميذ . ثم قال الكاهن الوثني وهو ممسك بقدمي الأب : لن أتركك قبل أن تجعلني راهباً . فجاءا إلى حيث كان الراهب وحملاه إلى الكنيسة

التي في الجبل . فلما رأوا الكاهن معه ، تعجّبوا وجعلوه راهباً ، وبسببه صار العديد من الهيلينيين مسيحيين . فقال الأب مكاريوس : الكلمة الشريرة تجعل الصالحين أشراراً . أمّا الكلمة الطيبة فمن شأنها أن تجعل الأشرار صالحين .

٤٠ ـ قالوا عن الأب مكاريوس إنه ، لما كان غائباً عن القلاية ، دخلها لص . فلما عاد مكاريوس إليها ، وجد اللص يخرج السلال ويجعلها على ظهر الجمل . فدخل مكاريوس الى القلاية وأخذ ينقل السلال معه . ولما انتهيا ، بدأ اللص يضرب الجمل لكي ينهض ، ولكن عبثاً . فلما رأى مكاريوس أنه لا ينهض ، دخل إلى قلايته فوجد معولاً صغيراً فأخرجه ووضعه فوق الجمل قائلاً : يا أخي هذا ما يطلبه الجمل . ثم ضرب الشيخ الجمل قائلاً : انهض . وللحال نهض بسبب كلامه ومشى قليلاً ، ثم عاد وجثم من جديد ، حتى أفرغوا كل ما عليه ، وبعد ذلك انطلق .

٤١ ـ سأل الأب أيو الأب مكاريوس قائلاً : قلْ لي كلمة . أجابه الأب مكاريوس : أهرب من الناس . إجلس في قلايتك وابك خطاياك . لا تحبَّ ثرثرة الناس تخلص .

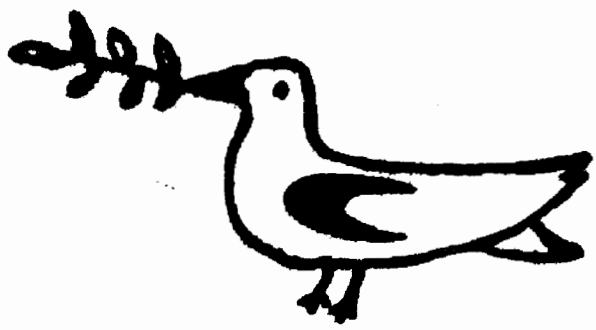

الأب موسى

١ ـ حورب الأب موسى بالزنى بقوة ، ولما لم يعد يطيق الجلوس في القلاية ، خرج وأعلن هذا للأب اسيذوروس . فرجاه الأب أن يعود إلى قلايته . فلم يقبل قائلاً : لا أحتمل ذلك يا أبت . فأخذه وأصعده إلى السطح وقال له : أنظر الى المغارب . فتطلع ، فرأى حشداً من الشياطين لا عدد له مضطرباً جداً يحدث شغباً استعداداً للحرب . ثم قال له الأب ايسيذوروس ثانية : أنظر إلى المشارق . فتطلع فرأى حشداً من الملائكة القديسين الممجدين . فقال الأب ايسيذوروس : أنظر ، هؤلاء هم الذين يرسلهم الله لمساعدة القديسين . أمّا الذين في الغرب فهم الذين يحاربونهم . فالذين معنا هم أكثر عدداً . وهكذا شكر الأب موسى الله وتشجّع وقفل عائداً إلى قلايته .

٢ ـ سقط أخ في الاسقيط في خطيئة ، فانعقد مجمع لهذا الغرض . وأرسلوا يدعون الأب موسى . أمّا هو فلم يرد أن يأتي . فأرسل إليه الكاهن رسالة قائلاً : هلمَّ يا موسى ، الشعب ينتظرك . فنهض وأتى يحمل كيساً مثقوباً فيه رمل . فلما رآه الاخوة الذين خرجوا للقائه ، قالوا له : ما هذا يا أبانا ؟ قال لهم الشيخ : إنها خطاياي التي تتساقط ورائي ولا أراها . وها قد أتيت الآن لأنظر في خطايا الآخرين . فلما سمعوا هذا ، لم يقولوا للأخ شيئاً ، وسامحوه .

٣ ـ انعقد ، ذات يوم ، مجمع في الاسقيط ، وأراد بعض الآباء أن يجرّبوا الأب موسى ، فازدروا به قائلين : من سيأتي الينا ؟ أهو ذاك الحبشي ؟ أمّا هو ، فعندما سمع صمت . وبعد انتهاء المجمع ، قالوا له : ألم تضطرب يا أبانا ؟ أجابهم : « لقد أضطربت لكني لم أتكلم» (مزمور ٨٦ : ٥) .

٤ ـ وقالوا عن الأب موسى لما صار اكليريكياً ، إن رئيس الأساقفة قال له بعد أن جعلوا عليه الثوب الاكليريكي : ها قد أصبحت أبيض بالكلية يا موسى ؟ قال الشيخ : ترى هل أنا أبيض من الخارج فقط أم من الداخل أيضاً يا أبت ؟ فأراد رئيس الأساقفة أن يجرّبه ، فقال للاكليريكيين : عندما يدخل الأب موسى الى الهيكل أطردوه واتبعوه لتسمعوا ماذا سيقول . فلما قدم الأب موسى ، انتهروه وطردوه قائلين : أخرج أيها الحبشي . أمّا هو فخرج وكان يقول في نفسه : حسناً فعلوا بك أيها الأسود القذر . فإذا لم تكن بشراً ، فلماذا تأتي مع الناس ؟ (الحادثة ذاتها وردت عند القديس الأب دوروثيوس ١٤ ، ٤) .

٥ ـ ذات مرة صدرت في الاسقيط وصية تقول : « صوموا في ذلك الأسبوع » . وحدث أثناء ذلك أن زار بعض الاخوة الأب موسى قادمين من مصر ، فأعدّ لهم طعاماً . فلما رأى الجيران الدخان المتصاعد ، قالوا للاكليريكيين : انظروا ها قد أوقف موسى صيامه وأعدّ لنفسه طعاماً . أمّا هم فقالوا : عندما يأتي إلينا سنكلّمه . ولما جاء السبت ورأى الاكليريكيون عمله الصالح ، قالوا له أمام الشعب : يا أبانا موسى ، لقد حللت وصية الناس وحفظت وصية الله (أي ضيافة الغرباء) .

٦ ـ زاره أحد الاخوة في الاسقيط وطلب منه كلمة : فقال له الشيخ : إذهب واجلس في قلايتك وهي تعلّمك كل شيء .

٧ ـ قال الأب موسى : إن من يهرب من الناس يشبه كرمة حان قطافها . أمّا الذي يقيم بين الناس فيشبه الحصرم .

٨ ـ سمع الحاكم بالأب موسى فجاء إلى الاسقيط يريد أن يراه . فأعلم بعض الاخوة الشيخ بالأمر . فنهض وقام وهمّ بالهرب إلى الواحة . فلما قابله أولئك ، سألوه : قل لنا يا أبانا ، أين هي قلاية الأب موسى ؟ أجابهم : وماذا

تريدون منه ؟ إنه إنسان مجنون . ولما جاء الحاكم إلى الكنيسة قال للاكليريكيين : لما سمعت عن الأب موسى قصدت الاسقيط لأراه . ولكن صادفت شيخاً ذاهباً إلى مصر ، فسألته أين قلاية الأب موسى ، فقال لنا : وماذا تريدون منه ، إنه إنسان مجنون ؟ فلما سمع الاكليريكيون هذا الكلام ، حزنوا قائلين : وما شكل الشيخ الذي تكلم ضد القديس موسى ؟ قال : كان شيخاً يرتدي ثياباً بالية ، طويل القامة وأسود اللون . فقالوا له : هذا هو الأب موسى نفسه . وقد قال لكم هذا لكي لا يقابلكم . فلما سمع الحاكم هذا الكلام غادر منتفعاً .

٩ ـ قال الأب موسى في الاسقيط : إذا حفظنا وصايا آبائنا فإني أضمن لكم أن البرابرة لا يأتون إلى هنا . ولكن إذا لم نحفظها ، فإن المنطقة هذه ستقفر .

١٠ ـ وبينما كان الاخوة جالسين معه ، قال لهم : اليوم يأتي البربر الى الاسقيط . قوموا واهربوا . فقالوا له : وأنت ألا تهرب يا أبانا ؟ قال لهم : إن لي سنين طوالاً وأنا أنتظر هذا اليوم ، لكي يتم قول المسيح : « من أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ» (متى ٢٦ : ٥٢) . (كان الأب موسى لصاً قبل أن يهتدي الى المسيح ويترّهب) . فقال له الاخوة : ونحن أيضاً لا نهرب ، إنما نموت معك . فقال لهم : أنا لست مسؤولاً . فلينظر كل واحد منكم كيف يقيم ههنا . وكانوا سبعة في العدد ، فقال لهم : ها قد اقترب البرابرة من الباب . ولما دخلوا قتلوا الجميع . إلاّ أن واحداً منهم تمكن من الهرب عبر الباب الداخلي ، فرأى سبعة أكاليل قد نزلت وتوجتهم [1] .

١١ ـ سأل أخ الأب موسى قائلاً : إني أرى شيئاً أمامي ولا أقدر أن أمسكه». قال له الأب : إذا لم تصبح ميتاً كهؤلاء المدفونين ، لا يمكنك أن تمسك به .

١٢ ـ قال الأب بيمن إن أخاً سأل الأب موسى : بأية طريقة يميت الانسان نفسه عن

(١) ربما حدث هذا سنة ٤١١ أثناء غزوة البرابرة على مصر الغربية آتين من ليبيا .

قريبه ؟ قال له الشيخ : إذا لم يضع الانسان نفسه عقلياً في القبر ثلاثة أيام ، لا يمكنه أن يبلغ إلى قامة هذا الكلام .

١٣ ـ قالوا عن الأب موسى في الاسقيط ، انه لما همّ بالقدوم الى البتراء ، تعب من السير ، فقال في نفسه : وكيف لي أن أجمع الماء الذي أحتاج إليه هنا ؟ فجاءه صوت يقول : تابع ولا تهتم البتة . ثم حدث أن زاره بعض الآباء ، ولم يكن لديه سوى وعاء ماء واحد . فلما أعدّ لهم ليأكلوا نفد ما كان لديه ، فحزن . فدخل وخرج وهو يصلّي إلى الله . وللحال دنت من الصخرة دمية ممطرة ، فملأت كل أوعيته . فقال له الآباء : أخبرنا يا أبانا لماذا كنت تخرج وتدخل قبل برهة؟ أجابهم : كنت أقاضي الله وأقول له : لماذا أرسلتني الى هنا حيث لا ماء يرتوي به عبيدك . لهذا السبب كنت أدخل وأخرج متوسلاً إليه ، حتى أرسله إلينا .

١٤ ـ قال الأب موسى الحبشي : ينبغي للمرء أن يموت عن قريبه حتى لا يدينه في شيء .

١٥ ـ وقال أيضاً : ينبغي للانسان أن يميت نفسه عن كل امر شرير قبل خروجه من الجسد لكي لا يسيء إلى أحد .

١٦ ـ وقال أيضاً : إذا لم يشعر الانسان في أعماقه أنه خاطىء ، لا يصغي اليه الله . فقال له الأخ : وما معنى قولك أن يشعر الانسان في أعماقه أنه خاطىء ؟ أجابه الأب : إن من يحمل خطاياه لن يرى خطايا قريبه .

١٧ ـ وقال أيضاً : إذا لم تتفق الصلاة مع السيرة ، عبثاً يكون التعب . فقال الأخ : وما معنى اتفاق الصلاة مع السيرة يا أبت؟ أجاب الأب : أقصد أن لا نعمل ما نصلّي من أجله ، إذ أن الانسان عندما يتخلى عن مشيئته ، يتصالح مع الله ، والله يقبل صلاته .

١٨ ـ فسأله الأخ : في كل مسعى للانسان ، ما الذي يساعده فيه ؟ قال الشيخ :

الله هو الذي يعين ، لأنه مكتوب : « الله لنا ملاذ وقوة ، عون لنا في الشدائد التي تكتنفنا» (مزمور ٤٥ : ٢) . قال الأخ : وما نفع الأصوام والأسهار إذاً يا أبت ؟ أجابه الشيخ : هذه من شأنها أن تجعل النفس وديعة متواضعة ، لأنه مكتوب : « أنظر إلى تعبي وتواضعي وأمح كل سيئاتي» (مزمور ٢٤ : ١٨) . فإذا ما جنت النفس كل هذه الثمار ، فإن الله لأجل هذه يتحنن عليها . وقال الأخ للأب : وماذا يعمل الانسان بكل تجربة تأتيه أو بكل فكر من الشرير ؟ قال الشيخ : ينبغي أن يبكي أمام صلاح الله كيما يعينه . ويرتاح للحال ، إذا ما كانت صلاته بمعرفة ، لأنه مكتوب : « الرب معيني فلن أخشى ماذا يصنع بي الانسان» (مزمور ١١٧ : ٦) . فسأله الأخ : إذا ما ضرب انسان عبده لخطيئة اقترفها ، ماذا يقول العبد ؟ أجابه الشيخ : إذا كان عبداً صالحاً يقول : ارحمني لأني خطئت . فقال الأخ : ألا يقول شيئاً آخر ؟ أجابه الشيخ : لا ، لأنه ما أن يجعل اللوم على نفسه ويقول خطئت ، حتّى يتحنّن عليه الرب للحال ، ونهاية هذه جميعها أن لا يدين الانسان قريبه . في الواقع عندما قتلت يد الرب أبكار المصريين ، لم يعد هناك بيت لا ميت فيه . فقال الأخ : وما معنى هذا أيضاً يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إذا عكفنا على معاينة خطايانا ، لن نرى خطايا القريب ، لأنه من الجهل أن يترك الانسان ميته ويذهب ليبكي ميت قريبه . أن تموت عن قريبك يعني أن تحمل خطاياك وأن لا تكترث لأي انسان ، صالحاً كان أم شريراً . وأن لا تسيء إلى أحد ، وأن لا تفكر بإساءة أحد في قلبك ، وأن لا تحتقر من خطىء ، وأن لا تطيع من يسيء إلى قريبه ولا تفرح له . لا تثلب أحداً ، إنما قل إن الله يعرف كل واحد . لا توافق المتكلم بالسوء على قريبه . هذا هو معنى الدينونة . لا يكن لك عداوة مع أحد . لا تحقد في قلبك على أحد . لا تمقت من يعادي قريبه . هذا هو السلام . بهذه عزّ نفسك . ولمدة قصيرة يدوم الضيق ، ولكن إلى الأبد تبقى الراحة بنعمة الله ، آمين .

الأب ماتوى

١ ـ قال الأب ماتوى : أريد عملاً خفيفاً ودائماً لا عملاً متعباً في البدء ولكن لا يدوم .

٢ ـ وقال أيضاً : كلما دنا الإنسان من الله يرى كم هو خاطىء . وأشعيا النبي ، عندما رأى الله ، قال عن نفسه إنه بائس ودنس (٦ : ٥) .

٣ ـ وقال أيضاً : عندما كنت شاباً كنت أقول في نفسي : علّني أقوم بعمل صالح . ولكن لما شخت ، أيقنت أنه ليس فيّ عمل صالح البتة .

٤ ـ وقال أيضاً : الشيطان لا يعرف بأي هوى تستسلم النفس . لكنه يبذر دون أن يعرف إن كان سيجني أفكار الزنى ، الثلب ، وسائر الأهواء الأخرى . وحيثما يَرَ ميل النفس يقدم لها بذار الشر .

٥ ـ زار أحد الاخوة الأب ماتوى وسأله : كيف يكون الاسقيطيون قد حققوا أكثر مما يذكره الكتاب ، إذ أحبوا أعداءهم أكثر من أنفسهم ؟ قال له الأب ماتوى : حتى الآن أنا أحب من يحبني ، كنفسي .

٦ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : ماذا أعمل إذا جاءني أخ في صوم أو عند الصباح ، لأنني أتضايق ؟ أجابه الشيخ : إذا كنت لا تتضايق وتأكل مع الأخ ، حسناً تفعل . وإذا كنت ترجو أن تأكل دون أن تنتظر أحداً ، فهذا مرهون بإرادتك .

٧ ـ قال الأب يعقوب : كنت بزيارة للأب ماتوى . ولما أردت العودة ، قلت له :

أريد أن أزور القلالي . فقال لي : بلّغ سلامي إلى الأب يوحنا . ولما جئت إلى الأب يوحنا قلت له : يسلّم عليك الأب ماتوى . قال لي الشيخ : الأب ماتوى إسرائيلي حقاً ولا « غش فيه »(يوحنا١ : ٤٩) . وبعد مرور سنة كاملة زرت الأب ماتوى ونقلت له تحية الأب يوحنا ، فقال الشيخ : إني لا أستحق كلام الأب . إنما في جميع الأحوال ، عندما تسمع شيخاً يمتدح قريبه أكثر من نفسه ، اعلم أنه قد بلغ درجة من الكمال رفيعة، لأن هذا هو الكمال ، أن تمجد قريبك أكثر من نفسك .

٨ ـ قال الأب ماتوى : جاءني أخ وقال لي إن الثلب أسوأ من الزنى . فقلت له : قاسية هي الكلمة . قال لي : وكيف تريد أن يكون هذا الأمر ؟ فقلت : الثلب شرّ ، لكنّ شفاءه سريع ، لأن من يثلب يندم مرات عديدة قائلاً : لقد نطقت شراً . أمّا الزنى ، فهو موت طبيعي .

٩ ـ خرج الأب ماتوى من رايثو إلى نواحي « مغذولون » وكان أخوه معه . فأمسكه الأسقف ورسمه كاهناً . ولما كانوا يأكلون ، قال الأسقف : سامحني يا أبت . أعلم أنك لم تكن تريد ذلك ، إلاّ أني تجاسرت وفعلت هذا لكي أتبرّك بك . فأجاب الشيخ بتواضع : لقد رغب فيه فكري قليلاً . إلاّ أن هناك أمراً يزعجني وهو أنه ينبغي أن أنفصل عن الأخ الذي معي ، لأني لا أحتمل أن أتلو كل هذه الصلوات بمفردي . فقال الأسقف : إذا كنت تظن أنه مستحق ، أشرطنه . أجاب الأب ماتوى : لا أعرف إذا كان مستحقاً ، إلاّ أني أعرف أنه أفضل مني . فشرطن ذاك أيضاً . ورقد الإثنان دون أن يلمسا المذبح من أجل إقامة الذبيحة الإلهية . فقال الشيخ : أؤمن بالرب اني لم أخطأ كثيراً من أجل هذه الرسامة ، لأني لا أقدم الذبيحة ، فالرسامة هي للذين بلا عيب .

١٠ ـ قال الأب ماتوى : ذهب إلى الأب بفنوتيوس المسمّى بكفالاس ثلاثة آباء لكي يسألوه أمراً : فقال لهم الشيخ : وماذا تريدون أن أقول لكم ؟ أأمراً

روحياً تريدون أم جسدياً ؟ قالوا : روحياً . قال لهم الشيخ : إذهبوا وأحبوا الضيق أكثر من الراحة ، والاحتقار أكثر من المجد ، والعطاء أكثر من الأخذ .

١١ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : قل لي كلمة . أجابه : إذهب وتضرع إلى الرب أن يجعل في قلبك الحزن والتواضع ، وانتبه لخطاياك دائماً ، ولا تدن أحداً . كن دون الجميع . لا تصاحب ولداً ، ولا تكن لك معرفة بامرأة أو صديق هرطوقي . اقطع التكلم علانية وامسك لسانك وبطنك . تجنب الخمرة . وإذا تحدث أحد في أمر ما ، لا تجادله . فإذا قال ما هو حسن ، فقل : نعم . وإذا نطق بالسوء ، قل له : أنت تعرف ما تقول . لا تحاججه في ما يقوله . هذا هو التواضع .

١٢ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : قل لي كلمة . أجابه الأب : اقطع من نفسك كل جدل . أبك ونح ، لأن الوقت قد اقترب .

١٣ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : ماذا أعمل ولساني يزعجني ؟ عندما أكون بين الناس لا أقدر أن أضبطه . بل أدين الجميع وأبكتهم على كل شيء ؟ ماذا أعمل ؟ أجابه الأب : إذا كنت لا تقدر أن تمسك نفسك، إذهب واعتزل ، لأن في ذلك ضعفاً . فإن من يقيم بين الاخوة لا يجوز أن يكون رباعياً بل دائرياً ، كيما يدور باتجاه الجميع . وقال الشيخ : وأنا لست لوحدي بسبب الفضيلة ، إنما بداعي الضعف ، لأن الذين يأتون إلى وسط الناس هم أقوياء .

الأب مرقس تلميذ الأب سلوان

١ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه كان عنده تلميذ في الاسقيط يدعى مرقس . وكان مرقس هذا مطيعاً جداً وخطّاطاً ماهراً . فأحبه سلوان لطاعته . وكان للأب سلوان أحد عشر تلميذاً آخرين كانوا يتضايقون لأن سلوان كان يحب مرقس أكثر منهم . فلما علم الآباء بهذا حزنوا وجاؤوا إليه في إحدى المرّات وعاتبوه . أمّا هو فأخذهم وذهب وإياهم خارج القلاية وقرع بابها قائلاً : يا أخي فلان ، تعال إليّ إلى ههنا لأني بحاجة إليك . فلم يستجب أحد منهم لطلبه فوراً ، لكن لما جاء إلى قلاية تلميذه مرقس ، قرع الباب وقال : يا مرقس . وللحال ، ما إن سمع مرقس قرع الباب وأن أباه يناديه حتى قفز خارجاً ، فأرسله للخدمة . ثم قال للشيوخ : أين هم الاخوة الآخرون يا آبائي ؟ ولما دخل قلايته ، تفحّص دفتره ، فوجد أنه قد وضع يده ليكتب حرف الياء ، لكن عندما سمع صوت الشيخ ، للحال لم يدر قلمه لإكمال الحرف . فقال الآباء : في الحقيقة يا أبت ، إن مرقس الذي تحب نحبه نحن أيضاً ، والله أيضا يحبه .

٢ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه ، بينما كان يمشي مع الشيوخ في الاسقيط ، أراد أن يظهر لهم طاعة تلميذه التي من أجلها يحبه . فلما رأى خنزيراً برّياً صغيراً ، قال له : هل ترى ذلك الجاموس الصغير يا ولدي ؟ أجابه التلميذ : نعم يا أبت . وقرناه ، ألا تراهما جميلين ؟ قال : نعم يا أبت . فتعجب الشيوخ من جوابه وتشددوا بسبب طاعته .

٣ ـ نزلت ، ذات مرة ، والدة الأب مرقس إلى الاسقيط لتراه . وكانت مزيّنة المنظر

للغاية ، فخرج الشيخ للقائها ، فقالت له : يا أبت ، قل لولدي أن يخرج لكي أراه . فدخل الشيخ وقال له : أخرج يا ولدي لتراك أمك . أمّا هو فكان يرتدي ثياباً رثة ومتسخة من دخان المطبخ . فلما خرج بسبب الطاعة ، أغمض عينيه وقال لهم : أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا ، دون أن يرى أحداً منهم . أمّا أمه فلم تعرفه . فأرسلت من جديد تسأل الشيخ عنه وتقول : يا أبت ، أرسل لي ولدي لكي أراه . فقال له مرقس : لقد خرجت حسب كلامك يا أبت ، إلاّ أني أرجوك ألاّ تطلب مني الخروج ثانية ، خشية أن أعصي أمرك . فخرج الشيخ وقال لها : إن من صادفك وقال أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا . . . هو ابنك نفسه . ولما عزّى قلبها أطلقها .

٤ ـ حدث مرة أن غادر الاسقيط إلى جبل سينا ليقيم هناك . فأرسلت والدة مرقس تستحلفه بدموع كي يخرج ابنها لتراه . فأذن له الشيخ . ولما كان يعدّ الجلد ليخرج ، جاء إلى الشيخ ليحييه ، وللحال أجهش بالبكاء ولم يخرج .

٥ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه ، لما أراد أن يرحل إلى سوريا ، قال له تلميذه مرقس : يا أبت ، لا أريد الخروج من هنا ، وأنت نفسك لن أدعك تخرج أيضاً . لكن أقم ههنا ثلاثة أيام . وفي اليوم الثالث رقد .

الأب ميليسيوس

١ ـ بينما كان الأب ميليسيوس يجتاز أحد الأمكنة رأى إنساناً يمسك راهباً بتهمة القتل ، فدنا الشيخ وسأل الأخ عن سبب ذلك . ولما علم أنه قد وشي به ، قال للذين كانوا يمسكون به : أين هو المقتول ؟ فأروه إياه ، فدنا منه وطلب من الجميع أن يصلّوا . ولما مد يديه نحو العلاء ، قام الميت ، فقال له أمام جميع الحاضرين : قل لنا من قتلك ؟ فقال : عندما دخلت الكنيسة أعطيت الكاهن مالاً ، فنهض وقتلني ثم نقلني ورماني في دير الأب . لكني أستحلفك بالله أن تسترجع الأموال وتعطيها لأولادي . عندئذ قال له الشيخ : إذهب ونم حتى يأتي الرب ويقيمك .

٢ ـ بينما كان الأب ميليسيوس يقيم مع تلميذين عند تخوم برسيذس ، خرج ابنا الملك ، أخَوان في اللحم والدم ، للصيد حسب العادة ، فنصبا فخاخهما في رقعة كبيرة تبلغ زهاء أربعين ميلاً حتى يقتنصا ويقتلا بالسهام كل طريدة تقع في نطاق الفخاخ المنصوبة . وحدث أن كان الشيخ مع تلميذيه ، فشاهدا ذا الشعر كالوحش ، فاقتربا منه وقالا له : أأنت روح أم إنسان ؟ قل لنا . فقال لهما : أنا إنسان خاطىء أتيت إلى هنا لأبكي خطاياي وأسجد وأكرّم يسوع المسيح ابن الله الحي . فقالا له : ليس ثمة إله آخر سوى الشمس والنار والماء (التي كانوا يكرّمونها) . لكن تعال وقدّم لها الذبائح . أمّا هو فقال لهما : إنما هذه مخلوقات ، وأنتما قد ضللتما ، لذا أنصحكما أن تعودا عن غيّكما وتعودا وتعرفا الإله الحقيقي الذي أبدع كل المبروءات . فقالا له : هذا الذي حُكم عليه وصلب ، أتقول إنه الإله الحقيقي ؟ أجاب الشيخ : إن هذا الذي صلب

الخطيئة وأمات الموت ، هو الإله الحقيقي . أمّا هذان ، فعذّبا الشيخ وتلميذيه وارغماهم على الذبح للأوثان . بعد ذلك قطعا هامتي التلميذين ، وأمّا الشيخ فقد لبثا يعذبانه ثم بعد ذلك أقاماه في الوسط وأخذا يرميانه بسهامهما الواحد من الإمام والآخر من الخلف . فقال لهما : ما دمتما قد اتفقتما على سفك دم بريء ، فإني أقول لكما إنه في رمية واحدة غداً في مثل هذا الوقت ، ستفقدكما أمكما وتحرم من محبتكما إذ ستسفكان أحدكما دم الآخر ، بسهامكما ، فسخرا من كلامه . وفي اليوم التالي ، انطلقا الى الصيد ، فصادفا غزالاً ، فركبا خيلهما وجدّا في أثره ، فأطلقا عليه سهامهما إلاّ انهما التصقت بنحريهما ، حسب كلام الشيخ ، فسقطا صريعين .

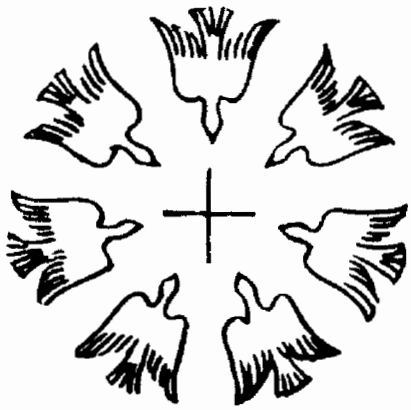

الأب موتيوس

١ ـ سأل أخ الأب موتيوس قائلاً : إذا تركت العالم لأسكن في مكان ، كيف تريدني أن أعيش هناك ؟ أجابه الشيخ : إذا سكنت في مكان ، لا تفكر أن يكون لك فيه اسم في أي شيء . أي «لا أخرج إلى الإجتماع » ، أو « ولا آكل في وليمة المحبة » ، لأن هذه تولد اسماً كاذباً ومن ثم ينوبك الغمّ والإنزعاج . فالناس يتهافتون حيث يجدون مثل هذا . قال له الأخ : إذاً ، ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : حيث تقيم ، ليكن سلوكك كسلوك الجميع . ومهما يفعل الأتقياء الذين تثق بهم ، افعله أنت أيضاً ، فترتاح ، لأن التواضع هو أن تكون مساوياً لهم . فالناس إذ يرونك تعمل بالقانون ولا تحيد عنه ، سيجعلونك في رتبة الجميع ، وهكذا لا يزعجونك .

٢ ـ تحدث عن الأب موتيوس تلميذه الأب اسحق (وصار كلاهما فيما بعد أسقُفَيْ) ، أن الشيخ بنى للمرة الأولى ديراً في أراكلة . ولما انتقل الى موضع آخر ، بنى ديراً آخر . وبفعل الشيطان ، وجد هناك أخ كان يعاديه ويزعجه . عندئذ نهض الشيخ وتوجه إلى قريته ، وبنى فيها ديراً حبس نفسه فيه . وبعد مدة جاء إليه شيوخ الدير الذي غادره ، واخذوا الأخ الذي كان يسبب له الحزن وقصدوا الدير متضرعين أن يقبله فيه . فلما دنوا من الموضع الذي كان فيه الأب سوريس ، تركوا امتعتهم والأخ الذي أحزنه . ولما قرعوا الباب ، وضع الشيخ السلّم وانحنى من الشباك ، ولما عرفهم قال : أين هي ملابسكم ؟ قالوا : إنها هنا مع الأخ . فما إن سمع الشيخ اسم الأخ الذي كان يزعجه حتى ضرب الباب بالفأس وكسره من فرحه وطفق يركض إلى حيث كان

الأخ . ولما دنا منه سجد له وعانقه وأدخله الى قلايته ، وسرَّ به ثلاثة أيام . ففرح الأخ لهذا الإستقبال فرحاً عظيماً ، وهذا أمر لم يكن معتاداً على القيام به . ثم نهض وذهب معهم . وبعد حين رسم أسقفاً ، لأنه كان يجترح العجائب . أمّا تلميذه اسحق ، فقد رسمه المغبوط كيرلس أسقفاً أيضاً .

الأب مياثيوس

١ ـ قالوا عن الأب مياثيوس إنه كان يخرج من قلايته حتى ولو جاءه فكر يدعوه إلى مغادرة المكان . ولم يكن يعود إليها ، لأنه لم يكن يملك شيئاً مادياً من هذا الزمان الحاضر، سوى آلة حادة كان يقطع بها الخوص . وكان ينجز في اليوم الواحد ثلاث سلال ، أي مقدار ما يحتاج إليه من أجل الطعام .

٢ ـ قالوا عن مياثيوس ثان ، إنه كان متواضعاً جداً ، وكان قد تدرّب على يد مصريين عديدين وعاشر شيوخاً كثيرين أمثال الأب سيسوى والأب بيمن . وقد أقام عند نهر صغير في سينا . وحدث أن زاره أحد القديسين كما قال هو نفسه وقال له : كيف تمضي وقتك في هذه البرية يا أخي ؟ أجابه : أصوم كل يوم يومين وآكل خبزة واحدة فقط . فقال لي : إذا أردت أن تسمع لي ، تناول طعاماً كل يوم مقدار نصف رغيف . فلما فعل كما أوعز إليه وجد راحة .

٣ ـ سأل بعض الآباء الأب مياثيوس قائلين : إذا فضل طعام لليوم التالي ، هل تريد أن يأكله الاخوة ؟ قال : إذا فسد ، لا يحسن أن نلزم الاخوة به ، لئلا يمرضوا ، لذا نرميه . ولكن إذا كان شهيّاً صالحاً للأكل ورمي بسبب الترف ، وطبخ سواه ، فهذا أمر رديء .

٤ ـ وقال أيضاً : في البدء ، لما كنا نجتمع معاً ونتباحث في أمور نافعة ، بانين بعضنا بعضاً ، كنا نصير أجواقاً أجواقاً ونرتفع إلى السموات . ولكن الآن عندما نجتمع ليدين أحدنا أخاه ، فإننا نهبط إلى أسفل .

الأب ميّوس

١ ـ قال الأب ميوس الـذي من فيليوس : الطاعـة تكون من أجـل الطاعــة . فالانسان إذا أطاع الله فإن الله يطيعه .

٢ ـ قال أيضاً عن أحد الشيوخ إنه كان في الاسقيط وكان من العبيد وكان شديد التمييز . وكان يأتي كل سنة إلى الاسكندرية ، لكي يقدّم الأجرة لأسياده . وهؤلاء كانوا يأتون للقائـه ويسجـدون له . أمّـا الشيخ فكان يضـع الماء في المغسلة ويحمله ليغسل به أرجل أسياده . لكنهم كانوا يقولون له : لا يا أبانا ، لا تُحزِنّا . فكان يجيبهم : اعترف بأني عبدكم ، لكني أغسل أرجلكم لكي أشكركم لأنكم تركتموني حرّاً لخدمة الرب كعبد . لهذا اقبلوا أجرتي هذه . أمّا هم فكانوا يخاصمونه رافضين طلبه ، وهـو كان يقـول لهـم : إذا لم تقبلـوا أجرتي ، فإني سأقيم هنا لأخدمكم . وإذ خافوا أن يفعل كما يقول ، تركوه وشأنه . إلاّ أنهم كاونوا يشيّعونه بالكثير من الاحترام والاجـلال لكي يصنـع الرحمة من أجلهم ، لأجل هذا صار معروفاً في الاسقيط ومحبوباً .

٣ ـ سأل أحد الجنود الأب ميوس قائلاً : هل يقبل الله التوبة يا أبت ؟ أمّا هو فبعد تلقينه أموراً ايمانية كثيرة ، قال له : قل لي يا حبيبي ، إذا تمزق ثوبك ، هل ترميه خارجاً ، أم ترتقه ؟ أجابه الجندي : بل أرتقه . فقـال له الشيخ : إذاً ، إذا كنت أنت تبقي على ثوبك ، ألا يبقي الله على خليقته ؟ .

الأب مرقس المصري

١ ـ قالوا عن الأب مرقس المصري إنه أقام في قلايته ثلاثين سنة لم يخرج منها أبداً . وكان من عادة الكاهن أن يأتي اليه لكي يصنع له القربان . فلما رأى الشيطان صبره الفاضل ، غضب ، وأراد أن يجربه بالدينونة . فأوعز الى انسان فيه روح شرير أن يأتيه بحجة الصلاة . فجاء هذا الى الشيخ ، وقبل البدء بأية كلمة ، خاطب الشيخ قائلاً له : إن كاهنك له رائحة الخطيئة ، فلا تدعه بعد اليوم يدخل إلى قلايتك . أمّا الشيخ الملهم من الله فقال له : يا ولدي ، الكل يطرحون الفساد خارجاً ، أمّا أنت فقد أحضرته اليّ . ولكنه مكتوب : « لا تدينوا لئلا تدانوا»(متى٧:١) .فالكاهن وإن كان خاطئاً إلاّ أنّ الرب يخلصه . لأنه قد كتب أيضاً : « صلّوا من أجل بعضكم لتشفوا» (يعقوب ٥ : ١٦) . بهذه الكلمات أخرج الأب مرقس الشيطان من الانسان ، بعد أن صلّى عليه ثم أطلقه صحيحاً معافى . أمّا الكاهن ، فكان يأتي حسب مألوف العادة إلى عند الأب مرقس ، وهذا كان دائماً يقبله بفرح . فحينما رأى الله الصالح براءة مرقس أظهر له آية . فالكاهن عندما أزمع أن يقف أمام المائدة المقدسة كما تحدث الشيخ ، كان الأب مرقس يرى ملاك الرب ينزل من السماء ويضع يده على رأس الكاهن فيستحيل الى عامود من نار. أمّا الأب مرقس فلما تعجب لهذا المنظر ، سمع صوتاً يقول : يا أيها الانسان ، لماذا تتعجب لهذا الأمر؟ إذا كان الملك الأرضي لا يترك الذين أمامه ، فكم بالأحرى القوة الالهية !ألا تطهّر، أي القوة الالهية ، الذين يقيمون الأسرار المقدسة منتصبين أمام المجد السماوي ؟ فمجاهد المسيح مرقس المصري قد صار كبيراً واستحق هذه الموهبة ، لأنه لم يرد أن يدين ذلك الكاهن .

الأب مكاريوس المدنيّ

١ ـ ذات يوم ، ذهب الأب مكاريوس المدنيّ ليقطع الخوص ، وكان الاخوة معه . فقالوا له في اليوم الأول : هلمّ وكل معنا يا أبانا . فمضى وأكل . وفي اليوم التالي طلبوا منه أن يأكل معهم أيضاً . فأبى أن يأكل ، وقال لهم : أنتم تحتاجون إلى الطعام يا أولادي ، لأنكم ما تزالون جسداً ، لكن أنا لا أريد أن آكل الآن .

٢ ـ زار الأب مكاريوس الأب باخوميوس التافنسيوتي ، فسأله باخوميوس : عندما يكون عندنا اخوة بطّالون ، هل يحسن أن نعاقبهم ؟ أجابه الأب مكاريوس : عاقب واحكم بعدل من هم تحت امرتك ، لكن لا تدن أحداً من خارج ، لأنه قد كتب « أنتم ألا تدينون الذين هم من داخل ، أمّا الذين من خارج ، فالرب يدينهم ؟ » (١ كور ٥ : ١٢) .

٣ ـ كان الأب مكاريوس يزور أحد الاخوة يومياً لمدة أربعة أشهر . فلم يجده ولا مرة قد فرغ من الصلاة ، فتعجب وقال له : أنت ملاك أرضي حقاً .

الأب نيلوس

١ ـ قال الأب نيلوس : مهما فعلت وأنت تقاوم أخاً قد ظلمك ، سيدخل الى قلبك ساعة الصلاة .

٢ ـ وقال أيضاً : الصلاة برعم الوداعة وعدم الغضب .

٣ ـ وقال أيضاً : الصلاة دواء للفتور والأحزان .

٤ ـ وقال أيضاً : لكي تتمكن من الصلاة دون ارتباك ، إذهب وبع كل ما لك وأعطه للمساكين ثم احمل صليبك وأنكِرْ نفسك .

٥ ـ وقال أيضاً : إن كل ما تتأمل فيه وأنت صابر ، ستجني ثمرَه ساعة الصلاة .

٦ ـ وقال أيضاً : إذا أردت أن تصلّي كما يجب ، لا تُحزن أحداً ، وإلاّ فأنت تسعى عبثاً .

٧ ـ وقال أيضاً : لا ترغب في أن تأتي الأمور وفقاً لما تتمنى ، إنما وفقاً لمشيئة الله ، وهكذا تكون بدون اضطراب ولاهمّ ومسروراً في صلاتك .

٨ ـ وقال أيضاً : هنيئاً للراهب الذي يعتبر نفسه نفاية الكل .

٩ ـ وقال أيضاً : إن الراهب الذي يحب السكينة ، لا يمكن لسهام العدو أن تجرحه . أمّا من يتدخل في كل شيء ، فإنه سيحتمل جراحات مستمرة .

١٠ ـ وقال أيضاً : إن العبد الذي يهمل عمل سيده ، فليعد نفسه للضرب بالسياط (لوقا ١٢ : ٤٧) .

الأب نيسثروس

١ ـ بينما كان الأب نيسثروس يمشي مع أحد الاخوة في البرية ، رأى تنيناً ، فهرب . فقال له الأخ : وأنت أيضاً تخاف يا أبتِ ؟ أجابه الشيخ : أنا لا أخاف يا ولدي ، لكن خير لي أن أهرب ،وإلاّ فلن يمكنني أن أهرب من روح المجد الفارغ .

٢ ـ سأل أحد الاخوة شيخاً وقال له : ما هو الشيء الصالح الذي أقدر أن أعمله وأحيا به ؟ أجابه الشيخ : الله يعرف الصلاح . إلاّ أني سمعت أن أحد الآباء سأل الأب نيسثروس الكبير ، صديق الأب أنطونيوس ، وقال له : ما هو العمل الصالح حتى أعمله ؟ أجابه الأب : أليست كل الأعمال متساوية ؟ يقول الكتاب إن ابراهيم كان مضيفاً وكان الرب معه . وإيليا أحب السكينة ، وكان الرب معه . وداود كان متواضعاً ، وكان الرب معه . إذاً ، ما تظن أن نفسك تريده ، وفقاً لمشيئة الله ، هذا اعمله واحفظه في قلبك .

٣ ـ قال الأب يوسف للأب نيسثروس : ماذا أعمل بلساني الذي لا أقدر أن ألجمه ؟ قال له الشيخ : إذا تكلمت ، هل تشعر بالراحة ؟ قال له : لا . فقال الشيخ : إذا لم تشعر بالراحة ، لماذا تتكلم ؟ أليس الأفضل أن تصمت ؟ وإذا كنت في مناقشة ، فليكن إصغاؤك أكثر من كلامك .

٤ ـ رأى أحد الاخوة الأب نيسثروس يلبس معطفين ، فسأله : إذا جاءك فقير وطلب منك لباساً ، أيهما تقدم له ؟ فأجابه الأب وقال : نصف المعطف الثاني . فقال الأخ : وإذا جاءك ثالث ، ماذا تقدم له ؟ قال الشيخ : سأقص

الباقي وأعطيه نصفه وأتمنطق بالنصف الآخر . ثم قال له الأخ : وإذا جاءك آخر يطلب ما بقي لك ، ماذا تفعل ؟ أجابه الشيخ : سأعطيه ما عندي وأذهب لأقيم في مكان يرسل الله لي فيه ما يسترني به ، لأني لن أطلب حاجتي من أحد .

٥ ـ قال الأب نيسثروس : على الراهب أن يحاسب نفسه كل مساء وكل صباح : ماذا فعلت مما يريده الله ؟ وماذا فعلت مما لا يريده ؟ وهذا نحققه طوال حياتنا ، لأن الأب أرسانيوس هكذا عاش ، إذ اهتم ، كل يوم ، أن يقف أمام الله بدون خطيئة . هكذا صلّ الى الله كشخص في حضرة شخص آخر ، لأن الله حاضر فعلاً : لا تجعل نفسك مشرِّعاً ولا تدين أحداً . فمن الغريب بالنسبة للراهب أن يقسم أو أن يحنث ، أو أن يكذب ، أو أن يلعن ، أو أن يشتم ، أو أن يضحك ، لأن من يكرّم نفسه ويرفعها فوق استحقاقها يهلك .

الأب نيسثروس الذي في شركة

١ ـ قال الأب بيمن عن الأب نيسثروس إنه كان كالحية النحاسية التي صنعها موسى لشفاء الشعب ، حائزاً على كل فضيلة ، وبصمته كان يشفي الجميع .

٢ ـ لما سأل الأب بيمن الأب نيسثروس من أين اقتنيت هذه الفضيلة حتى إنه كلّما لحقت بك مصيبة أو ضيق من الشركة فلا تتكلم ولا تطلب وساطة أحد ؟ أجابه الأب : سامحني يا أبت ، لأني مذ دخلت الدير وأنا أقول لنفسي : « أنت والحمار واحد » . فكما أن الحمار يُربط فلا يتكلم ، يُشتم فلا يجيب ، هكذا أنت كما يقول المرنم : « صرت كالبهيمة لديك ، ومع هذا فأنا معك في كلّ حين » (مزمور ٧٢ : ٢٢) .

الأب نيكون

١ ـ سأل أخ أحد الآباء قائلاً : كيف يجرِّب الشيطان القديسين ؟ قال له الشيخ : كان أحد الآباء واسمه نيكون يقيم في جبل سيناء ، فحدث أن رجلاً زار خيمة أحد الفرانيتيين فرأى ابنته وحدها فسقط معها وقال لها : قولي إن الراهب نيكون فعل بي هكذا . فلما عاد أبوها وعلم بما جرى ، حمل سيفه ومضى الى الشيخ نيكون . فلما قرع الباب خرج الشيخ . فمدّ سيفه ليقتله ، فيبست يده . فمضى الفرانيتي وقال للكهنة وهؤلاء أرسلوا الى الأب نيكون يطلبون منه أن يأتي . وبعد أن أشبعوه ضرباً أرادوا أن يطردوه ، فتوسل اليهم قائلاً : أتركوني هنا حباً بالله لكي أتوب . ففصلوه عن الشركة ثلاث سنوات ومنعوا كل انسان من زيارته . فقضى هذه المدة وهو يأتي كل أحد تائباً وكان يتوسل الى الجميع قائلاً : صلّوا لأجلي . بعد ذلك ، حدث أنّ من ارتكب الذنب وألقى التهمة على الراهب ، كان فيه شيطان ، فاعترف في الكنيسة : إنني أنا الذي فعلت ذلك وقد وشيت بعبد الله وأتهمته . فمضى كل الشعب للاعتذار من الشيخ قائلين : سامحنا يا أبانا وأمكث معنا . فقال لهم : أمّا من جهة المسامحة ، فها قد سامحتكم ، أمّا من جهة بقائي ، فلن أبقى معكم لأنه لم يوجد واحد منكم يتمتع بالتمييز لكي يتعاطف معي . وهكذا رحل عنهم . فقال الشيخ : أترى الآن كيف يجرِّب الشيطان القديسين؟

الأب نترا

١ ـ قيل عن الأب نترا تلميذ الأب سلوان إنه عندما كان يقيم في قلايته في جبل سيناء ، كان يحفظ حاجة الجسد باعتدال . ولما صار أسقفاً على « فران » ، كان يضغط على نفسه بقساوة النسك ، فقال له تلميذه : يا أبت ، عندما كنا في البرية لم تكن تروِّض نفسك هكذا . أجابه الشيخ : هناك كانت البرية والسكينة والفقر ، فأردت أن أسود على الجسد لئلا أمرض فأطلب ما لم يكن عندي . ولكن هنا عندنا العالم وكل الفرص . وإذا أصابني المرض هنا ، سأجد من يساعدني لئلا أفقد صفتي الرهبانية .

الأب نيكيتا

١ ـ قال الأب نيكيتا إنّ أخوين قررا أن يقيما معاً . ففكر الواحد منهما في نفسه أنه مهما يريد أخي أفعله . والآخر فكر الشيء نفسه بقوله : « سأفعل مشيئة أخي» . فعاش الاثنان معاً سنوات كثيرة بمحبة كبيرة . فرأى العدو هذا ، فخرج ليفصل بينهما . فوقف عند الباب الخارجي فبدا للواحد كحمامة ، وللآخر كعقعق (غراب) . فقال الأول : هل ترى هذه الحمامة ؟ قال الثاني : إنه عقعق . ثم شرع الاثنان بالخصام كل واحد مؤكداً وجهة نظره . ثم إنهما تشابكا حتى الدم ، وافترقا ، فصار هذا فرحاً عظيماً للشرير . وبعد ثلاثة أيام ، عاد كل منهما الى نفسه وتأمل فيها بهدوء وصنع كل واحد للآخر مطانية واعترفا أمام بعضهما بما بدا لكل منهما . ولما فهما حرب العدو مكثا حتى النهاية معاً ، دون أن يفترقا .

الأب كسويس

١ ـ سأل أخ الأب كسويس قائلاً : إذا حدث أنني كنت في مكان ما وأكلت ثلاث خبزات ، فهل هذا العدد كبير ؟ أجابه الشيخ : هل أتيت إلى البيدر يا أخي ؟[١] فقال له ثانية : إذا شربت ثلاثة كؤوس من الخمر فهل هذا العدد كبير ؟ أجابه الشيخ : إذا لم يكن هناك شيطان ، ليس العدد بكبير ، ولكن إذا كان هناك شيطان ، عندئذ فإن العدد كبير جداً . فالخمر غريب عن الرهبان الذين يعيشون وفقاً لمشيئة الله .

٢ ـ قال أحد الآباء عن الأب كسويس الذي من طيبة إنه دخل مرة إلى جبل سيناء ، ولما خرج قابله أخ قائلاً بتنهد : نحن في ضيق يا أبت ، لأن السماء لا تمطر علينا . أجابه الشيخ : ولماذا لا تصلّون وتتضرعون إلى الله ؟ قال الأخ : نحن نصلّي ونتلو الأدعية الطويلة ، لكن المطر لا ينزل . قال له الشيخ : أرى أنكم لا تصلّون بحرارة . هل تريد أن تعلم أن الأمر هو هكذا ؟ فرفع يديه نحو السماء للصلاة وللحال أمطرت . فلما رأى الأخ هذا ، خاف وسقط على وجهه وسجد له . عندئذ هرب الشيخ . فذهب الأخ وأعلم الجميع بما جرى . والذين سمعوا هذا ، مجّدوا الله .

---

(١) ثلاثة أرغفة كثيرة على الراهب . فهذا المقدار يأكله الثور الذي يدرس الغلال على البيدر . (انظر ابراهيم ٢ و بيمن ١٩) .

الأب كسنثيا

١ ـ قال الأب كسنثيا : اللص الذي كان على الصليب تبرّر بكلمة واحدة . ويهوذا الذي كان في مصاف الرسل خسر ، في ليلةٍ واحـدة ، كل ما كان له وانحدر من السماء الى الجحيم . لأجل هذا لا يفتخر أحد ممـن يحيون حياة مترَفة ، لأن الذين يعتمدون على أنفسهم يسقطون .

٢ ـ صعد ذات يوم الأب كسـنثيا من الاسـقيط الى ترينوثـي . وعندمـا وجـد المكان ، قدّموا له من أجل تعـب النسـك قليلاً من الخمـر . فلما سمـع به البعض ، جاؤوه بإنسان فيه شيطان . فبدأ الشيطان يشتم الشيخ ويقول : أإلى هذا السكران أتيتم بي ؟ أمّا الشيخ ، فلم يشأ أن يخرجه بسبب الشتائم . لكنه قال : أؤمـن بالمسيح إنـي لن أنتهـي من هذه الـكأس حتـى تكون قد خرجت . فلما بدأ يشرب ، صرخ الشيطان وزمجر قائلاً : أنت تحرقني ، أنت تحرقني . وقبل أن ينهي الشيخ كأسه ، خرج الشيطان بنعمة المسيح .

٣ ـ هو نفسه قال : الكلب أفضل مني ، لأن عنده محبـة ، ولا يأتـي إلى دينونـة أحد .

الأب اوليمبيوس

١ ـ قال الأب اوليمبيوس : نزل مرة أحد كهنة الهلينيين إلى الاسقيط وجاء إلى قلايتي ونام . فلما رأى سلوك الرهبان ، قال لي : ما دمتم تحيون هكذا ، ألا ترون في الرؤيا شيئاً إلى جانب إلهكم ؟ قلت له : لا . قال لي الكاهن : نحن عندما نكهن لإلهنا ، لا يخفي علينا شيئاً ، بل يكشف لنا كل أسراره . وأنتم الذين تبذلون أتعاباً كذا مقدارها ، أي أصواماً وهدوءاً ورياضات نسكية ، كيف تقول إننا لا نرى شيئاً ؟ على كل حال ، إذا لم تشاهدوا من هذا القبيل ، عندئذ لا بدّ أن في قلوبكم أفكاراً شريرة تفصلكم عن إلهكم ، لهذا السبب لا يكشف لكم أسراره . فذهبت ونقلت كلام هذا الكاهن الى الآباء ، فتعجبوا وقالوا إن الأمر هو هكذا ، لأن الأفكار الدنسة تفصل الانسان عن الله .

٢ ـ حورب الأب اوليمبيوس الذي من القلالي بالزنى . فقال له فكره : إذهب وخذ امرأة . فنهض وجبل طيناً وصنع منه امرأة ، ثم قال لنفسه : هذه هي امرأتك ، لذا لا بدّ لك من العمل الكثير الآن لكي تعولها . وهكذا صار يعمل كثيراً ويتعب . وبعد أيام ، جبل طيناً آخر ، وصنع منه ابنة ، وقال لفكره : ها قد وضعت زوجتك ، فلا بدّ أن تعمل أكثر لكي تعول ابنتك أيضاً وتقدم لها الملبس وكل ما تحتاج اليه . ولما فعل هكذا أرهق جداً ، فقال لفكره : لا أستطيع فيما بعد أن أحتمل التعب . ثم قال : إذا كنت لا تقدر أن تحتمل التعب ، لا تطلب الزواج من امرأة . فلما رأى الله تعبه ، أبعد عنه الحرب ، فارتاح .

الأب أورسيسيوس

١ ـ قال الأب أورسيسيوس : الطوب غير المطبوخ عندما يوضع في أساس قرب النهر ، لا يصمد يوماً واحداً ، أمّا المطبوخ فيصمد كالحجر . هكذا الإنسان الذي فيه فكر جسدي لم ينصهر بمخافة الله ، كما حصل ليوسف ، فإنه سرعان ما يتداعى ويسقط عندما يتسلم مسؤولية ، لأن أمثال هؤلاء تحل بهم تجارب كثيرة ، كونهم يعيشون وسط الناس . لكن حسن أن يترك الإنسان عبء المسؤولية عندما يعرف حدود قدرته . أمّا الثابتون في الإيمان فإنهم لا يتزعزعون . لذا إن اراد أحد الكلام على يوسف الكلّي الطهر ، فإنه يقول إنه ما كان أرضياً . كيف أتته التجربة ؟ في أي بلد ؟ كيف أتته ما دام ليس هناك من أثر للتقوى الإلهية بعد ؟ إن إله آبائه كان معه وأخرجه من كل ضيق . والآن يرتع مع آبائه في السموات . ونحن إذاً ، بما أننا عرفنا حدود قاماتنا فلنجاهد لأننا هكذا فقط نستطيع أن نتجنب دينونة الله .

٢ ـ وقال أيضاً : أعتقد أن الإنسان إذا لم يحفظ قلبه جيداً ، فإنه سرعان ما ينسى ويهمل ما قد سمع . هكذا إذا وجد العدو فيه مكاناً ، يقتحمه ، لأنه كما أن السراج الذي أُعدّ ليضيء ، إذا أهملنا وضع الزيت فيه ، فإنه ينطفىء تدريجياً ، ومن ثم تقوى عليه الظلمة . وليس هذا فقط ، لكن يحدث مراراً أن يأتي إليه فأر ويحاول أن يقضم فتيله ، في حين أنه ما كان يقدر على ذلك قبل انطفاء الفتيل . فالفأر إذا ما رأى أن السراج ليس نوراً ولا حرارة ، عندئذ يلتهم الفتيل ويتلف السراج . وإذا كان من خزف يكسره . وإذا كان من

نحاس ، فإن رب البيت يُضطر إلى إصلاحه من جديد . هكذا النفس ، إذا تقاعست فإن الروح القدس يتخلى عنها تدريجياً حتى تنطفىء حرارتها ، عندئذ يهاجمها العدو ويلتهم كل نشاطاتها ، وبشرّه ، يهلك الجسد أيضاً . ولكن إذا كان الإنسان جيداً في استعداده إلى الله ، ولكن يستولي عليه الكسل قليلاً ، فإن الله كرحيم ، يسكب فيه مخافته ، وذكر العقاب ، فيقوّيه ليسهر ويصحو ، ويحفظ نفسه بكل أمان حتى حضور الله وافتقاده .

الأب بيمن

١ ـ ذهب الأب بيمن مرة ، عندما كان شاباً ، إلى أحد الشيوخ يسأله عن ثلاثة أفكار . ولما وصل إلى قلاية الشيخ ، نسي واحداً من أفكاره ، فعاد أدراجه إلى قلايته . وقبل أن يمسك بمفتاح بابها ، تذكر ما قد نسي ، فقفل عائداً إلى الشيخ من جديد . قال له الشيخ : لقد أسرعت في العودة يا أخي . فقصّ عليه كل ما جرى له وقال : لما وضعت يدي على المفتاح ، تذكرت ما قد جئت إليك من أجله ، فلم أفتح ، وعدت إليك . وكانت المسافة بين المكانين بعيدة جداً . فقال له الشيخ : أنت راعي القطعان واسمك سيُتحدث به في كل أنحاء مصر[١].

٢ ـ كانت لباييسيوس شقيق الأب بيمن صلة بإنسان من خارج قلايته ، فأبى الأب بيمن أن يكون الحال هكذا . فنهض وجاء إلى الأب عمون وقال له : إن باييسيوس أخي له صلة بآخر ولا أرتاح لذلك . فقال له الأب عمون : يا بيمن ، أما تزال حياً ؟ إذهب ولازم قلايتك وضع في قلبك أن لك سنة كاملة في القبر .

٣ ـ جاء بعض كهنة المنطقة إلى الأديار التي كان فيها الأب بيمن ، فدخل عليه الأب أنوف وقال له : دعنا نجمع الكهنة اليوم يا أبت . لكن الأب بيمن لم يعطه جواباً بالرغم من طول الإنتظار . فخرج حزيناً . فقال له الذين كانوا يجلسون إلى جانبه : يا أبانا ، لماذا لم تعطه جواباً ؟ قال لهم الأب بيمن : لا يهمني شيء لأني ميت ، والميت لا يقدر أن يتكلم .

---

(١) إن كلمة « بيمن » باليونانية تعني « راعٍ » .

٤ ـ كان في مصر شيخ قبل مجيء رفاق الأب بيمن وكان ذا معرفة وقيمة كبيرتين . فلما جاء الأب بيمن وصحبه من الاسقيط ، ترك الناس ذلك الشيخ وجاؤوا إلى الأب بيمن فحزن الشيخ وقال لإخوته : ماذا نفعل بهذا الشيخ العظيم ؟ فالناس يزعجوننا عندما يتركونه ويأتون إلينا ، ونحن لسنا بشيء ؟ كيف نقدر أن نشفي الشيخ ؟ وقال لهم : أعدّوا شيئاً من المأكول وخذوا زق الخمر لنذهب إليه ونأكل معه ، علّنا بهذه الطريقة نشفيه . وبعد أن أعدّوا الطعام والشراب ، مضوا إلى الشيخ . ولما قرعوا الباب ، سمع تلميذه الصوت ، فسأل : من أنتم ؟ فقالوا : قل للأب إن بيمن يريد أن يأخذ بركتك . فنقل التلميذ الكلام إلى الشيخ ، فقال ذاك : إذهب ، لم أفرغ من العمل بعد . فألحّ القادمون الذين احتملوا الحر الشديد ، وقالوا : لن نذهب قبل أن نرى الشيخ . فلما رأى الشيخ تواضعهم وصبرهم ، تحرك قلبه ، وفتح لهم الباب . ولما دخلوا أكلوا معاً . وبينما كانوا يأكلون ، قال : في الحقيقة لا يجوز أن أكتفي بما سمعته عنكم ، لأنكم في العمل والفعل أفضل بمائة مرة . ومنذ ذلك الحين صار صديقاً لهم .

٥ ـ أراد حاكم تلك المنطقة أن يرى الأب بيمن ، لكن الشيخ لم يقبل . فما كان من هذا إلاّ أن أمسك ابن أخت بيمن ورماه في السجن بتهمة ، وقال : لا أطلقه حتى يأتي الشيخ نفسه ويتوسل من أجله . فجاءت أم الصبي إلى قلاية الشيخ تبكي ، فلم يعطها جواباً . فبدأت تشتمه قائلة : يا قاسي القلب[1] ، ارحمني لأنه وحيدي . فأرسلها وقال لها : ليس لبيمن اولاد . وهكذا تركت المكان . فلما سمع الحاكم هذا، أرسل يقول: سأطلق الولد لمجرد كلمة من الشيخ . فصرّح الشيخ قائلاً: تصرَّف بما يطابق القوانين، فإذا كان يستحق الموت، فليمت، واذا كان بريئاً فافعل ما تريد .

٦ ـ سقط أخ يعيش في شركة في هفوة . وكان في تلك الأماكن ناسك لم يخرج منذ

(١) الترجمة الحرفية هي يا ذا الأحشاء النحاسية .

زمن طويل . فجاء رئيس الشركة إلى الشيخ واخبره بما جرى . فقال : أطردوه . فخرج الأخ من الدير ومضى إلى وهدٍ وأخذ يبكي هناك . فسمعه بعض الاخوة الذاهبين إلى الأب بيمن ، وهو يبكي ، فجاؤوا إليه فوجدوه في حالة يرثى لها ، فرجوه أن يمضي معهم إلى الأب بيمن . فلم يرد قائلاً : هنا سأموت . فجاؤوا إلى الأب بيمن وأخبروه بما حصل ، فأرسلهم متوسلاً وهو يقول : قولوا له إن الأب بيمن يسلّم عليك . فجاء الأخ . فلما رآه الشيخ حزيناً ، قام إليه وقبّله . وبينما كان يمازحه ، دعاه إلى الطعام . ثم أرسل واحداً من الاخوة إلى الناسك يقول : منذ سنين عديدة وأنا أرغب أن أراك بسبب ما أسمعه عنك ، ولكننا لم نتقابل بسبب كسلنا . ولكن الآن وبمشيئة الله قد صار للقائنا سبب ، فكلّف نفسك بالمجيء إلى هنا لنرى بعضنا بعضاً . وكان الناسك لا يبارح قلايته ، لكن لما سمع هذا الكلام قال : لو لم يكن الرب قد ألهمه ، ما كان ليدعوني إليه . فقام ومضى إليه . فتعانق الإثنان . فقال له الأب بيمن : كان في إحدى الأمكنة إنسانان وكان للإثنين أموات فترك الواحد ميته ومضى يبكي ميت قريبه . فلما سمع الناسك هذا الكلام ، نُخس في قلبه ، وتذكر ما فعل ، فقال : إن بيمن لفي السماء أمّا أنا ففي الدركات ، أي على الأرض .

٧ ـ زار مرة عدد كبير من الشيوخ الأب بيمن إذ كان واحد من صحبه معه ولد وجهه متجه إلى الوراء بقوة شيطانية . فلما رأى والد الصبي جمهور الآباء ، حمل ابنه وخرج به إلى باب الدير وجلس يبكي . فحدث أن خرج أحد الشيوخ ، فلما رآه قال : لماذا تبكي يا رجل ؟ أجابه والد الصبي : أنا واحد من أقرباء الأب بيمن ، ثم قصّ عليه ما جرى للولد وقال : لقد خشينا أن نقدّمه للأب بيمن ، لأنه لا يريد أن يرانا . وإذا ما علم أننا هنا ، لا بد أنه سيرسل إلينا من يطردنا . ولكني لما رأيت قدسكم ، تجاسرت على الدنو . ارحمني يا أبت كما تشاء وخذ الصبي إلى الدير وصلِّ من أجله . فحمله الشيخ ودخل به إلى الدير

وتصرَّف بحكمة إذ لم يقدمه للأب بيمن مباشرة . إنما أخذ يطوف به أمام الحاضرين مروراً بالأصغر وهو يقول: أختموا الصبي[1] ، أختموا الصبي . ولما ختمه الجميع كل في دوره جاء به إلى الأب بيمن ، فلم يشأ أن يلمسه . فرجا منه الحاضرون قائلين : افعل ما فعله كل واحد منّا يا أبانا. فتنهد وقام وصلّى قائلاً : يا إلهي ، أشف خليقتك هذا لئلا يسوده العدو . ولما ختمه شفاه للحال وسلّمه إلى والده صحيحاً معافى .

٨ ـ سافر أحد الاخوة في نو حي الأب بيمن إلى مكان غريب وجاء إلى ناسك ذلك المكان ، الذي كان محبوباً جداً ومقصوداً من الناس ، وأطلعه على أحوال الأب بيمن . فلما سمع الناسك بفضيلة بيمن رغب في أن يراه . وبعد مدة عاد الأخ إلى مصر . ثم قام الناسك وجاء إلى مصر إلى الأخ الذي كان قد زاره لأنه أخبره أين يقيم . فلما رآه الأخ ، تعجب وفرح جداً . فقال الناسك : اعمل لي معروفاً وخذني إلى الأب بيمن . فأخذه إليه وأطلع الأب على أخبار الناسك الضيف وقال : إنه إنسان كبير محبوب جداً وذو شأن رفيع في بلاده. وقد حدّثته عنك فرغب في أن يراك . فقبله الأب بيمن بفرح ، وبعد العناق المألوف ، جلساً . فبدأ الضيف يتكلم بشواهد من الكتاب المقدس على الروحيات والسماويات. وللحال أدار الأب بيمن رأسه ولم يعطه جواباً . ولما لاحظ الناسك أن بيمن لا يكلّمه ، خرج حزيناً وقال للأخ الذي اقتاده إليه : عبثاً تعبت في قدومي إلى هنا ، لأني أتيت إلى الأب بيمن فلم يرد أن يكلّمني . فدخل الأخ على الأب بيمن وقال له : يا أبت ، إن الرجل الكبير هذا جاء ليراك . هو إنسان ذائع الصيت في بلاده ، لماذا رفضت أن تكلمه ؟ قال له الأب : هذا ينتمي إلى ما هو فوق ويتكلم في السماويات ، أمّا أنا ، فأنتمي إلى ما هو أسفل ، إلى الأرضيات . لو أنه حدّثني عن أهواء النفس ، لكنت أجبته في الحال . ولكن عندما كلّمني على الروحانيات ، لم أجبه بكلمة ، لأني لا أعرفها . فخرج الأخ وقال للناسك : إن الشيخ لا

---

(١) بعلامة الصليب .

يتحدث بسرعة من الكتاب المقدس . ولكن إذا حدّثته عن أهواء النفس ، فإنه يجيب ، فتأثر الناسك من هذا الكلام ، ودخل على الأب بيمن من جديد وقال له : ماذا أعمل يا أبت وأهواء النفس تسودني ؟ فنظر إليه الأب بيمن بفرح وقال : أهلاً بك . افتح فمك وسوف أملأه خيرات . فانتفع الناسك وقال : في الحقيقة هذا هو الطريق الحقيقي . ثم عاد إلى بلاده يشكر الله الذي أهّله أن يقابل قديساً كهذا .

٩ ـ أمسك حاكم المنطقة بإنسان من قرية الأب بيمن . فخرج أهل القرية إليه يرجون منه أن يذهب ليطلقه . فقال لهم : أتركوني ثلاثة أيام ، بعد ذلك آتي . فصلّى الأب الى الرب قائلاً : يا رب ، لا تعطني هذه النعمة ، لأنهم لن يدعوني فيما بعد أقيم في هذا المكان . ثم جاء يستعطف الحاكم ليطلقه ، فقال له ذاك : هل تستعطف لصاً يا أبت ؟ ففرح بيمن لأن طلبه قد رُفض .

١٠ ـ قصّ البعض أن الأب بيمن واخوته صنعوا فتيلاً . ولم يتقدم عملهم إذ لم يكن عندهم ما يشترون به كتاناً (أو قنباً) ، لكن واحداً من محبيهم نقل الأمر إلى تاجر مؤمن . وبالطبع لم يرد الأب بيمن أن يأخذ شيئاً من أحد بسبب الإزعاج . ولما عزم التاجر أن يؤدّي للشيخ خدمة ، تظاهر بحاجته الى الفتيل ، فأحضر الجمال وأخذها . فلما جاء الأخ إلى الأب بيمن وسمع ما قام به التاجر ، وفي نيته أن يمتدحه ، قال : بالفعل يا أبت قد أخذها ، مع أنه لا يحتاج إليها . وقد فعل هذا ليؤدّي لنا خدمة . فلما سمع الأب بيمن أنه أخذها ولم يكن يحتاج لها ، قال للأخ : انهض واستأجر جملاً واذهب لإحضار الفتيل . وإذا لم تحضرها ، فإن بيمن لن يقيم هنا معكم ، لأني لا أريد أن أظلم إنساناً لا يحتاج إلى ما يأخذه مني . فيتضرر ونحن نجني ربحه . فمضى الأخ وأحضرها وقد أضناه التعب . لو لم يفعل هكذا ، لتركهم الأب بيمن فلما رأى الفتيل ، فرح ، وكأنه وجد كنزاً .

١١ ـ سمع مرة كاهن بيلوسيوس عن بعض الاخوة أنهم يترددون على المدينة كثيراً

ويستحمّون ويهملون أنفسهم . فلما جاء إلى الإجتماع رفع عنهم الاسكيم الرهباني . ولكن بعد حين بدأ ضميره يؤنبه . فجاء إلى الأب بيمن وهو مضطرب الفكر ممسكاً ثياب الاخوة وأخبره بما حدث . قال له الشيخ : أليس فيك شيء البتة من الإنسان القديم ؟ هل نزعته عنك ؟ قال الكاهن : لا أزال أشترك فيه إلى الآن يا أبت . فقال له الشيخ : إذاً أنت كهؤلاء الاخوة ، لأنك وان كنت تشترك في القديم قليلاً ، إلاّ أنك عرضة للخطيئة . فمضى الكاهن ودعا الاخوة واعتذر منهم واعاد لهم اسكيمهم الرهباني ثم أطلقهم .

١٢ ـ اعترف أخ للأب بيمن قائلاً : لقد ارتكبت خطيئة كبيرة وأريد أن أتوب عنها ثلاث سنوات . قال له الشيخ : إن هذه مدة طويلة . أجابه الأخ : إذاً ، لسنة واحدة فقط ؟ قال : وهذا كثير أيضاً . فقال الحاضرون : وهل يكتفي بأربعين يوماً ؟ قال : وهذا كثير أيضاً . وقال : أقول لكم ، إنه إذا تاب الإنسان من كل قلبه وتوقف عن الخطيئة ، فإن الله يقبله حتى في ثلاثة أيام .

١٣ ـ وقال أيضاً : إن علامة الراهب تظهر في التجارب .

١٤ ـ وقال أيضاً : كما أن سيّاف الملك يقف إلى جانبه متأهباً على الدوام ، هكذا على النفس أن تكون متأهبة ومستعدة أمام شيطان الزنى .

١٥ ـ سأل الأب أنوف الأب بيمن عن الأفكار الدنسة التي يلدها قلب الإنسان وأيضاً عن الرغبات الباطلة ، فقال له الأب بيمن : « وهل تفتخر الفأس بدون من يقطع بها »(أشعياء ١٠ : ١٥) . أنت أيضاً ، لا تعطها مجالاً ، لئلا تبقى .

١٦ ـ وقال أيضاً : لو لم يأت رئيس الطهاة نبوزرادان[1] ، لما احترق معبد الرب . وهذا يعني أنه بدون التوقف عن محبة البطن ، يسقط العقل الأعلى في حربه مع العدو .

---

(١) ورد اسمه عدة مرات في العهد القديم . أنظر كيف أحرق بيت الرب(سِفْر الملوك الرابع ٢٥ : ٩) .

١٧ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه دعي للأكل رغماً عنه ، فذهب وهو يبكي لئلا يَعصَى طلب أخيه فيحزنه .

١٨ ـ وقال أيضاً : لا تسكن في مكان ترى فيه أناساً ممتلئين حسداً ضدك ، وإلاّ توقف تقدمك .

١٩ ـ أخبر البعض الأب بيمن عن راهب لا يشرب الخمر ، فقال : الخمر عموماً ليس للرهبان .

٢٠ ـ سأل الأب أشعيا الأب بيمن عن الأفكار النجسة ، فقال الأب بيمن : كما أن الثياب الكثيرة الموضوعة في خزانة ، لمدة طويلة ، تهترىء ، هكذا الأفكار ، إذا لم ننفذها جسدياً فإنها مع الوقت تتلاشى ، أي تهترىء .

٢١ ـ وسأل الأب يوسف الشيء نفسه ، فقال له الأب بيمن : كما أنه إذا وضع المرء ثعباناً أو عقرباً في وعاء ، يموتان مع الوقت ، هكذا الأفكار الشريرة التي تخرج من الشياطين ، فإنها بالصبر تتلاشى وتزول .

٢٢ ـ جاء أخ إلى بيمن وقال له : أزرع حقلي وأتصدق به . قال له الشيخ . حسناً تفعل . فمضى بعزم وضاعف إحسانه بنشاط . فسمع الأب أنوف بهذا ، فقال للأب بيمن : ألا تخاف الله ، فتتكلم هكذا مع الأخ ؟ فصمت الشيخ ، وبعد يومين دعا الأب بيمن الأخ وقال له على مسمع من الأب أنوف : ماذا قلت لي في المرة السابقة ؟ لأني كنت شارد الذهن . فقال له الأخ : قلت لك إنني أزرع حقلي وأتصدق به . فقال له الأب بيمن : كنت أظن أنك تحدثني عن أخيك الذي في العالم . ولكن إذا كنت أنت من يفعل هذا ، أقول لك إن هذا لا يليق بالرهبان . أمّا هو فلما سمع هذا حزن وقال : لا أعرف عملاً آخر ، ولا أستطيع أن أهمل حقلي . فلما مضى ، صنع له الأب أنوف مطانية (سجدة) وقال له : سامحني . فقال له الأب بيمن : وأنا منذ البدء كنت أظن أن الزراعة ليست عمل الرهبان . إلاّ أني تكلمت وفقاً لأفكاره وشجعته على

عمل المحبة . وهـا قد مضى حزينـاً ، وسيعمـل الشيء نفسه[1] .

٢٣ ـ قال الأب بيمن : إذا خطىء الإنسان ورفض الإعتراف بخطيئته قائلاً : « ما خطئت » ، لا تبكته وإلاّ فأنت تثبّط من عزيمته . ولكن إذا قلت له : لا تحزن يا أخي ، إنما انتبه للمستقبل ، فإنك تنهض نفسه إلى التوبة .

٢٤ ـ وقال أيضاً : الخبرة جميلة ، لأنها تجعل الإنسان ممتحناً أكثر .

٢٥ ـ وقال أيضاً : من يعلّم ولا بعمل بما يقول ، يشبعه عين ماء تسقي وتروي وتغسل كل شيء لكن لا تقدر أن تنظف نفسها .

٢٦ ـ بينما كان الأب بيمن يطوف في مصر ، صادف امرأة جالسة عند قبر تبكي بمرارة ، فقال : إذا انسكبت كل مباهج هذه الدنيا ، لا تقدر أن ترفع النوح عن نفس هذه المسكينة . هكذا الراهب ، يجب عليه أن يقتني النوح في قلبه على الدوام .

٢٧ ـ وقال أيضاً : هناك إنسان يبدو صامتاً ، لكن قلبه يدين كثيرين . مثل هذا الإنسان يتكلم باستمرار . وثمة آخر يتكلم من الصباح حتى المساء ، لكنـه يلتزم الصمت . هذا يعني أنه لا يتكلم البتة بدون نفع .

٢٨ ـ جاء أخ إلى الأب بيمن وقال له : يا أبت عندي أفكار كثيرة تعرّضني للخطر . فاقتاده الأب إلى الهواء الطلق وقال له : أمدد صدرك وامسك الرياح . فقال : يستحيل عليّ القيام بهذا يا أبت . فقال له الشيخ : إذا كنت عاجزاً عن هذا ، أنت لا تقدر أن تمنع الأفكار عنك . ولكن بمقدورك أن تقاومها .

٢٩ ـ وقال أيضاً : إذا كان ثلاثة معاً ، الواحد يحيا السكينة جيداً ، والثاني يمرض

---

(١) الزراعة تفترض ملكية وتقود إلى زيادة الخيرات المادية وإلى التجارة ، لذلك لم يُسمح بها لرهبان مصر . أمّا العمل اليدوى فكان من أجل الكفاف اليومي ، لذلك كان يُسمح به وكان ضرورياً .

ويشكر ، والثالث يخدم بفكر طاهر ، فإن الثلاثة يقومون بالعمل نفسه .

٣٠ ـ وقال أيضاً : لقد قيل : « كما تتوق الإيل إلى ينابيع المياه ، كذلك تتوق نفسي إليك يا الله » ، لأن الإيل في البرية تلتهم زحافات كثيرة ، ويلهبها السمّ فتهرع إلى الماء وتغب منه لكي تبرّد لهيب السمّ فيها . هكذا الرهبان ، عندما يقيمون في البرية يلتهبون بسمّ الشياطين الأشرار ، فيطلبون السبت والأحد لكي يأتوا إلى ينابيع الماء ، أعني إلى جسد المسيح ودمه ، وذلك لكي يتطهروا ويتنقوا من مرارة الشرير .

٣١ ـ سأل الأب يوسف الأب بيمن قائلاً : كيف ينبغي أن نصوم ؟ قال له الأب بيمن : أريد المرء أن يأكل قليلاً كل يوم ولا يشبع . فقال له الأب يوسف : لما كنت شاباً ، ألم يكن صومك يومين يومين يا أبت ؟ قال الشيخ : بالطبع ثلاثة وأربعة وأسبوعاً . وكل هذه اختبرها الآباء ، لأنهم كانوا أقوياء . فوجدوا أن الأفضل هو أن يأكل الإنسان قليلاً كل يوم ، ثم سلّمونا الطريق الملوكي الخفيف .

٣٢ ـ قيل عن الأب بيمن إنه لما كان ينوي القدوم إلى الإجتماع ، كان يجلس منفرداً ليفحص أفكاره لمدة ساعة كاملة ، بعد ذلك كان يخرج .

٣٣ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : تُرك لي إرث ، ماذا أفعل به ؟ قال له الشيخ : إذهب وعدّ بعد ثلاثة أيام لأقول لك . فمضى وعاد في الوقت المحدد ، فقال له الشيخ : ماذا أقدر أن أقول لك يا أخي ؟ إذا قلت لك وزّع المال على الكنيسة ، هناك ينفقونها على الولائم . وإذا قلت لك أعطها لأحد أنسبائك ، لن يكون لك أجر . وإذا قلت لك أعطها للفقراء ، تصبح بدون همّ . إذن ، افعل ما تشاء . فأنا ليس عندي رأي في هذا .

٣٤ ـ سأله أخ آخر : ما معنى « لا تقابل شراً بشر » ؟ أجابه الشيخ : هذا الهوى له أربعة وجوه . الأول من القلب . والثاني من النظر . والثالث من اللسان .

والرابع هو لا تقابل شراً بشر . فإذا استطعت أن تنقّي قلبك ، لا يصل الهوى إلى النظر . وإذا بلغ إلى النظر ، انتبه أن لا تتكلم . وإذا تكلمت ، اقطعه على عجل وذلك لئلا تقابل شراً بشر .

٣٥ ـ وقال أيضاً : إن الإنتباه والصحو والتمييز هي الفضائلُ الثلاثُ التي ترفع النفس وتقودها .

٣٦ ـ وقال أيضاً : إن أدوات النفس هي أن يرمي الإنسان نفسه أمام الله ولا يعتبر نفسه البتة وأن يهمل مشيئته .

٣٧ ـ وقال أيضاً : أمام كل ألم يعتريك ، النصر هو الصمت .

٣٨ ـ وقال أيضاً : الشبع الجسدي ممقوت أمام الرب .

٣٩ ـ وقال أيضاً : النوح مزدوج . إنه يعمل ويحفظ .

٤٠ ـ وقال أيضاً : إذا جاءك فكر يطلب حاجات الجسد الضرورية ، فأذعنت له في المرة الأولى ، ثم جاءك ثانية ، فأذعنت له أيضاً ، ثم ثالثة ، فلا تكترث له ، لأنه عديم النفع .

٤١ ـ وقال أيضاً : سأل أخ الأب ألونيوس قائلاً : ما هو الازدراء ؟ قال الشيخ : هو أن تكون دون الحيوانات ، وأن تعلم أنها تخلو من العيب .

٤٢ ـ وقال أيضاً : إذا تذكّر المرء القول المكتوب « بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » (متى ١٢ : ٣٧) فإنه سرعان ما يؤثر الصمت .

٤٣ ـ وقال أيضاً : التشتت هو بدء الشرور .

٤٤ ـ وقال أيضاً إن الأب إيسيذورس كاهن الاسقيط خاطب الشعب مرة وقال : اخوتي ، ألم نأت للتعب في هذا المكان ؟ لكن الآن لم يعد هناك من تعب . وأنا إذا أعددت معطفي اقدر أن أذهب إلى حيث التعب فأجد راحة .

٤٥ ـ وقال أخ للأب بيمن : إذا رأيتُ شيئاً هل تنصحني أن أبوح به ؟ قال له الشيخ : لقد كتب : من يجب بكلمة قبل أن يسمع ، يعمل بجهل . فإذا سئلت أجب ، وإلاّ فاصمت .

٤٦ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يستطيع المرء أن يثق بعمل واحد ؟ أجابه الشيخ أن الأب يوحنا الكولوفوس قال : أريد أن أشترك بجزء من الفضائل كلها .

٤٧ ـ وقال أيضاً : أخ سأل الأب بمفو إذا كان حسناً أن نمدح القريب ، فقال له : بالأحرى خير لك أن تصمت .

٤٨ ـ وقال الأب بيمن : إذا استطاع الإنسان أن يبني سماء جديدة وأرضاً جديدة ، لا يمكنه أن يكون بدون همّ .

٤٩ ـ وقال أيضاً : يحتاج الإنسان إلى التواضع ومخافة الله ، تماماً كالنفَس الذي يخرج من أنفه .

٥٠ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له الشيخ : عندما دخل إبراهيم أرض الميعاد ، اشترى لنفسه قبراً ، ولأجل القبر ورث الأرض . قال له الأخ : وما هو القبر يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إنه مكان البكاء والنحيب .

٥١ ـ قال أخ للأب بيمن : إذا أعطيت أخي قليلاً من الخبز ، أو شيئاً آخر ، فإن الشياطين تفسده ، وكأن العمل هذا يحصل بداعي إرضاء الناس . قال له الشيخ : حتى ولو صار هذا بداعي إرضاء الناس ، فإننا سنعطي القريب ما هو بحاجة إليه . ثم ضرب له هذا المثل : كان هناك مزارعان يعيشان في مدينة واحدة . الواحد زرع فحصد قليلاً من الزرع الفاسد . أمّا الثاني فأهمل الزرع ، ولم يحصد شيئاً البتة . فإذا حدثت مجاعة كبيرة ، مَن من الإثنين سيعيش ؟ قال الأخ : ذاك الذي حصد الزرع الذي فيه فساد قليل . قال له

الشيخ : هكذا نحسّ ، فلنزرع قليلاً حتى ولو كان فاسداً لئلا نموت من الجوع .

٥٢ ـ وقال أيضاً الأب بيمن إن الأب عمون قال : إنسان يقضي السنة كلها وهو يمسك بفأس ولا يجد طريقة ليوقع الشجرة . وهناك آخر خبير بقطع الشجر يوقع الشجرة بضربات معدودات . فقال : إن الفأس هي التمييز .

٥٣ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : كيف ينبغي على الإنسان أن يسلك ؟ أجابه الشيخ : نرى دانيال أنه لم تكن عليه تهمة إلاّ في خدمة الرب إلهه .

٥٤ ـ وقال الأب بيمن : إن إرادة الإنسان سور نحاسي بينه وبين الله وحجر يصد الهجمات . فإذا هجرها الإنسان يقول هو نفسه « بعون إلهي أسوّر الأسوار » (مزمور ١٧ : ٣). فإذا تماشى البرّ مع المشيئة ، يهلك الإنسان .

٥٥ ـ وقال أيضاً إنه بينما كان بعض الآباء جالسين يأكلون ، كان الأب ألونيوس يقف للخدمة . فلما رأوه امتدحوه . فلم يجب بكلمة البتة . فقال له أحدهم على انفراد : لماذا لم تجب الآباء عندما امتدحوك ؟ قال له الأب ألونيوس : إذا أجبتهم أكون قد قبلت المديح .

٥٦ ـ وقال أيضاً : الناس في أغلب الأحوال يتكلمون ، وفي القليل يعملون .

٥٧ ـ وقال الأب بيمن : كما أن الدخان يطرد النحل ، عندئذ يقطف الشهد والعسل معاً ، هكذا تطرد الراحة الجسدية مخافة الله من النفس وتصرفها عن العمل .

٥٨ ـ زار أخ بيمن في الأسبوعين من الصوم الأربعيني المقدس ، ولما اعترف بأفكاره ونال الحل ، قال له : كنت على وشك ألاّ أصل إلى هنا اليوم . قال له الشيخ : ولماذا ؟ قال الأخ : قلت في نفسي ، ربما لا يفتح لي الباب بسبب الصوم الأربعيني المقدس . قال له الأب بيمن : نحن لا نعرف أن نغلق الباب الخشبي لكن باب اللسان .

٥٩ ـ وقال أيضاً : يجب أن نهرب من الجسديات ، لأن الإنسان عندما يكون أمام حرب جسدية يشبه إنساناً يقف أمام جبّ عميق متى شاء العدو يرميه فيه . ولكن عندما يكون بعيداً عن الجسديات ، يشبه رجلاً يقف بعيداً عن الجبّ ، فالعدو وإن حاول أن يجرّه لكي يرميه فيه ، فإن الله يرسل له العون والمساعدة .

٦٠ ـ وقال أيضاً : الفقر والشدة والضيق والصوم هي أدوات السيرة الرهبانية ، لأنه مكتوب «ولو كان فيها هؤ لاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب ، فحيّ أنا يقول الرب » (حزقيال ١٤ : ١٤ ـ ٢١) . نوح هو صورة اللاقنية . وأيوب هو صورة الألم . ودانيال هو مثال التمييز . فإذا وجد الثلاثة معاً في الإنسان ، فإن الله يقيم فيه .

٦١ ـ قال الأب يوسف : لما كنا نقيم مع الأب بيمن ، كان يدعو اغاثون أباً ، وكنا نقول له : هو ما يزال شاباً بعد ، فلماذا تدعوه أباً ؟ قال الأب بيمن : إنّ أبوّته هذه هي بسبب فمه .

٦٢ ـ جاء أخ إلى بيمن وقال له : ماذا أعمل يا أبت ؟ إن فكر الزنى يزعجني . فها قد ذهبت إلى الأب افستيونا وقال لي : لا يجوز أن يظل فيك طويلاً . قال له الأب بيمن : إن الأب افستيون عنده أعمال ترفعه إلى الملائكة ، ويغيب عنه أننا (أنا وأنت) في خضمّ الزنى . وإذا صان الراهب بطنه ولسانه وغربته ، كن متأكداً ، أنه لا يموت .

٦٣ ـ قال الأب بيمن : علّم فمك أن ينطق بمكنونات قلبك .

٦٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا رأيت سقطة أخي ، هل يليق أن أكتمها ؟ قال له الشيخ : في اللحظة التي نكتم فيها سقطة أخينا ، يكتم الله سقطاتنا . ولكن عندما نكشفها ، فإن الله يكشف سقطاتنا .

٦٥ ـ وقال أيضاً إن أخاً سأل الأب باييسيوس قائلاً : ماذا أعمل ونفسي عديمة الإحساس ولا تخاف الله ؟ أجابه : اذهب والتصق بإنسان يخاف الله ،

وبملازمتك إياه يعلّمك كيف تخاف الله .

٦٦ ـ وقال أيضاً : إذا استطاع الراهب أن يغلب أمرين ، يمكنه أن يتحرر من العالم . فقال الأخ : وما هما يا أبت ؟ أجاب : الراحة الجسدية والمجد الفارغ .

٦٧ ـ سأل إبراهيم تلميذ الأب اغاثون الأب بيمن وقال له : كيف تحاربني الشياطين ؟ أجابه الأب : أنت تحاربك الشياطين ؟ الشياطين لا تحاربنا كوننا نصنع مشيئاتنا ، لأن مشيئاتنا أمست شياطين . وهذا ما يزعجنا عندما نطيعها . لكن إذا أردت أن ترى الذين تحاربهم الشياطين ، ها هي قد حاربت موسى ومن هم على شاكلته .

٦٨ ـ قال الأب بيمن : هذه السيرة أعطاها الله لإسرائيل ، أعني أن يبتعدوا عمّا هو بخلاف الطبيعة أي الغضب والسخط والحسد والكراهية والثرثرة والوقيعة ضد الأخ وكل ما ينتمي إلى العالم القديم .

٦٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : قل لي كلمة . أجابه : إن بداية العمل الذي وضعه الآباء هو النوح . فقال له الأخ ثانية : قل لي كلمة أخرى . أجابه الأب : إن استطعت أن تتصدق من عمل اليد ، فلا تتوانَ ، لأنه كتب أن الاحسان والإيمان يمحوان الخطايا . فقال الأخ : وما هو الإيمان ؟ قال الشيخ : أن يسلك الإنسان بتواضع وأن يفعل الصدقة .

٧٠ ـ وقال أخ للأب بيمن : إذا رأيت إنساناً سمعت أنه قد سقط ، لا أريد أن آتي به إلى قلايتي . ولكن إذا رأيت أنه قد عمل حسناً ، أفرح معه . قال له الشيخ : إذا صنعت قليلاً من الخير مع أخيك الصالح ، اجعل ضعف هذا مع الآخر ، لأن ذاك هو المريض . ثم ضرب له هذا المثل وقال : كان هناك ، في أحد أديار الحياة المشتركة ، متوحد يدعى تيموثاوس . فسمع الأب الرئيس عن تجربة جرت لأحد الإخوة ، فسأل الناسك تيموثاوس عن الأمر . فنصحه أن

يطرد الأخ . فلما طرده ، انتقلت تجربة الأخ إلى الناسك تيموثاوس حتى بات وضعه في خطر . فشرع يبكي أمام الرب قائلاً : لقد خطئت فسامحني . فجاءه صوت يقول : يا تيموثاوس ، لا تعتقد أن ما أصابك هو لأنك أغفلت الأخ ساعة تجربته .

٧١ ـ قال الأب بيمن : لأجل هذا نقع في تجارب كثيرة . لأننا لا نحفظ أسماءنا ولا نظامنا كما يقول الكتاب . ألا نرى امرأة حنانيا التي قبلت اسمها لأن المخلص أراحها . وأيضاً أبيجائيل لأنها قالت لداود « خطيئتي عليّ » فسمعها وأحبها . أبيجائيل تمثل النفس وداود هو صورة الألوهة . فالنفس إذا لامت نفسها أمام الرب فإنه يجيبها .

٧٢ ـ كان الأب بيمن يجتاز في أحد الأيام بصحبة الأب أنوف منطقة ذيولقوس ، ولما وصلا إلى القبور ، صادفا امرأة تنوح بشدة وتبكي بمرارة . فوقفا وفهما حالتها . ولما تابعا المسير قليلاً ، صادفا إنساناً ، فسأله الأب بيمن : ما بال تلك المرأة تبكي بمرارة ؟ قال له : مات زوجها وابنها وأخوها . فأجاب الأب بيمن وقال للأب أنوف : أقول لك إن الإنسان إذا لم يُمت كل مشيئات الجسد ولم يقتن هذا النوح ، لا يمكنه أن يصبح راهباً ، لأن حياة هذه المرأة وعقلها الأعلى هما في البكاء والنوح .

٧٣ ـ وقال الأب بيمن : لا تعتدّ بنفسك إنما التصق بمن يسلك حسناً .

٧٤ ـ وقال أيضاً : إذ زار أحد الأب يوحنا الكولوفي ، كان يعلّمه المحبة التي وردت عند الرسول : « المحبة تتأنّى وترفق » .

٧٥ ـ وقال أيضاً عن الأب بمفو : قال عنه الأب أنطونيوس إنه ، لكثرة مخافته الله ، جعل الروح القدس يسكن فيه .

٧٦ ـ قال أحد الآباء عن الأب بيمن واخوته إنهم كانوا يقيمون في مصر ، وإن أمهم التي كانت ترغب في رؤيتهم ، لم تتمكن من ذلك . فكانت تتابعهم من بعيد

وهم ذاهبون إلى الكنيسة . وقد قابلتهم ، ولكنّهم كانوا ، لمّا يشاهدونها ، يرجعون ويغلقون الباب في وجهها . أمّا هي فكانت تصرخ عند الباب منتحبة ببكاء شديد ، وتقول : دعوني أراكم يا أولادي الأحباء . فلما سمع الأب أنوف هذا الكلام ، جاء إلى الأب بيمن وقال له : ماذا نفعل بهذه العجوز التي تبكي عند الباب ؟ فلما وقف من الداخل ، سمعها تبكي بمرارة ، فقال لها : لماذا تبكي هكذا يا جدّة ؟ فلما سمعت صوته علا صراخها أكثر واشتد بكاؤها ، وقالت : أريد أن أراكم يا أولادي . فماذا في الأمر إذا شاهدتكم ؟ ألست أنا أمكم ؟ ألم أرضّعكم من لبني ؟ لقد وخط الشيب رأسي . قال لها الشيخ : وهل ترغبين في رؤيتنا هنا ، أم في ذلك العالم ؟ قالت له : إذا لم أركم هنا ، هل سأراكم هناك ؟ قال لها : إذا أرغمت نفسك على عدم رؤيتنا هنا ، ستشاهديننا هناك . فمضت مسرورة وهي تقول : إذا كان لا بد أن أراكم هناك ، فإني سوف أمسك نفسي عن رؤيتكم هنا .

٧٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ما هي الساميات ؟ قال له الشيخ : إنها عمل الصالحات .

٧٨ ـ جاء مرة بعض الهراطقة إلى الأب بيمن وبدأوا يوقعون برئيس أساقفة الإسكندرية على أن رسامته قد جرت على أيدي كهنة . فصمت الشيخ قليلاً ، ثم نادى أخاه وقال : ضع لهم الطاولة واعدد شيئاً من المأكول ، ثم أطلقهم بسلام .

٧٩ ـ قال الأب بيمن إن أخاً كان يقيم مع اخوته سأل الأب بيساريوس : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : أصمت ولا تعتدّ بنفسك .

٨٠ ـ وقال أيضاً : إن من لا يثق به قلبك ، لا تدعه يتمسك به .

٨١ ـ وقال أيضاً : إذا ازدريت نفسك فإنك ستجد راحة حيثما سكنت .

٨٢ ـ وقال أيضاً : قال الأب سيسوى إن هناك خزياً فيه خطيئة عدم الخوف .

٨٣ ـ وقال أيضاً : ان المشيئة والراحة والاعتياد عليهما من شأنها أن تحطّم الإنسان .

٨٤ ـ وقال أيضاً : إذا كنت محباً للصمت ستجد راحة أينما حللت .

٨٥ ـ وقال عن الأب بيور إنه في كل يوم كان يضع بداءة لشيء من الأشياء .

٨٦ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا سقط أخ في زلة وتاب ، هل يسامحه الله ؟ قال له الشيخ : إذا كان الله قد طلب من الإنسان أن يغفر لأخيه ، ترى ألا يفعل هو بالأحرى الشيء نفسه ؟ لأنه قال لبطرس : « سبعين مرة سبع مرات » (متى ١٨ : ٢٢) .

٨٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يحسن أن يصلّي الإنسان ؟ أجابه الشيخ : قال الأب أنطونيوس على لسان الرب « عزّوا عزّوا شعبي يقول الرب » (أشعياء ٤٠ : ١) .

٨٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يقدر الإنسان أن يضبط جميع أفكاره دون أن يسلم واحداً منها إلى العدو ؟ أجابه الشيخ : ثمة إنسان يأخذ عشرة ويعطي واحداً .

٨٩ ـ والأخ نفسه توجّه بالسؤال إلى الأب سيسوى ، فأجابه : بالطبع ، هناك من لا يقدّم للعدو شيئاً البتة .

٩٠ ـ كان هناك ناسك كبير يعيش حياة السكينة في جبل اثليفوس . فهاجمه بعض اللصوص ، فصرخ . فلما سمعه الآباء ، أمسكوا اللصوص وسلّموهم إلى الوالي فطرحهم في السجن . فحزن الاخوة قائلين : انهم أُسلموا بسببنا . فنهضوا ومضوا إلى الأب بيمن وأطلعوه على الأمر . فكتب إلى الشيخ قائلاً : عليك أن تدرك من أين كانت الخيانة الأولى ، عندئذ ترى الثانية . في الحقيقة

لو لم تكن الخيانة قد تمت من الداخل أولاً، لما قمت بالخيانة الثانية[1]. فلما سمع رسالة الأب بيمن (وكان اسمه قد ذاع في تلك الأمصار ولم يخرج من قلايته)، قام ومضى إلى المدينة وأخرج اللصوص من السجن وأعتقهم علناً.

٩١ ـ قال الأب بيمن : لا يمكن أن يكون هناك راهب كثير التشكّي .

لا يمكن أن يكون هناك راهب يقابل شراً بشر .

لا يمكن أن يكون هناك راهب غضوب .

٩٢ ـ زار بعض الشيوخ الأب بيمن وقالوا له : هل تعتقد أنه يحسن ، إذا ما رأينا الاخوة ينعسون في الكنيسة ، أن ننبّههم ونحثّهم على السهر في صلاة السهرانية ؟ فقال لهم : في كل حال ، إذا حدث أن رأيت أخاً ينعس ، للحال أتكىء رأسه على ركبتي لأريحه .

٩٣ ـ قيل عن أخ إنه قد جُرّب بالتجديف وخجل أن يفصح عنه . وكان حيثما يسمع بوجود شيوخ كبار ، يزورهم ليسألهم عن ذلك . ولكن ما إن يبلغ اليهم حتى يخجل من البوح بما في قلبه . ومراراً كثيرة زار الأب بيمن وكان الأب يرى أن عنده أفكاراً كثيرة ، فكان يحزن من أجله لعدم كشفها . وذات يوم ، بينما كان يرافقه قال له : منذ زمان بعيد وأنت تأتي إليّ وعندك أفكار كثيرة تريد أن تكشفها ، لكنك ما إن تبلغ إلى هنا حتى تخجل من البوح بها ، وهكذا تعود كل مرة حزيناً مكتئباً ، لأنك تحتفظ بها لنفسك . قل لي إذن يا ولدي ، ما الذي تشكو منه ؟ قال له : الشيطان يجرّبني بالتجديف على الله وأخجل أن أبوح بذلك . ولما كشف ما كان يقلقه ارتاح . فقال له الشيخ : لا تحزن يا ولدي ولكن عندما يأتيك هذا الفكر ، قل : « أنا لست مسؤولاً عن ذلك ، فليرتدّ التجديف عليك يا شيطان ، لأن نفسي لا تريد هذا ». إذ إن كل ما لا ترغب فيه النفس هو آنيّ . فمضى الأخ معافى .

---

(١) كان يجب على الناسك أن يترك اللصوص وشأنهم فيأخذوا ما يريدون كما فعل آخرون، وليس ان يصرخ في طلب النجدة.

٩٤ ـ قال أخ للأب بيمن : إنني حيثما حللت أجد عوناً . قال له الشيخ : والذين يحملون السيوف في أيديهم ، يجدون الله رحيماً في الوقت الحاضر . فإذا كنا شجعاناً فإنه يرحمنا أيضاً .

٩٥ ـ قال الأب بيمن : إذا لام الإنسان نفسه ، فإنه يصبر على الشدائد أينما كان .

٩٦ ـ وقال أيضاً : قال الأب عمون إن هناك إنساناً أمضى مئة سنة في قلايته من غير أن يعلم كيف ينبغي أن يقيم فيها .

٩٧ ـ قال الأب بيمن : إذا بلغ الإنسان إلى معنى كلام الرسول « كل شيء طاهر للأطهار» (تيطس ١ : ١٥) ، فإنه يرى نفسه أصغر من الخليقة كلها . فقال له الأخ : إذا بلغ الإنسان إلى قامة هذه الآية ورأى إنساناً يَقتل ، يقول : « هذا ، ارتكب هذه الجريمة فقط ، أمّا أنا فإني أقتل كل يوم » .

٩٨ ـ وطرح الأخ السؤال نفسه على الأب أنوف مضيفاً إليه ما قاله الأب بيمن ، فقال له الأب أنوف : إذا بلغ الإنسان قامة هذه الآية ، ورأى ضعفات أخيه ، فإنه يمارس برّه ويسترها له . فقال له الأخ . وما هو برّه ؟ أجابه الشيخ : أن يلوم نفسه على الدوام .

٩٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا سقطت سقطة يرثى لها فإن فكري ينهشني ويدينني ، لماذا سقطت ؟ قال له الشيخ : عندما يخطأ الإنسان ويقول « خطئت » لا يعود مذنباً .

١٠٠ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : لماذا تقنعني الشياطين لكي أكون مع من هو أرفع مني ، بينما تحرّضني على احتقار من هو أدنى مني ؟ أجابه الشيخ : لأجل هذا قال الرسول لا تكون في بيت كبير آنية من ذهب وفضة فحسب ، بل تكون فيه أيضاً آنية من خشب وخزف ، فبعضها لاستعمال شريف وبعضها لاستعمال خسيس . فإذا طهّر أحد نفسه من تلك الآثام ، يصير إناء شريفاً مقدساً أهلاً لاستعمال السيد ومستعداً لكل عمل صالح (٢ تيمو٢ : ٢٠) .

١٠١ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : كيف لا أكون حراً في أن أكون مع الشيوخ في أفكاري ؟ أجابه الشيخ : قال الأب كولوفوس إن العدو لا يفرح كثيراً إلاّ من الذين لا يظهرون افكارهم .

١٠٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إن قلبي يتوانى إذا استولى عليه تعب قليل . أجابه الشيخ : ألا نتعجب من يوسف المراهق الذي كان ابن سبع عشرة سنة ، كيف قاوم التجربة حتى النهاية ؟ فمجّده الله . ألا نرى أيوب كيف أنه لم يتراجع بل تمسك بالصبر حتى النهاية ؟ فلم تتمكن التجارب أن تزعزع إيمانه ورجاءه بالله .

١٠٣ ـ قال الأب بيمن : إن الحياة المشتركة تحتاج إلى أمور ثلاثة : عمل التواضع ، وعمل الطاعة والعمل الذي منطلقه ومركزه الحياة المشتركة .

١٠٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : في ساعة حزن أحاطت بي طلبت من أحد القديسين أمراً نافعاً ، فوهبني إياه مجاناً . فإذا ساعدني الله أنا أيضاً ، هل تكون تقدمتي لمن أحسن إليّ أو لأشخاص آخرين ؟ أجابه الشيخ : إنه لعادل في حكم الله أن يُعطى لذاك ، لأنه له . قال له الأخ : وإذا قدمتها له وأبى أن يأخذها قائلاً : إذهب واعطها لمن تشاء ، ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : في كل الأحوال ، الهدية هي له . فإذا قدّم لك إنسان شيئاً بإرادته دون أن تطلبه أنت ، فإن هذا الشيء صار ملكاً لك . ولكن إذا طلبت أنت سواء من راهب أو علماني ، ولم يشأ ، بعد ذلك ، أن يقبله ، فمن الحق أن تقدمه لمن تشاء بعلمه وعن نفسه .

١٠٥ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه ولا مرة أراد أن يجعل كلمته فوق شيخ آخر ، بل كان يمدحه في كل شيء .

١٠٦ ـ قال الأب بيمن : كثيرون من آبائنا صاروا رجالاً في النسك ، لكن في دقة الأفكار واحد أو اثنان .

١٠٧ ـ لما كان الأب اسحق جالساً إلى جانب الأب بيمن ، سمع صوت طائر ، فقال له : هل يوجد مثل هذه الأصوات هنا ؟ أجابه الأب : إسحق ، لماذا ترغمني على الكلام ؟ أمثالك يصغون إلى هذه الأصوات . لكن من يسهر لا يكترث لها .

١٠٨ ـ قالوا ، إنه لما كان البعض يأتون إلى الأب بيمن ، كان يرسلهم إلى الأب أنوف أولاً ، لأنه أكبر سناً . أمّا الأب أنوف فكان يقول لهم : اذهبوا إلى الأب بيمن ، لأن عنده موهبة الكلام . فلما كان الأب أنوف يجلس إلى جانب الأب بيمن ، لم يكن الأب بيمن يتكلم في حضرته .

١٠٩ ـ كان هناك رجل من أهل الدنيا تقيّ في حياته وسيرته ، زار مرة الأب بيمن بينما كان عنده اخوة آخرون جاؤوا إليه يطلبون أن يسمعوا منه كلمة . فقال الأب بيمن لذاك المؤمن : قل للاخوة كلمة . أمّا ذاك فكان يتوسل إليه قائلاً : سامحني يا أبت ، أنا هنا لكي أتعلم . فلما أرغمه الأب على الكلام قال : أنا من أهل الدنيا ، أبيع الخضار وأتاجر بها . أحلّ الحزم الكبيرة وأحوّلها إلى أخرى أصغر منها . أشتري الرخيص وأبيعه بثمن مرتفع . ولا أعرف أن أتكلم من الكتاب المقدس . وسوف أسوق لكم مثلاً : قال رجل لصديقه : إني أرغب في أن أرى الملك ، فهلمّ معي . فقال له صديقه : سأرافقك إلى منتصف الطريق . فقال لصديق آخر : هلمّ أوصلني إلى الملك . فقال له الصديق : سأقودك إلى البلاط ثم أتوقف وأتكلم ، بعد ذلك أدخلك إلى الملك . فسألوه : وما معنى هذا المثل ؟ أجابهم : إن الصديق الأول هو النسك الذي يقود حتى الطريق . والثاني هو العفة التي تقود حتى السماء . أمّا الثالث فهو الإحسان الذي يقود بثقة إلى الملك السماوي . فلما سمع الاخوة هذا الكلام ، غادروا المكان منتفعين .

١١٠ ـ بقي أخ خارج قريته ولم يصعد إليها لسنوات عديدة ، فقال للاخوة : ها

إن لي سنين كثيرة لم أصعد فيها إلى قريتي ، بينما أنتم تصعدون إليها باستمرار . فأبلغوا عنه الأب بيمن فقال : أنا كنت أصعد إليها في الليل تحت جناح الظلام وأطوف بها لئلا يفتخر فكري بأنني لا أصعد إليها البتة .

١١١ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : قل لي كلمة . أجابه الشيخ : عندما تشتعل النار تحت المرجل ، لا تقدر الذبابة أو سواها من الحيوانات الزاحفة أن تدنو منه . لكن عندما يبرد ، فإنها تتمكن حتى من الجلوس فوقه . هكذا هو الراهب ، كلما ثابر على أعماله الروحية ، فإن العدو لا يجد مكاناً يقتحمه منه .

١١٢ ـ قال الأب يوسف عن الأب بيمن إنه قال : هذا هو الكلام الذي كتب في الإنجيل : « من له ثوب فليبعه ويشتر سيفاً » (لوقا ٢٢ : ٣٦) . أي من يتنعم بالراحة ، عليه التخلي عنها بغية سلوك الطريق الضيّق .

١١٣ ـ سأل بعض الآباء الأب بيمن قائلين : إذا رأينا أخاً يخطأ ، هل نوبّخه؟ قال لهم الشيخ: في كل حال، إذا اضطررت أن أجتاز من هناك، ورأيته يخطأ ، أتجاوزه ولا أوبّخه.

١١٤ ـ قال الأب بيمن : لقد كتب : « اشهد بما رأته عيناك » (أمثال ٢٥ : ٨) . أمّا أنا فأقول لكم لا تشهدوا حتى ولو لمستم الأمر بأيديكم ، لأن أحد الاخوة خدع من ذاته إذ تراءى له أنه رأى أخاه يخطأ مع امرأة . فلما حاربته الفكرة هذه كثيراً ، دنا منهما ولمسهما برجله ظاناً أنه قد بلغ ضالته وقال : كفى ، إلى متى ؟ للحال وجد نفسه أمام حزمتين من القمح . لهذا قلت لكم إنه حتى ولو لمستم الأمر بأيديكم لا توبّخوا .

١١٥ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل إذ أحارب بالزنى والغضب ؟ أجابه الشيخ : لأجل هذا قال داود : « سحقت الأسد وخنقت الدبّ » (١ مل ١٧ : ٣٥) ، أي أنني استأصلت الغضب وضيّقت على الزنى بالأتعاب .

١١٦ ـ وقال أيضاً : لا يستطيع الإنسان أن يجد محبة أعظم من بذل النفس عن

القريب (يوحنا ١٥ : ١٣) ، لأن الإنسان ، إذا ما سمع أمراً شريراً ، أي محزناً ـ مع العلم أنه هو نفسه قد يقول أمراً مماثلاً ـ وجاهد لئلا ينطق به ، أو إذا صار ضحية الطمع ، فاحتمل ، فإن مثل هذا قادر أن يبذل حياته عن قريبه .

١١٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : من هو المرائي ؟ أجابه الشيخ : هو من يعلّم قريبه أمراً لم يبلغ هو إليه ، لأنه مكتوب : « ولماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك ، وها هي الخشبة في عينك أنت » (متى ٧ : ٣) ، وهكذا دواليك .

١١٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : وما معنى أن يغضب الإنسان على أخيه دون سبب ؟ (متى ٥ : ٢٢) ، فقال : إذا غضبت لكل جشع يمارسه أخوك ضدك ، فإنك تغضب دون سبب . فإذا قلع عينك اليمنى وقطع يدك اليمنى أيضاً وغضبت عليه ، فإنك تغضب دون سبب . ولكن إذا فصلك عن الله ، حينئذ إغضب .

١١٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أفعل بخطاياي ؟ أجابه الشيخ : من أراد التحرر من خطاياه ، يتخلص منها بالبكاء . ومن أراد أن يجني الفضائل ، يقتنيها بالبكاء ، لأن البكاء هو الطريق الذي سلّمه إلينا الكتاب المقدس والآباء قائلاً : ابكوا ونوحوا . في الحقيقة ليس هناك من طريق سواه يا ولدي .

١٢٠ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : وما هي التوبة عن الخطيئة ؟ أجابه الشيخ : إنها أن لا نرتكب الخطيئة فيما بعد . لأجل هذا دعي الأبرار بلا عيب ، وذلك لأنهم هجروا الخطيئة فصاروا أبراراً .

١٢١ ـ وقال أيضاً : إن شر الناس يختبىء وراءهم .

١٢٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أفعل بالإضطرابات التي تزعجني ؟ أجابه

الشيخ : فلنبك أمام الله في كل أتعابنا ، إلى أن يعلن لنا رحمته .

١٢٣ ـ ثم سأله الأخ قائلاً : وماذا أفعل بصداقاتي غير المجدية يا أبت ؟ أجابه : هناك من يحشرج حتى الموت ، إلاّ أنه ينتبه لصداقات هذا العالم . فلا تقترب منها ولا تلمسها ، وبعد ذلك فإنها بمفردها تبتعد عنك .

١٢٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يستطيع المرء أن يكون كالميت ؟ أجابه الشيخ : إذا وصل إلى الخطيئة يموت ، وإذا وصل إلى الصلاح ، فإنه يحيا ويعمل الصلاح .

١٢٥ ـ حدّثنا الأب بيمن أن الأب أنطونيوس قال : إن قوة الإنسان الكبرى تكمن في أن يضع خطيئته دوماً نصب عينيه أمام الله وأن ينتظر التجربة حتى النسمة الأخيرة .

١٢٦ ـ سئل الأب بيمن : ولمن يتوجه القول المكتوب « لا تهتموا للغد . . . » (متى ٦ : ٣٤) ؟ أجاب : لقد قيل هذا للإنسان الذي تأتيه التجارب فلا يكترث كثيراً ، وذلك لئلا يهتم قائلاً : وكم سيطول بقاء هذه التجربة معي فبالأحرى به أن يفكر يومياً ويقول : « اليوم » .

١٢٧ ـ وقال أيضاً : أن يعلّم الإنسان قريبه ، فهذا من شأن الصُمّ والعديمي الأهواء ، لأنه ما قيمة الإنسان إذا بنى بيت قريبه وهدم بيته .

١٢٨ ـ وقال أيضاً : ما حاجة الإنسان إذا مضى إلى مهنة ولم يتعلّمها ؟

١٢٩ ـ وقال أيضاً : كل ما يتجاوز القياس هو من الشياطين .

١٣٠ ـ وقال أيضاً : عندما يزمع الإنسان أن يبني بيتاً ، فإنه يجمع طاقات كثيرة لكي يرفعه وينهض به . هكذا نحن ، علينا أن نأخذ قليلاً من كل الفضائل .

١٣١ ـ سأل بعض الآباء الأب بيمن قائلين : وكيف احتمل الأب نيسثروس تلميذه هكذا ؟ أجابهم الشيخ : لو كنت مكانه لجعلت وسادة تحت رأسه .

فقال له الأب أنوف: وماذا سيكون جوابك إلى الله ؟ أجابه الشيخ : سأقول له : أنت القائل : « أخرج الخشبة من عينك حتى تبصر جيداً فتخرج القذى من عين أخيك » (متى ٧ : ٥) .

١٣٢ ـ وقال الأب بيمن : إن الجوع والنعاس ما تركانا نرى هذه التفاهات .

١٣٣ ـ وقال أيضاً : كثيرون صاروا أقوياء ، لكن القليلين يحثّون على المحبة (عبر ١٠ : ٢٤) .

١٣٤ ـ ثم قال بتنهد : كل الفضائل دخلت إلى هذا البيت ما عدا واحدة هي التي ، بدونها ، بالجهد يصمد الإنسان . فسألوه : وما هي ؟ قال : أن يلوم الإنسان نفسه .

١٣٥ ـ كان الأب بيمن يقول : لا نحتاج إلى أحد ، إلاّ إذا كان عنده ذهن صاح ويقظ .

١٣٦ ـ سأل أحد الآباء الأب بيمن قائلاً : من هو القائل : « رفيق أنا لكل الذين يتقونك ويحفظون وصاياك » (مزمور ١١٨ : ٦٣) ؟ أجابه الشيخ : هو الروح القدس .

١٣٧ ـ قال الأب بيمن إن أحد الاخوة سأل الأب سمعان قائلاً : إذا غادرت قلايتي ووجدت أخي مشغولاً فانشغلت معه ، وإذا وجدته يضحك فضحكت معه ، لا أشعر لدى عودتي إلى القلاية أن في قلبي راحة . قال له الشيخ : وهل تريد أن تغادر قلايتك فتشغل مع المنشغلين وتضحك مع الضاحكين ثم تعود إليها وتبقى كما كنت قبل أن تغادرها ؟ قال له الأخ : ولكن ماذا ؟ فأجابه الشيخ : صن نفسك في القلاية وخارجها .

١٣٨ ـ قال الأب دانيال : أتينا لزيارة الأب بيمن وتناولنا الطعام معه . وبعد الطعام قال : إذهبوا وخذوا لكم قسطاً من الراحة يا إخوتي . فمضى الاخوة

وفعلوا كما قال لهم . أمّا أنا فبقيت لأكلّمه على انفراد ، ونهضت لأذهب إلى قلايته . فلما رآني أدخل عليه تظاهر بأنه نائم ، لأن عمله كان أن يجاهد في الخفاء .

١٣٩ ـ قال الأب بيمن : إذا رأيت مشاهد وسمعت أنباء مهما كانت ، لا تنقلها لقريبك ، لأن هذا من شأنه أن يثقل الحرب عليه .

١٤٠ ـ وقال أيضاً : للمرة الأولى اهرب . وللمرة الثانية اهرب . لكن في الثالثة كن كالسيف .

١٤١ ـ قال الأب بيمن للأب إسحق : خفّف قليلاً من برّك فترتاح في أيامك القليلة .

١٤٢ ـ زار أخ الأب بيمن ، ولما كان الاخوة جالسين ، امتدح هذا الأخ أحدهم لأنه يمقت الشرير . فقال الأب بيمن للذي تكلم : وما معنى مقت الشرير ؟ فانذهل الأخ ولم يجد ما يجيبه به . فنهض وسجد للشيخ وقال له : قل لي يا أبت ما معنى مقت الشرير ؟ أجابه الشيخ : إن مقت الشرير هو أن يمقت الإنسان خطاياه ويبرّر خطايا قريبه .

١٤٣ ـ زار أخ الأب بيمن وقال له : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : اذهب وادنُ ممن يقول : « ماذا أريد » ؟ فتجد راحة .

١٤٤ ـ حدّثنا الأب يوسف عن الأب إسحق أنه قال : كنت جالساً في أحد الأيام إلى جوار الأب بيمن فرأيته في حالة من الوجد الروحي . ولما كنت أثق به كثيراً ، سجدت له وقلت : أخبرني يا أبت ، أين كنت ؟ فاضطر الشيخ إلى القول : كان فكري عند مريم والدة الإله التي كانت واقفة عند الصليب تبكي . وكم أردت لو أبكي مثلها باستمرار .

١٤٥ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً: ماذا أفعل بالعبء الذي يلازمني؟ أجابه

الشيخ : إن للسفن الصغيرة والكبيرة أحزمة ، حتى إذا لم يكن هناك ريح موافقة ، يجعلون الحبال والأحزمة على صدورهم ، وشيئاً فشيئاً يتمكنون من جذب السفينة ، وهذا يبقى حتى يرسل الله الريح . وإذا علموا أن الظلام قد حلّ ، عندئذ يندفعون ويلقون وتداً لئلا تتحرك .

١٤٦ ـ سأل أخ الأب بيمن عن تأثير الأفكار، فقال له الشيخ: إن هذا يشبه رجلاً يمسك ناراً بيسراه ، ووعاء ماء بيمناه . فإذا أشعل النار ، يأخذ من الماء الذي في الوعاء ويخمدها . فالنار هي زرع العدو . أمّا الماء فهي أن تطرح نفسك أمام الله .

١٤٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ما الأفضل ، الكلام أم الصمت ؟ أجابه الشيخ : إن من يتحدث عن الله فحسناً يفعل ، ومن يصمت حباً بالله يماثله .

١٤٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : وكيف يستطيع المرء أن يهرب من الكلام السيء ضد قريبه ؟ أجابه الشيخ : نحن واخوتنا صورتان ، ففي اللحظة التي ينتبه فيها الإنسان لذاته ، ويلوم نفسه ، يجد أخاه مكرّماً في عينيه ، ولكن عندما يرى نفسه صالحاً ، فإنه يجد أخاه شريراً في عينيه .

١٤٩ ـ سأل أخ الأب بيمن عن التثاقل والفتور ، فقال له الشيخ : التثاقل موجود في كل بداءة ، وليس ثمة هوى أردأ منه . ولكن إذا عرف الإنسان ماهيته يرتاح .

١٥٠ ـ وقال الأب بيمن : رأينا للأب بمفو ثلاثة أعمال جسدية : الصوم حتى المساء كل يوم ، والصمت وعمل اليد الكثير .

١٥١ ـ وقال أيضاً : كان الأب ثيوناس يقول : حتى ولو اكتسب الإنسان فضيلة ، فإن الله لا يقدم له وحده النعمة ، لأنه يعرف أنه لم يكن أميناً في تعبه . ولكن إذا انتقل إلى رفيقه ، عندئذ يبقى بقربه .

١٥٢ ـ قال أخ للأب بيمن : أريد أن أدخل وأعيش في دير فيه حياة شركة . أجابه الشيخ : إذا أردت أن تدخل إلى دير ذي حياة مشتركة ، ولم تكن عديم الهمّ في كل لقاء وفي كل شيء ، يستحيل عليك أن تعمل فيه ، لأنه ليس لك من سلطان على دورق الماء .

١٥٣ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له : إنه مكتوب : « لأني أعرف اثمي وأهتم من أجل خطيئتي » (مزمور ٣٧ : ١٨) .

١٥٤ ـ قال الأب بيمن : لا يجوز للإنسان أن يتذكر الزنى والوقعية وحتى أن يفكر بهما في قلبه ، لأنه إذا أراد أن يميّز بينهما في داخله ، لن ينتفع . لكن إذا تغرّب عنهما يرتاح .

١٥٥ ـ وقال الاخوة للأب بيمن : لنرحل من هذا المكان لأن أديرته تزعجنا فنهلك نفوسنا . والأولاد الذين يبكون لا يدعوننا نهدأ . أجابهم الأب بيمن : وهل تغادرون المكان بسبب أصوات الملائكة ؟

١٥٦ ـ سأل الأب بيتيميوس الأب بيمن قائلاً : إذا حزن أحد بسببي فأظهرت له توبتي لكنه لم يقتنع ، ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : خذ معك اثنين وأظهر توبتك أمامه ، وإذا لم يقتنع خذ خمسة . وإذا لم يقتنع ، خذ معك كاهناً . وإذا لم يقتنع عندئذ صلّ إلى الله بدون انزعاج لكي يرضيه ، أمّا أنت فكن عديم الهمِّ .

١٥٧ ـ وقال الأب بيمن : إن تعليم القريب شبيه بتوبيخه .

١٥٨ ـ وقال أيضاً : لا تشبع مشيئتك ، لكن بالأحرى ذلِّل نفسك لأخيك .

١٥٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : لقد رأيت مكاناً فيه كل راحة للاخوة ، هل تنصحني أن أقيم هناك ؟ أجابه الشيخ : اسكن حيث لا تؤذي أخاك .

١٦٠ ـ وقال الأب بيمن : إن الثلاثة هذه نافعة : مخافة الرب ، والصلاة ،

والإحسان إلى القريب .

١٦١ ـ قال أخ للأب بيمن : إن جسدي قد أضناه المرض ، أمّا أهوائي فلم تمرض . أجابه الشيخ : الأهواء هي القيح الكثير .

١٦٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : عندما يفتقدنا الله بماذا يكون اهتمامنا ؟ قال له الأخ : بخطايانا . قال الشيخ : فلندخل إلى مخادعنا ونتذكر خطايانا ، والرب يعيننا في كل شيء .

١٦٣ ـ بينما كان أحد الاخوة ذاهباً الى السوق ، صادف الأب بيمن فسأله : ماذا تريدني أن أعمل ؟ أجابه الشيخ : كن صديقاً لمن يقسو على نفسه ، فتبيع سلالك بسهولة .

١٦٤ ـ قال الأب بيمن : علّم فمك أن ينطق بمكنونات قلبك .

١٦٥ ـ سئل الأب بيمن عن الدنس فقال : إذا تجاوزنا ما هو عمليّ وثابرنا على الصحو بنشاط لن يكون في داخلنا دنس أو نجاسة .

١٦٦ ـ قال الأب بيمن : منذ المرحلة الثالثة من حياه رهبنة الاسقيط ، ومنذ عصر الأب موسى ، لم يبلغ الاخوة بعد إلى تقدم روحي حقيقي [١] .

١٦٧ ـ وقال أيضاً : إذا قام الإنسان بواجباته لا يضطرب .

١٦٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : كيف أقيم في قلايتي ؟ قال له : للجلوس في القلاية يبدو أنه عليك بعمل اليد والأكل بمفردك والصمت مع الدرس . أمّا النمو الخفي فهو أن تحتمل صغر النفس حيثما كنت ، وألاّ تهمل ساعات الإجتماع وساعات الاختلاء . وإذا حدث أن تأخرت بسبب عمل اليد ، ما أن تدخل الإجتماع عجّل إلى اتمام عملك بدون اضطراب . أمّا ذروة هذه فهي أن تقتني لك رفقة صالحة وتبتعد عن المعاشرة الرديئة .

(١) الأب بيمن ينتمي إلى الجيل الخامس من أجيال الاسقيط.

١٦٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا كان لي على أحد مالٌ ، هل تنصحني أن أطلبه منه ؟ أجابه الشيخ : أطلبه منه مرة واحدة . فقال له الأخ : وماذا أعمل ؟ إني لا أقدر أن أسيطر على أفكاري . أجابه الشيخ : اترك فكرك يجري . ألا يكفي ألاّ تحزن أخاك .

١٧٠ ـ حدث أن زار بعض الآباء بيت إنسان محب للمسيح ، وكان معهم الأب بيمن . ولما كانوا يأكلون ، دفع إليهم لحم ، فأكل الجميع ما عدا الأب بيمن . فتعجب الجميع من موقفه لكونهم يعرفون تمييزه . فلما رفع الطعام ، قالوا له : هل أنت بيمن الذي فعل هكذا ؟ أجابهم الشيخ : سامحوني أيها الآباء ؛ فأنتم أكلتم ولم يعثر أي إنسان . لكن إذا أكلت أنا وحولي جماعة من الرهبان ، لأعثروا وقالوا : وهل يأكل بيمن اللحم ونحن لا نأكل ؟ فتعجبوا من تمييزه .

١٧١ ـ قال الأب بيمن : أقول بأني سوف أطرح حيث يرمى الشيطان .

١٧٢ ـ هو نفسه قال للأب أنوف : « أبعد نظرك عني لئلا ترى الباطل » (مزمور ١١٨ : ٣٧) لأن الحرية تقتل نفوس الكثيرين .

١٧٣ ـ تشاجر مرة الأب باييسيوس مع أخيه حتى جرى الدم من رؤوسهم ، وكان يجلس على مقربة منهما الأب بيمن دون أن يفتح فاه . فدخل الأب أنوف ، ولما رآهما قال للأب بيمن : لماذا تركتهما يتشاجران دون أن تقول لهما كلمة ؟ أجابه الأب بيمن : إنهما أخوان ، وسوف يعيشان بسلام من جديد . فقال له الأب أنوف : ما هذا الذي تقوله ؟ رأيتهما يتشاجران ، وتقول أنهما سيعيشان بسلام من جديد ؟ قال له الأب بيمن : افترض أني لم أكن هنا .

١٧٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ثمة إخوة يقيمون معي ، هل تنصحني أن أعطيهم أوامر ؟ أجابه الشيخ : كلا ، لكن في البدء قم بعملك ، وإذا رغبوا أن يعيشوا ، سوف يهتمون بأنفسهم . قال له الأخ : إنهم يرغبون يا أبت في

أنْ تأمرهم . أجابه الشيخ : لا ، بل كن قدوة في كل شيء وليس مشرّعاً .

١٧٥ ـ قال الأب بيمن : إذا زارك أخ ، ورأيت أنك لم تنتفع بدخوله ، فتش في فكرك واعلم ماذا كان الفكر الذي كان عندك قبل دخوله ، عندئذ تدرك سبب عدم انتفاعك . وإذا فعلت هذا بتواضع وتعقل ، ستكون وإياه بسلام ، كونك تحتمل عيوبه . لأن الإنسان إذا وشّح سيرته الرهبانية بالورع والتقوى لا يسقط ، فالله أمامه . وأرى أن الإنسان سوف يجني من هذه السيرة مخافة الله .

١٧٦ ـ وقال أيضاً : من يساكن ولداً ويسلك نحوه بهوى من أهواء الإنسان القديم ، ويستمرّ على تمسكه به ، يشبه انساناً عنده حقل تلتهمه الديدان والحشرات .

١٧٧ ـ وقال ايضاً : الشر لا يبطل الشر ابداً . إنما إذا أساء اليك أحد ، احسن اليه ، لأنك بذلك تضحد الشر .

١٧٨ ـ وقال أيضاً : إن داود لما عارك الأسد ، أمسك به من رقبته وللحال قتله . ونحن أيضاً ، إذا أمسكنا بحلقنا وبطننا نغلب ، بالله ، الأسد غير المنظور .

١٧٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل عندما يأتيني الضيق فأضطرب ؟ أجابه الشيخ : العنف من شأنه أن يجعل الصغار والكبار يضطربون .

١٨٠ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه أقام مع أخوين له في الاسقيط ، وكان الأصغر فيهما يزعجهما . فقال الأب بيمن للأخ الآخر : إن هذا الصغير يقلقنا . هلمّ نرحل من هنا . فخرجا وتركاه . فلما رأى أنهما قد تأخرا ، ولاحظ أنهما يبتعدان ، انطلق في أثرهما وهو يصرخ . فقال الأب بيمن : فلننتظر أخانا لأنه قد تعب . فلما دنا منهما سجد لهما وقال : هل تذهبان وتتركانني لوحدي ؟ أجابه الشيخ : لقد عزمنا على الرحيل لأنك تزعجنا . فقال لهما : نعم ، نعم ، فلنذهب إلى حيث تريدان . فلما رأى الشيخ طيبته وبراءته قال لأخيه : لنعد يا

أخي ، لأن أخانا هذا لا يفعل هذا برضاه ، بل الشيطان يرغمه على ذلك . فقفل الجميع عائدين .

١٨١ ـ سأل رئيس دير الأب بيمن قائلاً : كيف أقدر أن أقتني مخافة الله ؟ أجابه الأب : كيف نقتني مخافة الله وفي ديرنا براميل من الجبن وصناديق ملآنة بالأطعمة المملّحة ؟

١٨٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : يا أبت ، كان هناك إنسانان ، الواحد راهب والثاني من أهل العالم . ففكر الراهب عند المساء في أن يرمي بإسكيمه في الصباح ، أمّا الذي من أهل العالم ففكر في أن يصبح راهباً . لكن ، في تلك الليلة مات الإثنان . ترى ما هو حساب كل منهما ؟ أجابه الشيخ : الراهب مات وهو راهب ، والثاني مات وهو من أهل العالم . إذاً الإثنان ماتا بالصفة التي كانا عليها .

١٨٣ ـ قال الأب يوحنا : نزلنا مرة من سوريا لزيارة الأب بيمن وأردنا أن نسأله عن قساوة القلب ، ولم يكن الشيخ يعرف اليونانية ولم يكن المترجم بيننا آنذاك . فلما رآنا مضطربين طفق يتكلم معنا باليونانية ويقول : إن طبيعة الماء ناعمة أمّا طبيعة الحجر فقاسية . فالماء إذا نزل على الصخرة قطرة قطرة يثقبها . هكذا فكلمة الله ناعمة ، وقلبنا قاس . والإنسان إذا سمع كلمة الله باستمرار ، ينفتح قلبه على مخافة الله[1] .

١٨٤ ـ زار الأب إسحق الأب بيمن ، فلما رآه يسكب قليلاً من الماء على قدميه ، قال له بالدالّة التي له عليه : كيف أن البعض مارسوا قساوة كبيرة وقد قسوا على أجسادهم ؟ أجابه الأب بيمن : نحن لم نتعلم أن نكون قاتلي أجساد ، بل قاتلي أهواء .

---

(١) من جهة التكلم باليونانية ، من الواضح أن الأب كان يعرفها ، لكنه كان يستخدم القبطية عادة .

١٨٥ ـ وقال أيضاً : ثلاثة لا أقدر أن أقلع عنها : الطعام ، واللباس ، والنوم . ولكن نقدر أن نتخلى عنها أحياناً .

١٨٦ ـ قال أخ للأب بيمن : أتناول الكثير من الخضار . قال له الأب : هذا لا يوافقك ، فكُلْ خبزك مع قليل من الخضار فقط . ولا تذهب إلى بيت أبيك من أجل حاجتك .

١٨٧ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه لما كان يجالس الآباء ويدور الحديث على شيوخ غائبين ويذكر اسم الأب سيسوى ، كان يقول : اتركوا سيسوى وشأنه لأن أموره لم يصل أحد إلى قامة الحديث عنها .

الأب بمفو

١ ـ كان هناك أب يدعى بمفو قيل عنه إنه بقي ثلاث سنوات يتضرع إلى الله ويقول : لا تمجّدني على الأرض . إلاّ أن الله مجّده كثيراً حتى أن الناس ما عادوا يقدرون أن يحدقوا في وجهه من شدة المجد الذي كان يسطع منه .

٢ ـ جاء بعض الاخوة إلى الأب بمفو وسأله أحدهم قائلاً : يا أبت ، إني أصوم يومين يومين وآكل خبزتين . ترى هل أنا أهلك نفسي أم أخلّصها ؟ وقال له آخر : يا أبت ، وأنا أنفق من عمل يدي قيراطين في اليوم واحتفظ بالقليل للطعام ، والباقي أتصدق به . تُرى هل أهلك أم أخلص ؟ وبالرغم من توسلهما إليه ، لم يجبهما بكلمة . لكن بعد أربعة أيام ، كان يجب أن يرحلا ، فكان الكهنة يعزّونهما قائلين : لا تحزنا أيها الأخوان لأن الله سيعطيكما أجراً . هكذا كانت عادة الشيخ أن لا يتكلم بسهولة حتى ولو كشف الله له الأمر . فدخلا على الشيخ وقالا له : يا أبانا ، صلّ من أجلنا . فقال لهما : هل ستذهبان ؟ قالا : نعم . فأخذ على عاتقه أعمالهما ، وكتب على الأرض : إن بمفو يصوم يومين يومين ويأكل خبزتين ، تُرى هل يصير بهذا راهباً ؟ لا . ثم إن بمفو يعمل بقيراطين ، ويتصدق بها . ترى هل يصير بهذا راهباً ؟ بالطبع لا . فقال لهما : حسنة هي الأعمال ، لكن إذا حفظتما ضميركما نقياً تجاه القريب ، تخلصان . فذهبا فرحين ، لأنهما اكتفيا بما قيل .

٣ ـ زار أربعة من الاسقيطيين الأب بمفو الكبير وهم يلبسون الجلد . فذكر كل واحد فضيلة رفيقه . الأول يصوم كثيراً والثاني عديم القنية والثالث كثير المحبة وقالوا عن الرابع إنه يعيش تحت طاعة أحد الشيوخ منذ ٢٢ سنة . فقال لهم الأب بمفو : أقول لكم إن فضيلة الأخير هي الأعظم ، لأن كل واحد منكم قد

احتفظ بالفضيلة التي اقتناها بإرادته . أمّا هذا فتخلّى عن إرادته الخاصة وتمسك بإرادة آخر . هؤلاء الرجال ، إذا ظلوا هكذا حتى النهاية ، هم مثل المعترفين .

٤ ـ توسّل الطيّب الذكر أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية إلى الأب بمفو أن ينزل إليه إلى الإسكندرية ، فنزل ورأى هناك ممثّلة ، فغصّت عيناه بالدموع . فاستعلم مرافقوه قائلين : لماذا بكيت يا أبانا ؟ قال لهم : تأثرت لأمرين : الأول هو ضياع هذه المرأة ، والثاني أنني لا أملك الحماس والغيرة الكافية لأرضي الله كما ترضي هذه المرأة الناس .

٥ ـ قال الأب بمفو : الشكر لله أنني منذ أن رفضت العالم ، لم أندم على كلمة تلفظت بها .

٦ ـ وقال أيضاً : الراهب يجب أن يرتدي لباساً بحيث إذا رُمي خارج القلاية ثلاثة أيام ، لا يلتقطه أحد .

٧ ـ حدث مرة أن كان الأب بمفو يمشي مع بعض الاخوة في نواحي مصر ، رأى أناساً من أهل العالم يجلسون وقال لهم : انهضوا وقبّلوا الرهبان لكي تتباركوا . فهؤلاء يتكلمون مع الله على الدوام وأفواههم طاهرة .

٨ ـ قالوا عن الأب بمفو إنه لمّا أوشك أن ينتقل من هذا العالم ، قال للحاضرين معه من الرجال القديسين : منذ أن أتيت إلى هذا المكان وبنيت قلايتي فيه ، لا أذكر أني أكلت خبزاً لم أصنعه أنا . ولم أندم إلى الآن على كلمة تلفظت بها . وها أنا الآن ذاهب إليه ، وكأني لم أبدأ تعبّدي له بعد .

٩ ـ وكان بهذه يمتاز على كثيرين ، وعندما كان يسأله أحد عن كلمة روحية أو كتابية لم يكن يجيب على الفور ، بل كان يقول إنه لا يعرف هذا ، وأحياناً ، كان لا يتكلم البتة .

١٠ ـ قال الأب بمفو : إذا كان لك قلب يمكنك أن تخلص .

١١ ـ سأل كاهن من النطرون الأب بمفو : كيف يمكن للاخوة أن يسلكوا ؟ قال

له : بنسك كبير وهم يحفظون ضميرهم طاهراً نقياً تجاه القريب .

١٢ ـ قالوا عن الأب بمفو إنه كما أن موسى أخذ صورة مجد آدم عندما تمجّد وجهه ، هكذا تماماً كان وجه بمفو يلمع . كان كالملك على عرشه . وكان الأب سلوان وسيسوى يماثلانه في القامة .

١٣ ـ قالوا عن الأب بمفو إن وجهه لم يضحك البتة . وأرادت مرة الشياطين أن تجعله يضحك ، فربطت طيراً إلى خشبة كانت تمسكه بها . وكانت تحدث أمامه من الجلبة والضوضاء ما يثير الضحك فعلاً . فلما رأى الأب بمفو هذا ، شرع يضحك ، فتهلّل الشياطين طرباً وابتهاجاً . فقال لهم : لم أكن أضحك بل كنت أهزأ من ضعفكم كونكم جميعاً تمسكون طيراً واحداً .

١٤ ـ توسل الأب ثيوذورس الفرمي إلى الأب بمفو قائلاً : قل لي كلمة . وبعد جهد كبير قال له : يا ثيوذورس ، اذهب وكن رحيماً نحو الجميع ، لأن الرحمة قد وجدت حظوة في عيني الرب .

الأب بيستوس

١ ـ حدّثنا الأب بيستوس ، وقال : ذهبنا سبعة متوحدين إلى الأب سيسوى الذي كان يقيم في كليزما ورجونا منه باستعطاف أن يقول لنا كلمة ، فقال : سامحوني يا إخوتي ، أنا إنسان عاميّ ، إلاّ أني ذهبت مرة لزيارة الأب أور والأب آثري ، وكان الأب أور مريضاً منذ مدة . ولمّا دخلت عليهما سجدت وطلبت أن يقولا لي كلمة ، فقال الأب أور : ماذا أقول لك ؟ اذهب واعمل بما تراه . فالله هو للذين يجاهدون ويقسون على أنفسهم في كل شيء . لم يكن أور وآثري من مكان واحد ، لكن المحبة بينهما كانت عظيمة جداً ، لأن طاعة الأب آثري كانت كبيرة ، وتواضع الأب أور كان كثيراً . فأقمت عندهما أياماً أتبع سلوكهما ، فلاحظت معجزة كبيرة اجترحها الأب آثري . إذ إن إنساناً قدّم إليهما مرة سمكة صغيرة ، فأراد الأب آثري أن يشويها للشيخ أور ، وكان يحمل بيده سكيناً يقطعها به . فناداه الأب أور فترك السكين في أحشاء السمكة ولبّى النداء ، دون أن يقول له انتظر حتى أنتهي من قطعها . . . فتعجبت لطاعته وقلت : من أين لك هذه الطاعة يا أبت ؟ أجابني : ليست هي لي ، بل للأب أور . ثم أخذني وقال : تعال لترى قامته في الطاعة . فشوى السمكة وأتلفها عمداً ، ثم دفعها إلى الشيخ ليأكل ، فأكل الشيخ أور دون أن يقول كلمة . فقال له : كيف مذاقها يا أبت ؟ قال الأب أور : إنها شهيّة للغاية . بعد ذلك دفع له جزءاً آخر كان قد أعدّه بشكل جيّد وقال : خذ من هذه يا أبت . فتناولها . فقلت له : هذا أتلفته قليلاً يا أبت . قال : نعم ، لقد أتلفته قليلاً . ثم قال لي الأب آثري : هل رأيت كيف أن طاعتي هي طاعته ؟ فخرجت من عندهما وتمّمت كل ما رأيته محاولاً حفظه قدر الإمكان . هذه الكلمات قالها الأب سيسوى للإخوة . فرجا منه أحدنا قائلاً : أحسن

إلينا وقل كلمة. قال : إن من كان عديم الهمّ بمعرفته ، يحفظ الكتاب المقدس كلّه ويطبّقه. فسأله آخر: ما هي الغربة يا أبت؟ أجاب: أصمت وقل: لا أملك شيئاً، لا أملك شيئاً. هذا ردّده حيثما ذهبت وأينما كنت. هذه هي الغربة.

الأب بيور

١ ـ عمل المغبوط بيور عند أحد المزارعين وقت الحصاد ، ثم ذكّره أن يدفع له أجرته ، فأرجأ الدفع ، فعاد إلى ديره . ولما جاء وقت الحصاد الثاني ، عاد وعمل لديه من جديد ، وبكل نشاط ، فلم يدفع له ذاك شيئاً ، فعاد إلى ديره . وفي تمام السنة الثالثة ، قام الشيخ بالعمل نفسه ، فعاد أيضاً إلى ديره كما فعل سابقاً دون أن يتقاضى أجره . وبما أن الرب عاقب ذلك البيت ، حمل ذلك المزارع الأجرة إلى الأديرة وأخذ يطوف من دير إلى دير طالباً القديس . فلما وجده ، خرّ على قدميه وأعطاه حقه قائلاً : الرب أعطاني إياها . فأذن له أن يقدمها إلى الكنيسة بواسطة الكاهن .

٢ ـ كان الأب بيور يأكل وهو يمشي . فسأله أحد الإخوة : ولماذا تأكل هكذا يا أبت ؟ قال : لا أريد أن يكون الطعام مهنة ، إنما عمل ثانوي . ثم سأل الأخ راهباً آخر عن الأمر نفسه ، فقال له : لئلا تشعر نفسي باللذة الجسدية في الطعام .

٣ ـ صار في الاسقيط اجتماع بسبب أخ قد خطىء ، فتكلم الآباء ، أمّا الأب بيور فلبث صامتاً . ثم نهض وخرج يحمل على كتفه كيساً مملوءاً رملاً ، ووضع قليلاً من الرمل في سلة وحملها أمامه . فلما سأله الأنبياء عن سبب عمله هذا ، قال : إن هذا الكيس المليء بالرمال ، هو خطاياي أنا ، وهي كثيرة العدد ، وقد تركتها ورائي لئلا أتألم بسببها فأبكي. أمّا خطيئة أخي فهي أمامي، وبها

انشغل إذ أدينه . وبالطبع لا يليق أن أفعل هكذا ، إنما يجب بالأحرى أن أضع خطاياي نصب عيني وأهتمّ بها متضرعاً إلى الله أن يسامحني.[1] فنهض الآباء وقالوا: في الحقيقة إن هذه هي سبيل الخلاص.

الأب بيتيريون

١ ـ قال الأب بيتيريون تلميذ الأب أنطونيوس : من أراد أن يطرد الشياطين ، عليه أن يخضع الأهواء أولاً ، لأننا إذا تغلبنا على الأهواء نقدر أن نطرد الشياطين . ثم أردف قائلاً : فالشيطان يتبع الغضب . وإذا ضبط الغضب ، يطرد شيطانه . والشيء نفسه يقال عن كل هوى .

الأب بيستامون

١ ـ سأل أخ الأب بيستامون قائلاً : ماذا أعمل إذا انزعجت وأنا أبيع عمل يدي ؟ أجابه الشيخ : والأب سيسوى أيضاً وسواه من الآباء كانوا يبيعون عمل أيديهم . إن هذا لا يؤذي بذاته . ولكن عندما تبيع ، قل ثمن السلال مرة واحدة فقط . وإذا رغبت في تخفيض الثمن قليلاً ، فهذا متروك لك . بهذا تجد راحة . فقال له الأخ ثانية : إذا كانت حاجاتي مؤمّنة لي ، هل تنصحني أن أهتم بعمل اليد ؟ أجابه الشيخ : مهما كان لديك ، لا تتخلى عن عمل اليد . فقط اعمل ما في وسعك ، لكن دونما اضطراب .

---

(١) بالطبع إن هذه صورة رمزية وضعها أيسويوس إذ قال: «إن كل إنسان يحمل كيسين، الواحد من الخلف والآخر من الأمام» .

الأب بطرس البيونيتي

١ ـ قالوا عن الأب بطرس البيونيتي في القلالي إنه لا يشرب خمراً . فلما شاخ دفع إليه الاخوة شراباً ممزوجاً بخمر ورجوا منه أن يقبله ، فقال لهم : صدقوني يا اخوتي أنني أعتبره خمراً حلواً . ثم سمح لنفسه أن يشرب الشراب الممزوج بالخمر .

٢ ـ قال أخ للأب بطرس تلميذ الأب لوط: عندما أكون في قلايتي، تكون نفسي في سلام. ولكن عندما يعودني أحد الاخوة ويسمعني كلاماً من الخارج ، فإن نفسي للحال تضطرب. فقال له الأب بطرس: قال الأب لوط «إن مفتاحك يفتح بابي». فقال الأخ للشيخ: وما معنى هذا الكلام يا أبت؟ أجابه الشيخ: إذا زارك أحد تقول له: كيف حالك؟ من أين أتيت ؟ وكيف حال الاخوة؟ ثم تفتح باب الأخ فتسمع ما تريد. قال له : إذن ، الأمر هو هكذا ! ترى ما العمل إذا زارنا أحد الاخوة؟ أجابه الشيخ: النوح كله تعليم . وحيثما يغيب ، لا يمكن للمرء أن يتيقظ. قال الأخ: أنا لا أجد النوح لا في القلاية ولا خارجها . قال له الشيخ: لم يخضع لك بعد، إنما ما يزال نافعاً للاستعمال ، لأنه كتب في الناموس «إذا ابتعت عبداً عبرانياً ، فإنه سيخدمك ست سنوات وفي السابعة تطلقه. وإذا أعطيته امرأة، وصار له أولاد في بيتك، فمن أجل المرأة والأولاد لا يرغب في الرحيل عنك، فتقوده إلى باب البيت وتثقب أذنه فيكون لك عبداً إلى الأبد». قال الأخ: وما معنى هذا الكلام يا أبت؟ قال الشيخ: إذا تعب الإنسان في شيء حسب طاقته، فإنه عندما يحتاج إليه، يجده. قال له: اعمل لي معروفاً وفسرّ هذا القول. أجابه الشيخ: حتى الابن غير الشرعي لا يكون عبداً لأحد، أما من هو ابن حقيقي، فلا يترك أباه.

٣ ـ قالوا عن الأب بطرس والأب أبيماخوس إنهما كانا رفيقين في رايثو . ولمّا كان الاخوة يأكلون في الكنيسة ، أرغموهما على الجلوس إلى مائدة الشيوخ . وبصعوبة كبيرة ذهب الأب بطرس بمفرده . ولمّا انتهوا من الطعام ، قال له الأب أبيماخوس : قل لي : كيف تجاسرت على الذهاب إلى مائدة الشيوخ ؟ أجابه الأب بطرس : إذا جلست معكم ، فإن الإخوة سيطلبون مني بإلحاح أن أبارك الطعام ، فأصير أولاً بينكم . لكن عندما انتقلت إلى مائدة الشيوخ (الآباء) ، أصبحت أصغر الجميع ، وفي الفكر أكثر تواضعاً .

٤ ـ قال الأب بطرس : لا ينبغي أن نتكبر عندما يجري الرب أمراً على أيدينا . بل ينبغي بالأحرى أن نشكره لأنه أهّلنا أن ننجذب إليه . ثم أردف قائلاً : وفي كل فضيلة أيضاً ، يليق بنا التفكير هكذا .

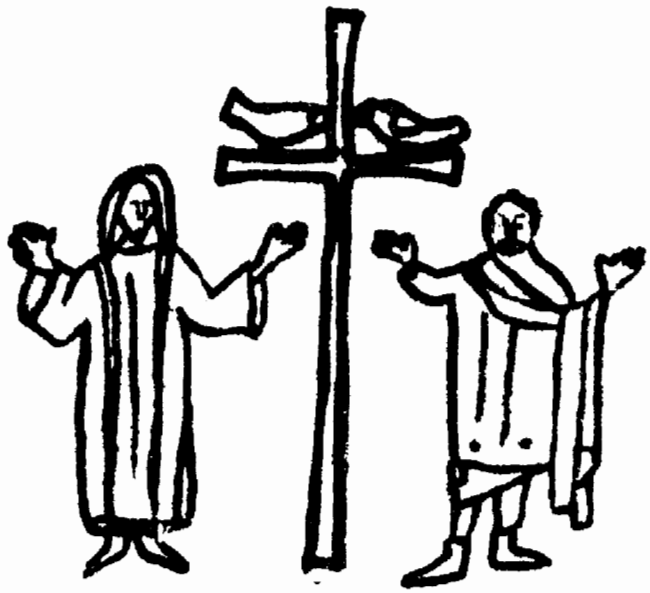

الأب بفنوتيوس

١ـ قال الأب بفنوتيوس : لمّا كنت أمشي في الطريق ، ضللت بسبب الضباب ، فوجدت نفسي أمام إحدى القرى . وهناك رأيت البعض يتحدثون ، فوقفت أصلّي من أجل خطاياي . فجاء ملاك يحمل سيفاً وقال لي : يا بفنوتيوس ، إن الذين يدينون إخوتهم يهلكون بحد هذا السيف . أمّا أنت ، فكونك لا تدين أحداً بل تتضع أمام الله وكأنك أنت الذي يرتكب الخطيئة ، فإن اسمك قد كتب في سفر الأحياء .

٢ ـ قالوا عن الأب بفنوتيوس إنه لم يكن يشرب الخمر بسهولة . وحدث مرة أنه بينما كان يمشي ، وجد نفسه وسط زمرة من اللصوص كانوا يحتسون الخمر . فعرفه رئيسهم وعرف أنه لا يتعاطى الخمر . فلمّا رأه يمشي وقد أضناه التعب ، صبّ له كأساً وحمل سيفه بيده وقال للشيخ : إذا لم تشرب أقتلك . فأيقن الشيخ أن يعمل بوصية الله ، وإذ أراد أن يربحه ، تناول الكأس وشربه . للحال ندم رئيس اللصوص وقال : سامحني يا أبت لأني أحزنتك . أجابه الشيخ : أؤمن بالله ، إنه بسبب هذا الكأس ، سيجري معك رحمته في هذا الدهر وفي الآتي . فقال رئيس اللصوص : أؤمن بالله وأعلن أني من الآن لن أسيء لأحد . فربح الشيخ العصابة كلها للمسيح كونه أهمل مشيئته الذاتية حباً بالرب .

٣ ـ قال الأب بيمن عن الأب بفنوتيوس : في كل الأيام التي عاشها الشيوخ ، كنت أتردد عليهم مرتين في الشهر. ولمّا ابتعدت عنهم مسافة اثنتي عشر ميلاً، كنت

أكشف لهم كل فكر من أفكاري ، فلم يكونوا يقولون لي سوى هذا : « حيثما ذهبت ، لا تقم لنفسك وزناً ، فترتاح » .

٤ ـ كان مع الأب بفنوتيوس في الاسقيط أخ حورب بالزنى ، فقال : ولو أني تزوجت عشر نساء ، لا أشبع شهوتي . فتوسل إليه الأب بفنوتيوس قائلاً : لا يا ولدي ، هذا الكلام هو بسبب حرب الشياطين . فلم يقتنع إنما مضى إلى مصر وتزوج . وبعد زمان ، حدث أن نزل الشيخ إلى مصر فصادفه يحمل سلة فيها صدف ، فلم يعرفه ، لكن ذاك قال له : أنا تلميذك فلان يا أبت . فلمّا رآه الشيخ في تلك الحالة ، بكى وقال : كيف تركت ذاك الشرف وأتيت إلى هذا الهوان ؟ على كل حال ، هل اقترنت بعشر نساء كما قد ذكرت لي ؟ فتنهد الأخ وقال : بالطبع لقد تزوجت واحدة ، لكني أشقى كثيراً في سبيلها ولا أعرف كيف أشبعها خبزاً . قال له الشيخ : هلاّ تعود إلينا من جديد ؟ أجابه الأخ : وهل من توبة يا أبت ؟ قال الشيخ : نعم . للحال ترك كل شيء وتبعه . ولمّا جاء إلى الاسقيط ، صار بخبرته مبتدئاً في الرهبنة .

٥ ـ كان أخ يقيم في برية طيبة ، فجاءه فكر يقول له : وكيف تقيم هنا بدون ثمر ؟ إنهض واذهب إلى دير فيه حياة مشتركة ، فيكون لك فيه ثمر . فقام وجاء إلى الأب بفنوتيوس وأطلعه على أفكاره . فقال له الشيخ : إذهب وأقم في قلايتك واتلو صلاتك صبحاً وعشية وفي منتصف الليل . وعندما تجوع ، كلْ . وكلما عطشت ، إشرب . وإذا تعبت أو نعست ، إذهب إلى النوم مقيماً في أرض مقفرة ولاتقتنع بما أوحى لك به فكرك . فجاء إلى الأب يوحنا وأخبره بما قاله له الأب بفنوتيوس ، فقال له الأب يوحنا : لا تتلو أبداً صلاة مشتركة ، فقط لازم قلايتك . فقام ومضى إلى الأب أرسانيوس وأطلعه على كل شيء ، فقال له : اعمل بما قاله الآباء ، لأنني لا أقدر أن أضيف شيئاً إلى كلامهم . فمضى راضياً مسروراً .

الأب بولس

١ ـ حدّثنا أحد الآباء عن الأب بولس أنه كان من نواحي مصر السفلى وكان يقيم في طيبة ، وكان بيديه يمسك الأفاعي ويشطرها إلى شطرين . فصنع له الإخوة سجدة وقالوا : قل لنا ، أي عمل فعلت حتى نلت هذه النعمة ؟ قال لهم : سامحوني يا آبائي ، الإنسان إذا ما اقتنى الطهارة ، فإن كل شيء يخضع له ويطيعه ، كحال آدم عندما كان في الفردوس قبل أن يعصى الوصية .

الأب بولس الكوزميتي

١ ـ كان الأب بولس الكوزميتي وأخوه تيموثاوس يقيمان في الاسقيط ، وكان كثيراً ما يحصل بينهما خلاف ، فقال الأب بولس : إلى متى سنبقى هكذا ؟ قال له الأب تيموثاوس : أحسِن إليّ واحتملني عندما أثور عليك . وأنت عندما تثور عليّ ، سأحتملك بدوري أنا أيضاً . فلما فعلا هكذا ، ارتاحا إلى نهاية حياتهما .

٢ ـ كان الأب بولس الكوزميتي وأخوه تيموثاوس المقيمان في الاسقيط ، ينزعجان من الإخوة . فقال تيموثاوس لأخيه : وما حاجتنا إلى هذا الفن ؟ إننا لا نقدر أن نهدأ طول النهار . أجابه الأب بولس وقال : يكفينا هدوء الليل إذا كان ذهننا صاحياً .

الأب بولس الكبير

١ ـ قال الأب بولس الكبير الذي من غلاطية : إن الراهب الذي له حاجات قليلة في قلايته ، متى خرج للإهتمام بها ، فإن الشياطين كلها ترزأ به ، وأنا نفسي تألمت من هذا .

٢ ـ قال الأب بولس : في الضوضاء أكون غرقاً حتى عنقي ، فأبكي أمام الله قائلاً : « إرحمني » .

٣ ـ قالوا عن الأب بولس إنه أمضى الصوم الأربعين المقدس في خابية العدس وفي جرن الماء وفي سلة يحيكها ويفكّها مغلقاً على نفسه حتى يوم العيد .

الأب بولس البسيط

١ ـ الأب المغبوط بولس البسيط تلميذ الأب أنطونيوس ، قصّ على الآباء أمراً كهذا : عندما وصل مرة في زيارة إلى الدير من أجل منفعة الإخوة وتفقّدهم والوقوف على أحوالهم ، حدث أنه بعد الحديث معهم ، دخل إلى الكنيسة للإشتراك في الخدمة المألوفة ، وكان ينتبه إلى الداخلين والخارجين فرداً فرداً ليرى بأي نفس يدخلون إلى الكنيسة . لأنه كانت له مثل هذه الموهبة من الله ، إذ كان يعرف نفس كل واحد بمجرد النظر إليه ، تماماً كما ننظر نحن إلى وجوه بعضنا البعض . وكان الجميع يدخلون ووجوههم تطفح بالإشراق ، وكان ملاك كل واحد يفرح لذلك . ثم فجأة رأى واحداً أسود الوجه قاتمه وكأن جسده قد أظلم ، ورأى الشياطين عن جانبيه يمسكون به ويجرونه إليهم جاعلين في أنفه رشمة ، أمّا ملاكه فكان يتبعه من بعيد معبّساً ومتجهّماً . فبكى بولس وضرب صدره بيده وجلس في المقعد الأمامي من الكنيسة وهو يبكي بشدّة من أجل ذلك الأخ . فلاحظ الإخوة الأمر الغريب الذي كان يقلقه ، وتلمّسوا التغيرّ الحاد الذي دفعه إلى البكاء والنوح ، فسألوه متوسلين أن يقول لهم لماذا يبكي ظانين أنه كان يفعل هكذا لدينونتهم فرجوا منه أن يدخل معهم إلى الإجتماع أمّا هو فتحاشاهم وجلس خارجاً يبكي بشدّة من أجل الأخ الذي رآه . وبعد قليل وعندما انفضّ الإجتماع ، خرج الجميع ، فعاد بولس يراقب كل واحد من الخارجين مريداً أن يعرف كيف يغادر كل منهم الكنيسة . فرأى ذلك الأخ الذي كان قبل قليل أسود الهيئة متجهماً وقد صار لامع الوجه أبيض الجسد ، والشياطين تتبعه من بعيد بينما كان ملاكه الحارس يمشي بقربه مسروراً

به. فانتصب بولس فرحاً وصرخ وهو يبارك الله: ما أعظم إحسان الله وصلاحه! فأسرع وصعد إلى مكان مرتفع وأخذ يصرخ بأعلى صوته ويقول: تعالوا وانظروا أعمال الله العجيبة التي تستحق كل ذهول (مزمور ٤٥: ٩). أنظروا من يريد الكل أن يخلصوا وإلى معرفة الحق يقبلوا (١ تيمو ٢: ٤). هلمّوا لنسجد ونركع له (مزمور ٩٤: ٦) ونقول: أنت وحدك القادر أن تغفر الخطايا. فتراكض الجميع بحماس وأرادوا الإستماع إلى كلامه. ولمّا اجتمعوا، سرد عليهم الأب بولس ما تراءى له قبل دخوله إلى الكنيسة وبعده، وطلب من ذلك الرجل (أي الأخ) أن يطلعهم على السبب، الذي لأجله منحه الله فجأة تغييراً كهذا. فلما انكشف أمر الرجل على يد بولس، نطق بمكنونات صدره دونما تردد وقال: أنا إنسان خاطىء كنت أعاشر العاهرات منذ زمن بعيد وحتى اليوم. ولكن لمّا دخلت إلى الكنيسة سمعت سِفر النبي أشعياء يُتلى وبالأحرى كان الله يتكلم فيه «إستحموا وصيروا أنقياء واطرحوا الشر من قلوبكم ومن أمام عيني. تعلموا الإحسان. إنه لو كانت خطاياكم كالقرمز تبيّض كالثلج. . . . إن شئتم وسمعتم، فإنكم تأكلون طيبات الأرض» (أشعياء ١: ١٦ ـ ١٩). أمّا أنا الزاني، فتأثرت لكلمات النبي وتنهدت في قلبي وقلت لله: «أنت هو الله الذي أتيت إلى العالم لتخلص الخطأة كما وعدت الآن بنبيك. هذا حققّه فيّ أنا الخاطىء وغير المستحق. وفي الحقيقة أقسم وأتعهد وأعترف لك من كل قلبي إنني من تلك اللحظة لن أفعل الشرور، إنما سأطرح كل ضلال وأخدمك بضمير طاهر. ثم قال إنه بهذه الوعود التي قطعها مع الله، غادر الكنيسة مصمماً في قلبه أن لا يفعل بعد أي شر أمام الله. فلما سمع الجميع هذا، صرخوا بصوت واحد إلى الله: «ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت» (مزمور ١٠٣: ٢٤). فاعلموا يا أيها المسيحيون، من الكتب والإعلانات الإلهية صلاح الله للذين يهرعون إليه بصدق فيصلحون بالتوبة سيرتهم السابقة، وإن الله يهب الخيرات الموعود بها بدون أن يعاقب على الخطايا السالفة، فلا نيأس من خلاصنا لأنه كما وعدنا بنبّيه أشعياء أنه سيطهر خطايانا القاتمة ويجعلنا بيض كالثلج، فنؤهل لخيرات اورشليم السماوية. هكذا أيضاً بنبيه القديس حزقيال يدعونا ويقسم أنه لن يهلك أحداً منا: «أنا حي يقول الرب، لأني لست أشاء موت الخاطىء إلى أن يعود ويحيا» (حزقيال ١٨: ٣٢ و٣٣: ١١).

الأب بطرس الذي من ذيوس

١ ـ كان بطرس كاهن ذيوس يصلّي كثيراً مع الآخرين لأنه أجبر بسبب كهنوته أن يتقدم الجميع . فكان بتواضع كبير يضع نفسه وراء الجميع معترفاً كما هو مكتوب في سيرة القديس أنطونيوس . وكان يفعل ذلك دون أن يحزن أحداً .

الأب روماوس

١ ـ جاء مرة راهب اسمه روماوس كان يقيم في الاسقيط ، إلى مكان قريب من الكنيسة . وكان عنده خادم كان يقوم بخدمته . فلمّا رأى الكاهن مرضه وعرف من أي تنعم هو وما كان يدبره حتى يصل إلى الكنيسة ، أرسل يطلبه . وكان قد أمضى في الاسقيط ٢٥ سنة ، وطبقت شهرته الآفاق . فلما سمع به أحد المصريين الكبار ، جاء ليراه راجياً أن يجد عنده نسكاً جسدياً أقسى . فلمّا دخل عليه ، عانقه ، وبعد الصلاة جلس الجميع . فرآه المصري يلبس لباساً ناعماً ويفترش بساطاً وجلوداً ووسادة صغيرة ورجلاه نظيفتان . فلما رأى كل هذا ، أعثر ، إذ لم يكن تصرّف كهذا لائقاً في مثل هذا المكان حيث طريقة العيش قاسية . أمّا الشيخ الذي كان صاحب تبصر روحي فقد فهم أن المصري قد

أعثر ، فقال لخادمه : فلنعيّد من أجل الأب الضيف هذا النهار . وكان هناك شيء من الخضار فطبخها وفي الوقت المحدد قام الجميع إلى الطعام وأكلوا . وكان عند الشيخ قليل من الخمر بسبب مرضه ، فدفع بها إلى المائدة . ولما هبط الظلام ، قرأوا المزامير الاثني عشر وذهبوا إلى النوم . وفي الليل فعلوا الشيء نفسه وأقاموا صلاة صغيرة . وعند الصباح ، لمّا استيقظ المصري قال له : صلّ لأجلي ومضى دون أن ينتفع . ولمّا ابتعد قليلاً ، أراد الشيخ أن يفيده قليلاً ، فأرسل يدعوه . فلمّا دخل ، استقبله بفرح وسأله : من أي بلد أنت ؟ قال : أنا لست من سكان المدن . قال له : وأين كنت تنام ؟ أجابه : في الحقل . فقال : هل كان تحتك فراش لما كنت تذهب للنوم ؟ قال : نعم كنت افترش قبل أن أستلقي . ثم قال له : وماذا كان طعامك في الحقل ؟ وأي نوع من الخمر كنت تحتسي؟ أجابه : وهل في الحقل طعام أو خمرة ؟ أجابه : إذاً كيف كنت تعيش ؟ قال له : كنت آكل خبزاً جافاً ، وإذا توفر لي شيء من الطعام المملّح مع قليل من الماء . أجابه الشيخ : عمل عظيم . ولكن هل ثمة حمّام في القرية لتستحم ؟ أجابه : كلا ـ لكننا نستحم في النهر عندما نريد . فلما أتى الشيخ على كل هذه التفاصيل ، وعلم صعوبة سيرته السابقة ، أراد أن يفيده ، فسرد عليه سلوك سيرته في حياته في العالم ، وقال : إن الحقير الذي تراه ، هو من روما المدينة العظيمة . لقد أصبحت ذا شأن في بلاط الملك . فلما سمع المصري هذا ، تأثر وتابع ما قاله بدقة . ثم قال للشيخ : تابع حديثك يا أبت . فقال الشيخ : ثم إني هجرت المدينة وأتيت إلى هذه البرية . وأنا الذي تراني الآن ، كنت صاحب أملاك كثيرة من بيوت وأموال . إلاّ أني ازدريت بها كلها وأتيت وسكنت في هذه القلاية الصغيرة . لقد كان عندي اسرّة من ذهب وفراش ناعم كالحرير وأغطية باهظة الثمن . إلاّ أن الله أعطاني عوضاً عنها هذا البساط الجلدي البسيط . أمّا لباسي فكان لباساً ناعماً كثير الثمن أيضاً ، فأعطاني الله عوضاً عنه هذا اللباس الحقير . وكنت أنفق الكثير على طعامي ، فأعطاني الله عوضاً عن ذلك البقول والخضار وكأس الخمرة الصغيرة هذه . وكان تحت امرتي خدام كثيرون ، وهنا قد دفع الله هذا الشيخ

لخدمتي . وبدل الحمّام الملوكي ، أسكب على رجلي قليلاً من الماء ، وهذا أفعله كوني مريضاً . وبدل الانغام الشجية والقيثارات والآلات الموسيقية التي كنت أستطيب سماعها ، أنشد المزامير الاثني عشر . وفي الليل ، بدل الخطايا التي ارتكبتها ، أقوم بالصلاة . لذا أرجوك يا أبت ، ألاّ تُعثر بسبب مرضي . فلما سمع المصري هذا ، عاد إلى نفسه وقال : وا حسرتاه كنت في المدينة محروماً ، وها أنا الآن في بحبوحة لم أكن أعرفها . ما كان بالأمس حلمي ، قد صار الآن بين يدي . أمّا أنت فقد تركت التنعم وأتيت إلى الحرمان ، ومن المجد الكبير ، هبطت إلى الفقر والتواضع . فلمّا انتفع في قلبه ، مضى وصار رفيقاً له وكان بين الفينة والأخرى يتردد عليه للمنفعة ، لأنه كان رجلاً ذا بصيرة روحية ومملوءاً من شذى الروح القدس . (على الأرجح أن الضيف كان يعمل حارساً في الحقل الذي كان ينام فيه كما ذكر) .

٢ ـ هو نفسه قال إنه كان لأحد الشيوخ تلميذ صالح . ومن الاحتقار طرده هو وثوبه ، فلبث عند الباب خارجاً . وبعد مدة فتح الشيخ الباب فرآه جالساً ، فسجد له وقال : يا أبت ، إن تواضعك وطول أناتك قد هزمت إهمالي وغلبته . هلمّ إلى الداخل . من الآن تكون الأب وأنا التلميذ .

الأب روفو

١ ـ سأل أخ الأب روفو قائلاً : ما السكينة وما هي منافعها ؟ أجابه الشيخ : السكينة هي أن يقيم المرء في قلايته بمعرفة الله وخوفه مبتعداً عن الإساءة والعجب . إن سكينة كهذه تتولد منها كل الفضائل ومن شأنها أن تحمي الراهب من سهام العدو الملتهبة فلا تدعه ينجرح . نعم يا أخي ، اقتنِ هذه السكينة وتذكّر ساعة خروجك لأنك لا تعلم متى يأتي اللص . بهذا إذن ، إسهر من أجل خلاص نفسك .

٢ ـ قال الأب روفو : إن من يبقى تلميذاً لأب روحي له أجر أكبر من الذي يعيش في البرية كناسك . وقال إن أحد الآباء أخبره قائلاً : رأيت أربع طغمات في السماء : الأولى ، إنسان مريض يشكر الله . والثانية ، إنسان يطلب ضيافة الغرباء ويقف نفسه على خدمتهم . والثالثة ، إنسان يبتغي البرية ولا يرى أحداً . والرابعة ، إنسان يخضع لأب روحي حباً بالرب . وكان هذا الأخير ينتمي إلى فئة الطاعة ، يلبس قلادة من ذهب وله مجد يفوق مجد سواه . أمّا أنا فقلت لمرشدي : كيف يكون هذا الأصغر ذا مجد يفوق مجد الآخرين ؟ قال لي : إن من يسعى إلى ضيافة الغرباء ، هو إنسان يفعل هذا بمشيئته . ومن يقيم في البرية ينقطع إليها بإرادته . أمّا أن يمارس المرء الطاعة ويخضع لأب روحي ، فهذا مجد رفيع لأن صاحبه قد قطع كل مشيئة ذاتية له . لذا يا ولدي، جميلة هي الطاعة التي تكون حباً بالله . فاسمعوا يا أولادي شيئاً من هذا الإنجاز . أيتها الطاعة ، يا خلاص جميع المؤمنين . أيتها الطاعة ، يا أمّ جميع الفضائل . أيتها الطاعة ، يا محقِّقة الملكوت وفاتحة أبواب السموات . أيتها الطاعة ، يا غذاء كل القديسين ورافعة البشر من الأرض . أيتها الطاعة التي منها نغتذي فنبلغ الكمال . أيتها الطاعة ، يا مساكنة الملائكة .

الأب رومانوس

١ ـ عندما أوشك الأب رومانوس أن يغادر هذا العالم ، تحلّق حوله تلاميذه وقالوا له : كيف ينبغي أن نسلك بعد رحيلك ؟ قال لهم : لا أذكر أني طلبت من أحدكم شيئاً دون التفكير به قبل طلبه . وهكذا كنا نعيش بسلام كل زمان حياتنا .

الأب سيسوى

١ ـ أُسيء إلى أحد الإخوة فقام ومضى إلى الأب سيسوى وقال له : لقد أساء إليّ أخي وأريد أن أنتقم لنفسي . فقال له الشيخ متضرعاً : لا يا ولـدي ، هذا ليس لك ، بل لله . فقال له الأخ : لكني لن أرتاح حتى أثأر منه . فقال له الشيخ : دعنـا نصلّي . فقـام الشيخ وشرع يصلّي ويقـول : يا رب لم نعـد بحاجة إلى عنايتك واهتمامك بنا ، لأننا ننتقم لأنفسنا . فلمّا سمع الأخ هذا ، سقط عند قدميه وقال له : لن أخاصم أخي بعد اليوم . سامحني يا أبت .

٢ ـ سأل أحد الإخوة الأب سيسوى قائلا : ماذا أفعل عندما أذهب إلى الكنيسة لأنهم يمسكون بي ساعة الطعام ؟ أجابه الشيخ : إن في هذا جهداً كبيراً . فقال تلميذه إبراهيم : إذا جرى لقاء في السبت أو الأحد ، وشرب الأخ ثلاثة كؤوس ، هل هذا كثير ؟ قال الشيخ : إذا لم يكن في الوسط شيطان ، فالعدد ليس بكثير .

٣ ـ ثم قال له تلميذه : يا أبت ، لقد شِخْتَ ، دعنا نذهب ونقيم في موضع فيه بشر . أجابه الشيخ : لنذهب إلى موضع ليس فيه امرأة . فقال تلميذه : وهل ثمة مكان لا نساء فيه سوى البرية ؟ فقال الشيخ : إذاً ، فلنذهب إلى البرية .

٤ ـ مراراً كثيرة كان تلميذه يقوله له : يا أبت هلمّ لنأكل . فكان يقول له : ألم نأكل يا ولدي ؟ وكان جواب التلميذ : لا ، لم نأكل بعد . فيقول الشيخ : إذا كنا لم نأكل بعد ، هات أعطنا لنأكل .

٥ ـ مرة قال الأب سيسوى جهاراً : تشجّع يا أخي ، إذ لي ثلاثون سنة لا أتضرع إلى الله من أجل خطيئة ، لكني أصلّي هكذا : يا ربي يسوع المسيح ، استرني من لساني لأني بسببه أسقط كل يوم وأخطأ .

٦ ـ قال أخ للأب سيسوى : وكيف لا تغادرني الأهواء يا أبت ؟ أجاب : إن آنيتها في داخلك . فسلمها عربونها لكي تغادرك .

٧ ـ جلس الأب سيسوى مرة في جبل القديس أنطونيوس ، ولمّا تأخر تلميذه في الوصول ، لم يعد يرى إنساناً طيلة عشرة شهور . فلمّا سار في الجبل ، صادف مصرياً يصطاد وحوشاً مفترسة فقال الشيخ : من أين أنت ، وكم من الوقت لك ههنا ؟ أجابه الصيّاد : في الحقيقة يا أبت إني على هذا الجبل منذ أحد عشر شهراً لم أقابل أحداً سواك . فلما سمع الشيخ هذا ، دخل قلايته وهو يقرع صدره ويقول : يا سيسوى كنت تظن أنك فعلت أمراً حسناً بانقطاعك هذه المدة ، إلاّ إنك لم تبلغ إلى قامة هذا الصيّاد بعد .

٨ ـ أقيمت في جبل القديس أنطونيوس ذبيحة إلهية ، وكان ثمة وعاء خمر . فأخذ أحد الشيوخ وعاء وكأساً وجاء بها إلى الأب سيسوى ودفعها إليه ليشرب ، فشرب . فدفعها ثانية ، فشرب . ولمّا همّ بتقديمها للمرة الثالثة ، رفضها الأب وقال : كفاني ما أخذتُ ، ألا تعرف يا أخي ، ان ثمة شيطاناً ؟

٩ ـ زار أحد الإخوة الأب سيسوى في جبل أنطونيوس . وفيما كانا يتحدثان ، قال الأب سيسوى : ألم تبلغ بعد إلى قامة الأب أنطونيوس يا أبت ؟ قال له الشيخ : لو كان عندي شيء من فكره ، لأصبحتُ ناراً . إلاّ أني أعرف إنساناً بالجهد يستطيع أن يحتمل فكر الأب أنطونيوس .

١٠ ـ جاء مرة إلى الأب سيسوى إنسان من طيبة يريد أن يترهب . فسأله الأب إذا كان له أهل في العالم . فقال : عندي ولد واحد . فقال له الشيخ : إذهب واطرحه في النهر ثم تعال لتصبح راهباً . فلمّا مضى ليفعل كما قيل له ، أرسل الأب أخاً ليمنعه من عمله هذا ، فقال الأخ : كفى ، ماذا تعمل ؟ أجاب : أبي قال لي أن أرميه في النهر . فقال الأخ : لا تفعل ما قاله لك الأب لأنه قد أرسلني خصيصاً من أجل ذلك . ثم عاد إلى الأب وصار راهباً رصيناً بنعمة طاعته (على غرار ذبيحة ابراهيم الواردة في سفر التكوين) .

١١ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ترى هل كان الشيطان يطارد المبتدئين هكذا ؟ أجابه الأب : الآن يطاردهم أكثر من قبل ، لأن أيامه باتت معدودة وهو قلق ومضطرب .

١٢ ـ جُرِّب مرة إبراهيم تلميذ الأب سيسوى من الشيطان . فرأى الشيخ أن تلميذه قد سقط ، فنهض وبسط يديه نحو السماء قائلاً : يا الله ، شئت أم لم تشأ ، لن أتركك حتى تشفيه . وللحال شفي التلميذ .

١٣ ـ قال أخ للأب سيسوى : أرى أن ذكر الله يبقى في داخلي . قال له الشيخ : ليس بالأمر الهام أن يكون فكرك مع الله ، المهمّ حقاً هو أن تعاين نفسك دون الخليقة كلها ، لأن هذا يقود ، مع التعب الجسدي إلى سبيل التواضع .

١٤ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه لمّا أوشك أن يغادر العالم ، صار وجهه كالشمس بينما كان الآباء حوله ، وقال لهم : ها قد جاء الأب أنطونيوس . وبعد قليل ، تمتم قائلاً : ها قد جاء رهط الأنبياء . ثم تألّق وجهه أكثر ، فقال : ها قد وصل مصاف الرسل الأطهار . ثم ازداد وجهه تألّقاً وبدا وكأنه يكلّم أحداً ، فسأله الشيوخ : ومن هو المتحدث إليك يا أبانا ؟ قال : ها إني أرى الملائكة تقترب لتحملني ، لكني استعطفهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب . فقال له الشيوخ : لا حاجة لك إلى التوبة يا أبانا . فقال لهم الشيخ : في الحقيقة لا أظن أني قد بدأت . فأيقن الجميع أنه في قامة رفيعة جداً من القداسة والكمال . وفجأة أضاء وجهه كالشمس ، فخاف الحاضرون ، أمّا هو فقال

لهم : انظروا ها الرب قد جاء وهو يقول : « احضروا إليّ إنـاء البـرية » . وللحال أسلم الروح ، فصار في المكان برق ، وامتلأ البيت شذى عطراً .

١٥ ـ زار الأبُ أذلفيوس أسقف نيلوبوليس الأبَ سيسوى في جبل أنطونيوس . ولمّا حان وقت الرحيل ،أُعدّ لهم ليأكلوا قبل سفرهم ، وكان وقت الصوم . فلمّا فرشوا المائدة ، كان هنـاك إخـوة في الخـارج يقرعـون البـاب . فقـال الأب لتلميذه : أعطهـم ليأكلـوا لأنهـم آتـون من مكان بعيد . فقـال له الأب اذلفيوس : أتركهم يا أبت لئلا يقولوا إن الأب سيسوى يأكل عند الصباح . فلم يكترث الأب سيسوى لكلامه بل قال للأخ : إذهب واعطهم ليأكلوا ، فلمّا رأوا الطعام قالوا : وهل عندكم ضيوف ؟ هل يأكل الشيخ معكم ؟ فقال لهم الأخ : نعم . فحزنوا وقالوا : سامحك الله لأنك سمحت للأب سيسوى أن يأكل أيضاً[1] . . . . . ألا تعلمون أنه قد تعب أياماً كثيرة ؟ فسمعهم الأسقف ، فصنع مطانية (سجدة) ، وقال للشيخ : سامحني يا أبت ، لأني قد فكّرت فكراً بشرياً . لكن أنـت قد تمّمـت وصيّة اللـه . فقـال له الأب سيسوى : إذا لم يمجّدنا الله ، فمجد الناس باطل .

١٦ ـ زار بعض الإخوة الأب سيسوى ليسمعوا منه كلمة ، لكنه لبث طول المدة صامتاً ما عدا كلمة كان يرددها باستمرار : « سامحوني » . فلمّا رأوا سلاله ، قال للأب ابراهيم : وماذا تفعلون بهذه السلال ؟ قال له : إننا ننفقها هنـا وهناك . فلمّا سمع الإخوة هذا ، انتفعوا وغادروه فرحين وقد بناهم تواضعه .

١٧ ـ قال الأب عمون الريتي للأب سيسوى : عندما أقرأ في الكتب المقدسة يحثني فكري على التوقف عند كلمة يجعل منها علّة لسؤال ، قال له الشيخ : لا حاجة لك إلى هذا ، يكفي أن تقتني نقاوة الذهن وعدم الهمّ والكلام .

١٨ ـ زار مرة واحد من أهل العالم يرافقه ابنه ، الأب سيسـوى في جبـل الأب أنطونيوس . وفي الطريق ، مات ابنه ، فلم يضطرب بل حمله إلى الشيخ بإيمان

---

(١) لقد سقط مقطع صغير من النص الأصلي .

وانحنى وهو يحمله كما لو كان يريد أن يسجد ، وذلك لتقع بركة الشيخ عليه . فلمّا نهض ، ترك الولد عند قدمي الشيخ وخرج . فظن الشيخ أن الولد ما زال يصنع مطانية ، فقال له : إنهض يا بني واخرج ولم يكن يعرف أن الغلام ميت ، فوثب الصبي وطفق يعدو نحو أبيه . فلمّا رآه أبوه ، تعجب ، فعاد ودخل إلى الشيخ وأخبره بحقيقة ما جرى . فلمّا سمع الشيخ هذا حزن لأنه لم يكن يرغب بحدوث شيء كهذا له . لكنه طلب من والد الصبي أن يكتم هذا الأمر عن الجميع حتى رقاده .

١٩ ـ زار ثلاثة شيوخ الأب سيسوى بعد أن سمعوا عنه الكثير ، فقال له الأول : يا أبت ، كيف أقدر أن أنجو من النهر الناري ؟ فصمت الشيخ ولم يتكلم . ثم قال الثاني . كيف لي يا أبت أن أنجو من صريف الأسنان والدود الذي لا ينام ؟ فصمت أيضاً كما فعل مع الأول . ثم قال له الثالث : ماذا أعمل يا أبت وذكر الظلمة الخارجية ينهشني ؟ فقال لهم الشيخ : أنا لا أذكر شيئاً من هذه كلها ، لأني أعرف أن الله محب وأرجو أن يرحمني . فلمّا سمعوا هذا الكلام خرجوا حزينين ، لكن الشيخ لم يرد أن يتركهم في حزنهم ، فاستدار نحوهم وقال : هنيئاً لكم يا إخوتي ، لأن الدهشة والعجب تملكاني بعد سماعي لكم . فالأول سألني عن نهر النار والثاني عن مكان العقاب ، والثالث عن الظلمة الخارجية . إلاّ أني أقول لكم الحق إنه إذا سيطر على ذهنكم فكر كهذا يستحيل أن تخطأوا . لكن ماذا أعمل أنا القاسي القلب لأني لا أعرف أن هناك جحيماً للناس ، لأجل هذا أخطأ كل ساعة . فتابوا وقالوا له : كما سمعنا رأينا . وغادروه منتفعين .

٢٠ ـ سأل البعض الأب سيسوى قائلين: إذا سقط أخ ، ألا ينبغي أن يتوب سنة كاملة ؟ فقال : إن هذا القول صارم . قالوا : وهل يكتفي بستة أشهر ؟ قال : هذا كثير . فقالوا : وهل يكفيه أربعون يوماً ؟ فقال : إن هذا كثير أيضاً . فقالوا : ماذا إذن ؟ إذا سقط في خطيئةٍ ، هل يشترك مع الإخوة في المائدة فوراً ؟ قال لهم الشيخ : كلا . لكن تكفيه فترة وجيزة حتى يتوب ، لأني أؤمن أن الإنسان إذا تاب من كل قلبه ، فإن الله يقبله في غضون ثلاثة أيام .

٢١ ـ لما جاء الأب سيسوى إلى الكليزما ، جاء إليه من العالم بعض الإخوة ليروه . فتكلموا إليه كثيراً ، أمّا هو فكان صامتاً . ثم قال أحدهم : لماذا تحزنون الشيخ ؟ إنه لا يأكل . لهذا لا يقدر أن يتكلم . أجابه الشيخ : أنا لا آكل إلاّ عندما تدعوني الحاجة إلى ذلك .

٢٢ ـ سأل الأب يوسف الأب سيسوى قائلاً : متى ينبغي أن يقطع الإنسان أهواءه ؟ قال له الشيخ : وهل تروم معرفة الأزمنة ؟ قال الأب يوسف : نعم يا أبت . أجابه : عندما يأتيك الهوى ، اقطعه في الحال .

٢٣ ـ سأل أخ الأب سيسوى البترائي عن طريقة عيشه وتصرفه ، فقال له الشيخ: قال دانيال : « لم آكل طعاماً شهياً » (١٠ : ٣) .

٢٤ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه لمّا كان في القلاية كان دائماً يغلق على نفسه .

٢٥ ـ جاء بعض الآريوسيين إلى الأب سيسوى في جبل الأب أنطونيوس وبدأوا يثلبون أعمال الأرثوذكسيين . أمّا هو فلبث صامتاً . لكن بعد حين دعا تلميذه وقال له : ابراهيم ، أحضر إليّ كتاب القديس أثناسيوس واقرأه . أمّا هم فكانوا صامتين ، فانكشفت بدعتهم وهكذا أطلقهم بسلام .

٢٦ ـ جاء مرة الأب أمون من ريثو إلى كليزما لزيارة الأب سيسوى . فلمّا رآه حزيناً على تركه البرية ، قال له : ولماذا أنت حزين يا أبت ؟ ماذا كان بإمكانك أن تعمل في البرية بعد أن دبّت إليك الشيخوخة ؟ فحدّق به الشيخ بنظرات تنمّ عن انقباض وقال له : ماذا أسمع يا أمون ؟ ألم تكن تكفيني حرية فكري هناك ؟

٢٧ ـ جلس الأب سيسوى مرة في قلايته ، ولمّا قرع تلميذه الباب ، صرخ الشيخ قائلاً : إذهب يا ابراهيم . لا تدخل . لا وقت في هذه اللحظة عند من هو ههنا .

٢٨ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : كيف هجرت الاسقيط حيث كنت فيه مع الأب أور وجئت لتقيم ههنا ؟ قال له الشيخ : عندما بدأ عدد السكان يتزايد وسمعت أن الأب أنطونيوس قد رقد ، نهضت وأتيت إلى هنا . ولمّا وجدت

المكان هادئاً ، أقمت ردحاً من الزمن . قال له الأخ : وكم من الوقت لك ههنا ؟ أجابه الشيخ : إثنان وسبعون سنة .

٢٩ ـ قال الأب سيسوى : إذا كان ثمة من يعتني بك ، لا ينبغي أن تأمره .

٣٠ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : إذا كنا نمشي وضلّ مرشدنا الطريق ، هل نلفت انتباهه ؟ أجاب الشيخ : كلا . فقال الأخ : وهل نتركه على ضلاله فنتيه معه ؟ أجاب الشيخ : وما العمل إذاً ، هل نأخذ عصاً ونضربه بها ؟ أنا أعرف إخوة بينما كانوا يمشون ، ضلّ مرشدهم الطريق في الظلام ، وكانوا إثني عشر وقد عرف الجميع أنهم ضلّوا . لكن جاهد كل واحد منهم كي لا يقول شيئاً . وعند طلوع الفجر ، أدرك الدليل أنه قد ضلّ ، فقال لهم : سامحوني يا إخوتي لأني قد ضللت . فقال له الجميع : كنّا على علم بذلك ، إلاّ أننا صمتنا . فلمّا سمع هذا تعجب وقال : إن الإخوة يضبطون أنفسهم حتى الموت دون أن يتكلموا . فمجّد الله . أمّا طول الطريق التي ضلّوا فيها ، فكان اثنتي عشر ميلاً .

٣١ ـ جاء بعض من الأعراب وسلبوا الشيخ وتلميذه . فخرجا إلى البرية ليجدا شيئاً من الطعام . فرأى الشيخ روث الإبل فكسرها ، فوجد فيها بعض حبات من الشعير ، فأكل حبة واحدة وترك أخرى في يده . فلما دنا أخوه ، وجده يأكل ، فقال له : أهذه هي المحبة ؟ إنك وجدت ما تأكله دون أن تشركني به ؟ فقال له الأب سيسوى : لم أظلمك يا أخي . هذه حصتك قد احتفظت بها في اليد الأخرى .

٣٢ ـ قالوا عن الأب سيسوى الطيبي إنه أقام في قلمون أرسنويتي . وحدث أن مرض شيخ آخر في دير ، فلمّا علم بهذا ، حزن جداً . ولمّا كان يصوم يومين يومين ، اتفق أن ذلك اليوم كان يوم صيام ، فلمّا سمع هذا ، قال في نفسه : ماذا أعمل ؟ إذا ذهبت قد يرغمونني على تناول الطعام . وإذا تأخرت حتى

الغد ، ربما يموت . سأفعل التالي : أذهب ولا آكل . وهكذا مضى صائماً وقد أتمّ وصية الله بدون أن يهمل نسكه وجهاده حباً بالرب .

٣٣ ـ تحدث أحد الآباء عن الأب سيسوى القلموني ، إنه أراد مرة أن يغلب النعاس ، فعلّق نفسه بصخرة كبيرة ، فجاء ملاك وحلّ قيده وطلب منه ألاّ يفعل ذلك وألاّ يسمح للآخرين بالتشبه به .

٣٤ ـ سأل أحد الآباء الأب سيسوى قائلاً : إذا كنت في البرية وجاء بربري يريد قتلي وقويت عليه ، هل أقتله ؟ قال له الشيخ : كلا . إنما سلّمه إلى الله ، لأنه عندما تحل تجربة ما بالإنسان ، فليقل : « إن هذا حدث من أجل خطيئتي » . وإذا كان الأمر صالحاً ، قل : هذا تدبير يمين الله .

٣٥ ـ توسّل أخ إلى الأب سيسوى الطيبي قائلاً : قل لي كلمة . أجابه الشيخ : وماذا أقول لك ؟ إني أقرأ العهد القديم وأرجع إلى العهد الجديد .

٣٦ ـ هو نفسه سأل الأب سيسوى البترائي عمّا قاله الأب سيسوى الطيبي ، فقال له الشيخ : أنا في الخطيئة أنام وفي الخطيئة أستيقظ .

٣٧ ـ قالوا عن الأب سيسوى الطيبي إنه كان يرجع إلى قلايته فور الخروج من الكنيسة . فقالوا : إن فيه شيطاناً . أمّا هو فكان يصنع إرادة الله في ذلك .

٣٨ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ماذا أعمل وقد سقطت يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إنهض من جديد . قال الأخ : لقد نهضت لكني عدت وسقطت . قال له الشيخ : إنهض أيضاً من جديد . قال له الأخ : وإلى متى يكون ذلك ؟ أجابه الشيخ : إلى أن تنتهي ، إمّا إلى الخير أو إلى السقطة ، لأن الإنسان يسلك حيثما وجد .

٣٩ ـ سأل أخ الشيخ قائلاً : ماذا أعمل إذا تضايقت من عمل اليد ؟ فأنا أحب الحياكة لكني لا أعرف كيف أتمّها ؟ أجابه الشيخ : قال الأب سيسوى إنه لا يليق بنا أن نمارس الأعمال التي تريحنا .

٤٠ ـ قال الأب سيسوى : أطلب الله ولا تسأل عن مكان سكناه .

٤١ ـ وقال أيضاً : الخجل وعدم مخافة الله كثيراً ما يحملان الخطيئة .

٤٢ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له الشيخ : إن ما تطلبه هو الصمت الكثير مع التواضع ، لأنه مكتوب « هنيئاً للذين يثبتون فيه » (أشعياء ٣٠ : ١٨) . هكذا يمكنك أن تخلص .

٤٣ ـ قال الأب سيسوى : ازدر بنفسك واجعل مشيئتك وراءك وكن عديم الهمّ ، فتجد راحة .

٤٤ ـ سأل أخ الأب سيسوى قائلاً : ماذا أعمل بالأهواء يا أبت ؟ قال له الشيخ : « إن كل واحد منا يجرّب من شهوته » (يعقوب ١ : ١٤) .

٤٥ ـ توسّل أخ إلى الأب سيسوى قائلاً : قل لي كلمة واحدة فقط . أجابه الشيخ : لماذا ترغمني على الكلام ؟ ما تراه ، إياه إفعل .

٤٦ ـ مضى الأب ابراهيم تلميذ الأب سيسوى ذات يوم للقيام بخدمة . ولم يكن الأب سيسوى يقبل أن يخدمه سواه في غيابه . فقال : وهل أقدر أن أدعو إنساناً آخر يقوم بخدمتي في غيابه ؟ لكنه لبث على موقفه محتملاً الأتعاب كلها حتى عودة تلميذه .

٤٧ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه عندما كان يجلس كان يقول بصوت عال : يا للشقاوة ! فسأله تلميذه : وما بك يا أبت ؟ أجابه : إنني أطلب من يكلمني فلا أجد[1] .

٤٨ ـ خرج الأب سيسوى مرة من جبل القديس أنطونيوس إلى الجبل الخارجي في طيبة ، وأقام هناك . وكان في ذلك الموضع بعض المليتيانيين المقيمين في قلمون أرسنويتي . فلمّا علم البعض أنه خرج إلى الجبل الخارجي ، طلبوا أن يروه .

---

(١) في كلمته هذه تذكّر للنادرة القديمة «أطلب إنساناً»

فقالوا : ماذا نعمل ؟ (لأنه كان في ذلك الجبل مليتيانيون) . نحن نعرف أن الشيخ لا يتأثر بهم . ونحن نريد أن نقابله لكننا نخشى الوقوع في تجربة الهراطقة . ولئلا يقابلوا الهراطقة ، لم يذهبوا لرؤيته .

٤٩ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه مرض وكان يتكلم أثناء مرضه مع بعض الشيوخ الجالسين بقربه . قالوا له : ماذا ترى يا أبانا ؟ أجابهم : إنني أرى البعض يأتون إليّ ، لكنني استعطفهم كي يتركوني أتوب قليلاً . فقال له أحد الشيوخ : وإذا تركوك ، هل تنتفع من الوقت الزهيد هذا من أجل التوبة ؟ قال لهم : إذا لم أكن قادراً على ذلك ، على الأقل اتنهد في نفسي وهذا يكفيني .

٥٠ ـ قالوا عن الأب سيسوى إنه لما جاء إلى الكليزما ، مرض . وبينما كان مع تلميذه في القلاية ، قرع الباب . فأدرك الشيخ ما في الأمر ، فقال لتلميذه ابراهيم : قل للطارق إنني سيسوى . أنا في الجبل . أنا سيسوى طريح الفراش وعلى وسادة . فلما سمع الواقف وراء الباب هذا الكلام ، للحال توارى عن الأنظار .

٥١ ـ قال الأب سيسوى الطيبي لتلميذه : قل لي ، ماذا ترى فيّ ، وأنا أقول لك ، ماذا أرى فيك . قال تلميذه : أنت صالح في ذهنك وخشن قليلاً . أجابه الشيخ : أنت صالح ، لكنك بليد العقل .

٥٢ ـ قالوا عن الأب سيسوى الطيبي إنه لم يذق خبزاً . وفي عيد الفصح ، رجا منه الاخوة أن يأكل معهم ، فأجابهم قائلاً : عليّ القيام بواحدة فقط ، إمّا أن آكل خبزاً ، أو أن أتناول الطعام الذي أعددتموه . قالوا له : كلْ خبزاً فقط . فعمل بما قالوا وآكلهم .

الأب سلوان

١ ـ زار الأب سلوان وتلميذه زخريا أحد الأديار ، فأجبروهما على الأكل قليلاً قبل السفر . فلمّا خرجا ، وجد التلميذ ماء في الطريق ، فأراد أن يشرب . فقال له الشيخ : زخريا ، اليوم صوم . فقال ذاك : ألم نأكل يا أبت ؟ قال الشيخ : ما أكلناه ، كان من المحبة . أمّا هنا ، فلنحتفظ بصيامنا يا ولدي .

٢ ـ هو نفسه كان مع الاخوة واختطف بغتة في حالة من الوجد الروحي ، فطرح وجهه على الأرض . ثم نهض بعد قليل وهو يبكي ، فرجا منه الإخوة قائلين : ما بك يا أبانا ؟ فظل يبكي وهو صامت . ولمّا ألحّوا عليه قال : اختطفت إلى ساعة الدينونة ، وهناك رأيت الكثيرين ممن هم مثلنا في العذاب ، والكثيرين من أهل العالم رأيتهم يذهبون إلى الملكوت . وكان الشيخ ينتحب ولم يرد أن يخرج من قلايته . وإذا اضطر إلى الخروج كان يغطي وجهه ويقول : لماذا أرى هذا النور الوقتي دون أن يكون لي نفع ؟

٣ ـ دخل عليه مرة تلميذه إبراهيم فلمحه في اختطاف روحي ويداه ممدودتان إلى السماء ، فخرج تواً واغلق الباب . ولمّا عاد في الساعة السادسة والتاسعة ، وجده في هدوء ، فقال له : ما بك يا أبت؟ قال له الشيخ : كنت مريضاً يا ولدي . فأمسك التلميذ قدميْ معلمه وقال : لا أتركك قبل أن تخبرني بما رأيت . فقال الشيخ : اختطفت إلى السماء ورأيت الله وكنت هناك إلى الآن . ولكن ها أنا هنا ثانية .

٤ ـ بينما كان الأب سلوان في جبل سيناء ، مضى تلميذه زخريا إلى الخدمة وقال

للشيخ : أطلق الماء وارو البستان . فلما خرج غطّى وجهه بالعمامة فلم يكن يرى سوى خطاه . وفي تلك الساعة حدث أن زاره أحد الاخوة . فلمّا رآه من بعيد ، أدرك ما كان يفعله . ولمّا دخل عليه قال له : قل لي يا أبت ، لماذا كنت تغطّي وجهك بالعمامة وأنت تروي البستان ؟ أجابه الشيخ : لئلا تنشغل عيناي بالشجر يا ولدي ، فينشغل عقلي بها دون العمل الحقيقي .

٥ ـ زار أخ الأب سلوان في جبل سيناء . فلمّا رأى الإخوة يعملون ، قال للشيخ : لا تعملوا للطعام البائد لأن مريم قد اختارت النصيب الصالح (يوحنا ٦ : ٢٧ ، لوقا : ١٠ : ٤٢) . فقال الشيخ لتلميذه : زخريا ، أعطِ الأخ كتاباً وأوصله إلى قلاية فارغة . فلمّا كانت الساعة التاسعة ، كان ذاك ينتبه إلى الباب علّهم يرسلون من يدعوه إلى الطعام . لكن خاب أمله في الإنتظار إذ لم يأت أحد لدعوته . فنهض وجاء إلى الشيخ وقال له : ألم يأكل الإخوة يا أبت ؟ قال له الشيخ : نعم . فقال الأخ : ولماذا لم تدعوني إلى تناول الطعام ؟ أجابه : لأنك إنسان روحي ولا تحتاج إلى هذا الطعام . أمّا نحن فإننا بشر ونحتاج إليه ، لهذا نعمل . اخترت النصيب الصالح لأنك كنت تقرأ طوال النهار ، ولا تريد أن تأكل طعاماً بشرياً (جسدياً) . فلمّا سمع هذا ، سجد له وقال : سامحني يا أبت . فقال له الشيخ : في كل الأحوال ، تحتاج مريم إلى مرثا ، لأن مريم تُمتدح بسبب مرثا .

٦ ـ سأل بعض الإخوة الأب سلوان وقالوا له : أيَّ نسك مارست يا أبت ، حتى اكتسبت هذه الحصافة ؟ فقال لهم : في الحقيقة يا إخوتي إنني لم أترك في قلبي فكراً يغضب الله .

٧ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه أغلق على نفسه في قلايته ومعه بعض من حبّات الحمّص صنع منها مئة غربال . فجاء من مصر رجل معه حمار محمَّل بالخبز وقرع باب قلايته وأفرغ حمولة الحمار . ثم جعل الشيخ السلال على ظهر الحمار وأطلقه .

٨ ـ قالوا عن الأب سلوان إن تلميذه زخريا خرج بدونه ، فأخذ معه الإخوة وطاف حول سياج الحديقة وجعله أوسع مما كان . فلمّا علم الشيخ بهذا ، حمل ثوبه وخرج وهو يقول للإخوة : صلّوا لأجلي . فلما رأوه سقطوا عند قدميه وقالوا له : قل لنا ، ما بك يا أبانا ؟ فقال لهم : لن أعود إلى القلاية ولن يغادر هذا الثوب جسدي حتى تعيدوا السياج إلى ما كان عليه . فأعادوه إلى مكانه الأول . عندئذ عاد الشيخ إلى قلايته .

٩ ـ قال الأب سلوان : أنا عبد وسيدي قال لي : أتمم عملي وأنا أعولك . من أين ؟ لا تسأل . سواء عندي أم أني أسرق ، أو أقترض ، أنت لا تسأل ، لأن هذا لا يعنيك . ما عليك إلاّ أن تعمل وحسب ، وأنا أعولك . لذا إذا عملتُ ، فإني أعيش من أجري . وإذا لم أعمل ، أعيش من التصدق والإحسان .

١٠ ـ وقال أيضاً : وا حسرتاه على من كان اسمه أكبر من عمله !!

١١ ـ سأل الأب موسى الأب سلوان قائلاً : هل يمكن أن يبتدىء المرء من جديد كل يوم ؟ أجابه الشيخ : إذا كان نشيطاً ، يمكنه أن يبتدىء كل ساعة .

١٢ ـ قال أحد الشيوخ إن إنساناً قابل الأب سلوان وعندما رأى وجهه وجسمه يلمع كالملاك ، سقط على وجهه . وقد قال إن هذه الموهبة يملكها آخرون أيضاً .

الأب سيمون

١ ـ جاء مرة أحد الولاة لرؤية الأب سيمون . فلمّا رآه الشيخ ، حمل حزامه ومضى إلى الخوص لينظفه . فلمّا وصل الضيوف ، نادوا : يا أيها الشيخ ، أين هو الناسك ؟ قال لهم : ليس ثمة ناسك ههنا . فلما سمعوا هذا ، قفلوا راجعين .

٢ ـ ومرة أخرى جاء أحد الولاة لرؤيته ، فقال له الإكليريكيون قبل وصوله : يا أبانا ، استعد لأن الوالي آت لأخذ بركتك بعد أن سمع بسيرتك . فقال لهم : نعم ، إني أستعد . فقام وارتدى ثوبه وأمسك قطعة خبز وجبنة في يديه ، ومضى إلى الباب حيث جلس يأكل . فلمّا جاء الوالي ترافقه حاشيته ، لمحوه ، وهزؤا به قائلين : هل هذا هو الناسك الذي سمعنا عنه ؟ للحال ودونما أي تردد ، قفلوا عائدين .

الأب سوباتروس

١ ـ توسّل أحد الإخوة إلى الأب سوباتروس قائلاً : أعطني وصيّة أحفظها . قال له الشيخ : لا تدع امرأة تدخل قلايتك . لا تقرأ كتباً منحولة . لا تتباحث عن صورة الله ، فهذه ليست هرطقة إنما هي جهالة ونزاع بين الطرفين . في الحقيقة إن هذا أمر يستحيل إدراكه من البشر[1] .

(١) إن مسألة صورة الله كانت موضوعاً لاهوتياً حاداً في مصر في أواخر القرن الرابع .

الأب سارمتا

١ ـ قال الأب سارمتا : أفضّل إنساناً خطيء ، لكنه يعرف خطيئته ويتوب عليها، على إنسان لا يخطيء بل يرى نفسه باراً .

٢ ـ قالوا عن الأب سارمتا إنه كان مراراً كثيرة ينسك أربعين يوماً بإرادة الأب بيمن . وكانت هذه الأيام تنقضي كلا شيء . فجاء إليه الأب بيمن وقال له: قل لي : ماذا رأيت وأنت تبذل كل هذا الجهد والتعب ؟ أجابه الأب : ليس في الأمر زيادة . قال له الأب بيمن : لن أتركك حتى تقول لي . فقال له : واحدة وجدت وهي إني إذا قلت في نومي : إذهب ، فإنه يذهب . وإذا قلت : تعال ، فإنه يأتي .

٣ ـ سأل أخ الأب سارمتا قائلاً: أفكاري تقول لي: «لا تعمل»، بل، كل، واشرب ، ونم . أجابه الشيخ : كُلْ عندما تجوع . واشرب عندما تعطش . ونم عندما يضربك النعاس . ثم جاء شيخ آخر إلى ذلك الأخ فأطلعه على ما سمعه من الأب سارمتا ، فقال له الشيخ : إن ما قاله لك الشيخ هو أن تأكل عندما تجوع وأن تشرب عندما تعطش . وإذا ما سهرت ونعست ، نمْ .

٤ ـ وقال الأخ نفسه للأب سارمتا : أفكاري تقول لي : أخرج وتفقّد الإخوة . أجابه الشيخ : لا تنصت إلى ما يقوله فكرك في هذا الشأن ، إنما قلْ : في المرة الأولى استجيب لك ، لكن هذه المرة لا أقدر أن أطيعك .

الأب سيرابيون

١ ـ مرّ الأب سيرابيون في إحدى قرى مصر ، فرأى زانية تقف أمام باب بيتها ، فقال لها : انتظريني عند المساء ، لأني أريد أن أقضي الليل بقربك . فقالت له : حسناً يا أبت . فاستعدّت وأعدّت السرير . ولمّا هبط الليل جاء الشيخ وبعد أن دخل قال لها : هل أعددت السرير ؟ قالت له : نعم يا أبت . فأغلق الباب وقال لها : انتظري قليلاً إذ هناك قانون ينبغي أن أطبقه . فبدأ الشيخ صلاته من المزامير ، وكان عند كل مزمور يصلّي من أجلها متضرعاً إلى الله كي تتوب وتخلص . فاستجاب الله لطلبه . فوقفت المرأة ترتجف وهي تصلّي بجانب الشيخ . ولمّا انتهى الشيخ من تلاوة المزامير ، وقعت المرأة على الأرض . فبدأ الشيخ يقرأ كتاب الرسائل ، وقد قرأ فيه الكثير ، إلى أن انتهى من صلاته . فتأثرت المرأة وأدركت أنه لم يأت من أجل الخطيئة إنما من أجل خلاصها . فركعت عند قدميه وقالت له : اعمل لي معروفاً وخذني إلى حيث أقدر أن أشكر الله . فقادها الشيخ إلى دير للعذارى وسلّمها إلى الأم وقال لها : خذي هذه الأخت ولا تضعي عليها نيراً أو وصية كسائر الأخوات ، لكن أعطها ما تريد ، وكما تريد ، واسمحي لها أن تحيا . وبعد مضي أيام قالت : أنا امرأة خاطئة وأريد أن آكل كل يومين . ثم أنها بعد مدة أخرى قالت : عندي ربوات من الخطايا ، وأريد أن آكل كل أربعة أيام . وبعد أيام أخرى ، قالت للأم : لقد أحزنت الله كثيراً بخطاياي وآثامي ، لذا استحلفك بالله أن تُحسِني إليّ وتجعلي لي قلاية منفردة ، مسدودة ، واجعلي لي ثقباً في الحائط آخذ منه عمل اليد وحاجتي من الطعام . ففعلت الأم كما طلبت ، وهكذا أمضت هذه التائبة حياتها وهي تشكر الله .

٢ ـ سأل أحد الاخوة الأب سيرابيون قائلاً : قل لي كلمة واحدة فقط . أجابه الشيخ : وماذا أقول لك ؟ هل أقول إنك سلبت مال الأرامل واليتامى وجعلتها في هذه الخزانة ؟ لأنه عرف أن الخزانة كانت تعجّ بالكتب .

٣ ـ وقال الأب سيرابيون : كما أن جنود الملك لا يستطيعون أن يلتفتوا يمنة ويسرة عندما يكونون في خدمته ، هكذا حال الإنسان عندما يمثل في حضرة الله على الدوام ، إذ لا يمكن أن تخيفه أعمال العدو .

٤ ـ زار أحد الإخوة الأب سيرابيون ، فحثّه الأب على الصلاة حسب عادة الرهبان . أمّا ذاك الذي كان يصوّر نفسه أنه خاطىء وغير مستحق للاسكيم الرهباني ، فلم يطعه . فطلب منه أن يغسل قدميه ، ثم عاد وكرّر عليه الكلمات ذاتها فلم يقبل . فدفع له الشيخ طعاماً ليأكل وكان هو يأكل معه ، ثم أوصاه قائلاً : يا ولدي ، إذا ابتغيت المنفعة ، لا تغادر قلايتك . انتبه لنفسك وعمل يديك . فالخروج لا يجديك نفعاً كالبقاء . فلما سمع الأخ هذا الكلام ، تمرمر وتبدّل شكله دون أن يتمكن من تفادي انتباه الشيخ . ثم قال له الأب سيرابيون : إلى الآن كنت تقول إنك خاطىء وكنت تلوم نفسك لأنك غير مستحق أن تحيا . لكن لما وجّهت إليك ملاحظة بمحبة ، ثارت ثائرتك . فإذا أردت أن تكون متواضعاً ، درّب نفسك على تحمل ما يأتيك من الآخرين ولا ترضى بالكلمات العديمة النفع وحسب . فلمّا سمع هذا ، سجد له وعاد منتفعاً .

الأب سيرينيوس

١ ـ قالوا عن الأب سيرينيوس إنه كان يتقشف كثيراً ويأكل خبزتين فقط . فجاء إليه الأب أيوب زميله ، وهو ناسك كبير ، وقال له : في قلايتي احتفظ بقانوني ، لكن عندما أخرج ، أتنازل للإخوة . قال له الأب : إن حفظك لقانونك ليس فضيلة كبيرة عندما تكون في قلايتك ، لأن المهم هو أن تحفظه عندما تخرج .

٢ ـ قال الأب سيرينيوس أمضيت السنة وأنا أجني وأخيط وأحوك . لكن بالرغم من كل هذا ، لولا يد الله التي كانت تشبعني ، ما كان بالإمكان أن أشبع أبداً .

الأب اسبريدون

١ ـ قالوا عن الأب اسبريدون إنه كان راعياً باراً جداً فاستأهل أن يصير راعياً للناس . وصار أسقفاً على مدينة في قبرص تدعى تريميثووس ، فكان بتواضعه يرعى خرافه . وحدث أن دخل اللصوص مرة في نصف الليل إلى الحظيرة خفية ، وحاولوا أن يسرقوا الخراف ، لكن الله الذي يخلّص الجميع ، خلّصهم . وذلك لأن اللصوص قيّدوا في الداخل بقوة غير منظورة . وعند الصباح جاء الراعي إلى الخراف ولمّا رآهم يعقدون أيديهم وراء ظهورهم ، فهم ما جرى . وبعد الصلاة حلّ اللصوص ووبّخهم وحثّهم على العيش من أتعابهم الشريفة وليس من التعدي والسرقات ، ثم أطلقهم بعد أن أعطاهم كبشاً وقال لهم بفرح : فعلت هذا ، لكي لا تظهروا انكم سهرتم عبثاً .

٢ ـ وقالوا أيضاً إنه كان عنده ابنة عذراء اسمها سلام كانت تضارع أباها في التقوى . فأودع أحد معارفها حلية ثمينة عندها . أمّا هي فطمرت الوديعة في الأرض للحفاظ عليها أكثر . وبعد مدة ماتت . ثم حدث أن جاء صاحب الأمانة ، فلم يجد العذراء فجاء إلى أبيها ، أي إلى الأب اسبريدون وكلّمه تارة

بالتهديد وطوراً بالتوعيد ، إنه يريد الأمانة . فمضى الأب اسبريدون إلى القبر وتضرع إلى الله أن يريه القيامة قبل أوانها ، إذ اعتبر أنه سبّب أذى لصاحب الأمانة . فاستجيب طلبه ، وظهرت الإبنة حية أمام أبيها وأومأت إلى الموضع الذي دفنت الأمانة فيه ، ثم عادت إلى رقادها من جديد . فحمل الشيخ الوديعة وأعادها إلى صاحبها .

الأب سايو

١ ـ قالوا عن الأب سايو والأب موى إنهما سكنا معاً . وعُرف الأب سايو بطاعته وقسوته . فقال له الشيخ مجرّباً : إذهب واسرق . فمضى باسم الطاعة وسرق مما للإخوة شاكراً الله على كل شيء . أمّا الشيخ فأخذ ما سرقه وأعاده إلى أصحابه خفية . وذات يوم بينما كانا يمشيان معاً ، سقم ومرض ، فتركه الأب منهوك القوى . ولمّا جاء قال للإخوة : اذهبوا واحضروا لي سايو ، لأنه ملقى على الأرض ضعيف القوى . فمضوا وجاؤوا به إلى الشيخ .

الأم سارة

١ ـ قالوا عن الأم سارة إن شيطان الزنى حاربها بقوة طيلة ثلاث سنين وما صلّت إلى الله أن تغادرها الحرب ، بل كانت تقول : يا الله أعطني القوة .

٢ ـ ومرة هاجمها شيطان الزنى بضراوة ودسّ عليها أمور العالم الفانية . أمّا هي وبدون أن تتخلى عن مخافة الله والنسك ، صعدت للحال إلى غرفتها للصلاة . فظهر لها روح الزنى جسدانياً وقال لها : لقد غلبتني يا سارة . فقالت : سيدي المسيح هو الذي غلبك لا أنا .

٣ ـ قالوا عنها إنها أقامت عند النهر ستين سنة دون أن تنحني لتنظر إليه .

٤ ـ وذات يوم جاءها شيخان ناسكان كبيران من تخوم بيلوسيوس . وبينما كانا في الطريق إليها ، قالا فيما بينهما : هلمّ نذلّل هذه العجوز . ولما وصلا ، قالا لها : انتبهي أن يناهضك فكرك فتقولي ها قد جاء النساك إليّ مع أنيّ امرأة . فقالت لهما : أنا في الطبيعة امرأة ، لكني في الفكر لست هكذا .

٥ ـ قالت الأم سارة : إذا طلبت إلى الله أن يكون الجميع مرتاحين من جهتي ، فسأكون عند باب كل واحد تائبة . إلاّ أني سأصلّي كي يكون قلبي عفيفاً تجاه كل واحد .

٦ ـ وقالت أيضاً : أضع رجلي على السلّم ، وقبل أن أصعد عليه ، أجعل الموت نصب عيني .

٧ ـ وقالت أيضاً : يحسن للبشر أن يتصدّقوا حتى ولو كان السبب إرضاء للناس ، لأن الإحسان يحقق لنا إرضاء الله .

٨ ـ زار بعض الاسقيطيين الأم سارة فقدمت لهم طعاماً . أمّا هم فأكلوا المهترىء وتركوا الشهي . فقالت لهم : في الحقيقة إنكم أسقيطيون .

الأم سينكليتيكي

١ ـ قالت الأم سينكليتيكي : يكثر في البداية التعب والجهاد عند الذين يتقدمون نحو الله ، لكن بعد ذلك يغمرهم فرح لا يوصف . وهم كالذين يريدون إشعال النار ، يلفحهم الدخان فتدمع عيونهم لكنهم يبلغون إلى ما يرومون ، لأنه يقول : « إن إلهنا نار آكلة » (عبرانيين ١٢ : ٢٩) . هكذا يجب علينا أن نضرم النار الإلهية بدموع و أتعاب .

٢ ـ وقالت أيضاً : يجب علينا نحن الذين اخترنا هذه المهمة أن نقتني التعقّل الأسمى ، لأن التعقّل يبدو طريقاً صحيحاً لنا ولأهل العالم أيضاً . لكن يرافقه جهل بسبب ارتكاب الخطيئة بكل الأحاسيس الكثيرة الأخرى . في الحقيقة أمثال هؤلاء لا يرون كما يجب ، ولا يضحكون كما يليق .

٣ ـ وقالت أيضاً : كما تبعد الأدوية القوية الحادة الوحوش السامة ، هكذا تبعد الصلاة مع الصوم الفكر الشرير .

٤ ـ وقالت أيضاً : لا يغريك تنعّم أهل العالم الأغنياء كما لو أن فيه شيئاً ثميناً بسبب اللذة الجوفاء . أولئك يوقّرون فن الطهي ، أمّا أنت فبالصوم عن الأطعمة تسمو فوق لذائذ وطيّبات أطعمتهم ، لأنه يقول : « إن النفس التي تحيا بالتنعّم ، تهزأ بالشهد » (أمثال ٢٧ : ٧) . لذا لا تشبع من الخبز ولا ترغب الخمر .

٥ ـ سئلت المغبوطة سينكليتيكي : هل عدم القنية هو صلاح كامل ؟ قالت : إنه الأكمل عند من يقدر ، لأن من يحتمله يزرع في جسده حزناً ، إلاّ أنه يزرع في نفسه سروراً وراحة . فكما أن الثياب الخشنة عندما تداس وتدلك بعنف ،

تنغسل ، هكذا النفس القوية ، تتقوى أكثر بالجوع الطوعي .

٦ ـ وقالت أيضاً : إذا كنت تعيش في شركة ، لا تغيّر مكانك ، لأنك بذلك تتأذى كثيراً . في الحقيقة كما أن الدجاجة عندما تغادر البيضة ، تهملها ، هكذا حال الراهب أو العذراء ، عندما يتنقل من موضع إلى آخر ، يفتر وتنطفىء جذوة الإيمان فيه .

٧ ـ وقالت أيضاً : كثيرة هي مكائد العدو . ألم يغلب النفس بالجوع فيقدّم لها الغنى مأكلاً ؟ ألم يحقق ذلك بالشتائم والتوبيخات ؟ يلقي المدائح والمجد ، لكن عندما ينغلب بالصحة والعافية ، فإنه يسقم الجسد . وبما أنه قد فشل في خداع النفس باللذات ، يحاول أن يجعلها تنحرف بالآلام غير الطوعية ، فيسبّب آلاماً لا تُحتمل ، يُعكر بها محبة الله عند قليلي الإهتمام فيضرب الجسد بالحمى ، فيشقى بالعطش الشديد . وإذا أصابتك هذه وأنت خاطىء ، تذكّر العذاب الآتي والنار الأبدية والعقوبات القضائية ولا تبالي بالحاضرات . وافرح لأن الله قد تفقّدك . وليكن القول التالي على لسانك كل حين : « أدباً أدّبني الرب وإلى الموت لم يسلمني » (مزمور ١١٧ : ١٨) . كنت حديداً ، لكنك بالنار تطرح الصدأ . وإذا كنت باراً وضربك المرض ، فإنك تنتقل من الكبيرات إلى الأكبر . هل أنت من ذهب ؟ إلاّ أنك بالنار تصبح أكثر حنكة وخبرة . هل علق في جسدك روح شرير ؟ ابتهج وافرح ، وانظر من تماثل . لقد أُهّلت لحظ الرسول (٢ كور ١٢ : ٧) . هل تُمحَّص بالنار ؟ هل تؤدَّب بالعذابات ؟ أنظر ماذا يقول الكتاب الطاهر : « لقد جزنا النار والماء لكنك أخرجتنا إلى منتجع الراحة » (مزمور ٦٥ : ١٢) . وإذا كنت قد اختبرت الأول ، انتظر الثاني . وإذ تتمّم الفضيلة ردّد كلمات القديس : « أنا بائس ومتألم . . . » (مزمور ٦٨ : ٣) . إلاّ أنك ستصبح كاملاً بالضيقات الكثيرة والمختلفة ، لأنه يقول : « لأنك في الحزن فرّجت عني . . . » (مزمور ٤ : ٢٠) . فلننسك في نفوسنا وفقاً لهذه الرياضات ، فالخصم أمام أعيننا على الدوام .

٨ ـ وقالت أيضاً : إذا أزعجنا المرض ، لا نحزن إذا لم نقدر أن نسبّح الرب بصوتنا ، لأن هذا يكون لتنقية الأهواء . في الحقيقة إن الصوم والإنطراح في الفراش شُرّعا لنا من أجل الشهوات . هذا هو النسك الكبير: أن نحتمل الأمراض ونرفع التسابيح الشكرية لله .

٩ ـ وقالت أيضاً : إذا كنت صائماً ، لا تتخذ المرض ذريعة ، لأن الذين لا يصومون قد سقطوا كثيراً في هذه الأمراض . هل ابتدأت بالعمل الصالح ؟ لا تتوقف لئلا يعترضك العدو ، لأنك بصبرك تبطله . فالذين يبحرون يواجهون الرياح الموافقة ، لكن عندما ينصبون الأشرعة ، تعترضهم رياح مضادة . إلاّ أن البحارة لا ينزلون حمولة السفينة بسبب الرياح لأنهم بعد أن يرتاحوا قليلاً يواجهون العاصفة ويكملون الإبحار . هكذا نحن عندما يعاكسنا ريح ونرفع الصليب بدل الأشرعة ، فلنكمل الإبحار بلا فزع وخوف .

١٠ ـ وقالت أيضاً : إن الذين يجمعون الغنى الحسّي بأتعاب البحر وأخطاره ، لا يكتفون بما يجنون ، إنما يطلبون المزيد . والحاضرات يعتبرونها كلا شيء متطلّعين إلى المستقبلات . أمّا نحن ، فبدون أن يكون لنا شيء من الأمور المرغوب فيها ، لا نريد أن نقتني شيئاً بسبب مخافة الله .

١١ ـ وقالت أيضاً : ماثل العشّار لئلا تدان مع الفرّيسي (لوقا ٨ : ١٠) . آثر وداعة موسى لكي تحوِّل قلبك الصلد إلى ينابيع مياه (مزمور ١١٣ : ٨) .

١٢ ـ وقالت أيضاً : يخاطر من شرع يعلّم دون أن يرتقي إلى السامیات بسيرته العملية ، لأن من كان عنده بيت قد تصدع ، وأضاف الغرباء ، فإنه سيؤذيهم بسقوط البيت . كذلك هؤلاء إذا لم يبنوا أنفسهم أولاً ، فإنه سرعان ما يهلكون زائريهم . إذ إنهم بالكلمات جمعوهم للخلاص ، وبفساد الأسلوب ، أساؤوا إلى الرياضيين .

١٣ ـ وقالت أيضاً : حسن أن لا تغضب . ولكن إذا حصل وغضبت، لا يسمح لك الرب بغضب يوم كامل قائلاً : « لا تغرب الشمس على غضبكم » (أفسس ٤ : ٢٦) . فهل تنتظر أنت إذن ،حتى يغرب زمان حياتك كله ؟ لماذا تمقت من أحزنك ؟ ليس هو الذي ظلمك ، بل الشيطان . فأنت مدعو أن تمقت المرض لا المريض .

١٤ ـ وقالت أيضاً : كلما تقدّم الرياضيون ، فإنهم يبارون بمنافسة أشد .

١٥ ـ وقالت أيضاً : هناك نسك يحدّده العدو ، وتلاميذه يحققونه . كيف إذن نقدر أن نميّز بين النسك الملوكي الإلهي والنسك الشيطاني الطاغي ؟ من الواضح أن هذا يكون من التساوق . فليكن زمانك كله مرتباً للصوم . لا تصم أربعة أيام أو خمسة ثم بعد ذلك تحل صومك بالأطعمة الكثيرة والمتنوعة ، لأن التطرف مفسد على الدوام . وإذا كنت شاباً وصحيح الجسم ، صمْ ، لأن الشيخوخة ستأتيك بالأمراض . لذا ، اكنز لك ما استطعت من الأطعمة ، حتى إنك متى عجزت (شخت) ، تجد راحة .

١٦ ـ وقالت أيضاً : عندما نكون في دير ذي حياة مشتركة ، يجب أن نؤثر الطاعة على النسك ، لأن هذه تعلّم التشامخ ، أمّا الأولى (أي الطاعة) ، فمن شأنها أن تعلّم التواضع .

١٧ ـ وقالت أيضاً : بالتمييز الروحي ينبغي أن نسوس أنفسنا . وعندما نكون في شركة من الإخوة ، لا ينبغي أن نطلب ما هو لنا ، ولا يليق أن نستعبد لرأينا ، فالأحرى أن نكون مطيعين لأبينا في الإذعان .

١٨ ـ وقالت أيضاً : كُتب : « كونوا حكماء كالحيّات وودعاء كالحمام » (متى ١٠ : ١٦) . ففي قوله أن نكون كالحيّات ، يعني أن لا تنطلي علينا ألاعيب الشيطان ، لأن الشبيه يُعرف مما يماثله أمّا قوله في أن نكون ودعاء كالحمام ، فيشير إلى نقاوة السيرة .

الأب تيثوى

١ ـ قالوا عن الأب تيثوى إنه وإن لم يكن ينزل يديه بسرعة عندما يقف للصلاة ، إلاّ أن ذهنه كان مخطوفاً إلى فوق . وعندما كان يصلّي مع بعض الاخوة ، كان ينزل يديه بسرعة لئلا ينخطف ذهنه فيتأخر .

٢ ـ قال الأب تيثوى : الغربة هي أن يمسك المرء فمه .

٣ ـ سأل أحد الاخوة الأب تيثوى قائلاً : كيف أحفظ قلبي ؟ أجابه الشيخ : كيف يمكننا أن نحفظ قلبنا عندما يكون لساننا وبطننا مفتوحين ؟

٤ ـ قال الأب ماتوى عن الأب تيثوى إنه ليس ثمة من يقدر أن يفتح فمه لأي من الأسباب ، لأن الأب تيثوى هو كالذهب الصافي في كفة الميزان .

٥ ـ عندما أقام الأب تيثوى في الكليزما ، قال لتلميذه رغم كونه إنساناً متبصّراً وعاقلاً : إفتح الماء على الخوص يا ولدي . فقال تلميذه : نحن في الكليزما يا أبت . فقال الشيخ : وماذا أعمل هنا ؟ عدّ بي إلى الجبل ثانية .

٦ ـ بينما كان الأب تيثوى جالساً وأحد الإخوة إلى جانبه ، تنهّد دون علمه ، ولم ينتبه أن الأخ كان بقربه ، إذ كان في حالة من الوجد الروحي . ولمّا سجد قال : سامحني يا أخي ، لأني لم أصبح راهباً بعد[1] .

٧ ـ سأل أحد الاخوة الأب تيثوى قائلاً : ما هي الطريق التي تقود إلى التواضع ؟ أجابه الشيخ : إن طريق التواضع هي ضبط النفس ، والصلاة ، وأن يكون المرء دون الخليقة كلها .

(١) لأنه تنهّد امامه . إن هذا القول يرد عند الأب يوحنا الكولوفي أيضاً.

الأب تيموثاوس

١ ـ ذكر الأب تيموثاوس الكاهن للأب بيمن قائلاً : في مصر امرأة تزني وتعطي كل أموالها صدقة للمحتاجين . فقال الأب بيمن : لن تبقى في الزنى لأن فيها ثمرة الإيمان . وحدث أن جاءت والدة تيموثاوس الكاهن إليه ، فسألها : وهل استمرت المرأة في الزنى يا أمي ؟ قالت له : نعم ، وقد ازداد المعجبون بها ، لكن ازداد إحسانها أيضاً . فنقل هذا إلى الأب بيمن ، وهذا قال : لن تبقى في الزنى . ولمّا عادت والدة الأب تيموثاوس وزارته ثانية ، قالت له : هل تعلم أن تلك الزانية كانت تريد أن تأتي معي لكي تصلّي من أجلها ؟ فلما سمع هذا ، نقله للأب بيمن ، فقال له : الأفضل أن تذهب وتقابلها . فمضى الأب تيموثاوس وقابلها . فما إن رأته وسمعت منه كلمة الله ، حتى تأثرت وبكت ، وقالت له : أنا من الآن ألتصق بالله ولن استمر في الزنى. وللحال دخلت الدير وشكرت الله .

الأب إيبريخيوس

١ ـ قال الأب إيبريخيوس : كما أن الأسد يخيف الحمار الوحشي ، هكذا يسود الراهب الممتحَن على أفكار الشهوة .

٢ ـ وقال أيضاً : الصوم لجام للراهب أمام الخطيئة . وكل من يرميها يصبح حصاناً مولعاً بالأنثى .

٣ ـ وقال أيضاً : إن من لا يضبط لسانه ساعة الغضب ، لا يمكنه أن يضبط أهواءه .

٤ ـ وقال أيضاً : حسن أن تأكل اللحم وتحتسي الخمرة ، بدل أن تأكل بالوقيعة لحوم الاخوة .

٥ ـ وقال أيضاً : بالنميمة أخرجت الحية حواء من الفردوس . هكذا هو حال من يثلب أخاه . فإنه يهلك نفس الذي يسمعه ، ونفسه هو لا يقدر أن يخلّصها .

٦ ـ وقال أيضاً : كنز الراهب هو عدم القنية الطوعي . فاكنز يا أخي في السماء ، لأن أزمنة الراحة لا تنتهي .

٧ ـ وقال أيضاً : فليكن ذكر ملكوت السماوات أمامك كل حين ، فترثه سريعاً .

٨ ـ وقال أيضاً : الطاعة هي جوهرة الراهب الموروثة . ومن يمتلكها ، يحفظه المصلوب بدالة ، ويسمع له الله ، لأن الرب الذي صلب من أجلنا ، أطاع حتى الموت .

الأب فوقا

١ ـ قال الأب فوقا الذي من دير الأب ثيوغنيوس الأول الأورشليمي : لمّا كنت جالساً في الاسقيط ، كان في القلالي أب شاب يدعى يعقوب والذي كان أبوه الجسدي أباً روحياً له . وكان في القلالي كنيستان واحدة للأرثوذكسيين وفيها كان يتناول القرابين ، والثانية لذوي الطبيعة الواحدة . ولمّا كانت عند الأب يعقوب نعمة التواضع ، لذا أحبه الجميع من أرثوذكس ومنشقين . فقال له الأرثوذكس : انتبه يا أبانا يعقوب لئلا يخدعك المنشقون فيجذبونك إلى الشركة معهم . والأمر نفسه قاله المنشقون له : اعلم يا أبانا يعقوب أن علاقتك مع أصحاب الطبيعتين ، ستجعلك تخسر نفسك ، لأنهم نساطرة ويسخرون من الحق . وكان الأب يعقوب تقياً . فحزن من الكلام الذي سمعه من الفئتين ، وكان في تساؤل وحيرة . فقرر أن يتوسل إلى الله فاختبأ في قلاية هادئة خارج الدير ملتحفاً بثياب الدفن ، وكأنه مزمع أن يموت . فالآباء المصريون اعتادوا أن يحتفظوا حتى الموت بالسترة التي فيها يحصلون على الاسكيم والقلنسوة ، إذ يدفنون وهم يرتدونها . ففي يوم الأحد كانوا يلبسونها أثناء المناولة المقدسة ومن ثم كانوا يجمعونها . فلما دخل إلى تلك القلاية وأخذ يتوسل إلى الله ، وأطال صومه إلى أن سقط على الأرض وبقي مستلقياً . وكان يقول في ذهنه إن كثيرين من الشياطين ماتوا في تلك الأيام . وبعد مرور أربعين يوماً رأى ولداً (رأى الرب بشكل صبي) يدخل نحوه فرحاً وقائلاً : أيها الأب يعقوب ماذا تفعل هنا ؟ فاستنار للحال وحصل على قوة من الرؤية وقال : يا سيد أنت تعرف ما أملك . فأولئك يقولون لي : « لا تترك الكنيسة » . وآخرون يقولـون لي : « ذوو الطبيعتين قد ضلّوا » ، وأنا في حيرة من أمري ، ولا أعرف ماذا أفعل ، فبلغت هذه الحال . أجابه الرب : حسناً هو حيث تكون . وللحين وجد بهذا

الكلام قرب أبواب الكنيسة المقدسة ، كنيسة الأرثـوذكسيين وأتبـاع المجمـع الخلقيدوني .

٢ ـ قال الأب فوقا : عندما ذهب الأب يعقوب إلى الاسقيط ، حاربه شيطان الزنى بضراوة . ولمّا أشرف على الخطر ، أتـى إليّ وعـرض عليّ أمـره وقـال : بعـد يومين ، سأنطلق إلى ذاك الكهف ، وأرجوك من أجل الرب أن لا تقول لأحد ولا حتى لأبي . لكن عدّ أربعين يوماً وعند اكتمالها اعمل لي معروفاً وتعال إليّ حاملاً المناولة المقدسة . وإذا وجدتنـي ميتـاً ، أدفنـي . وإذا كنـت على قيد الحياة ، ناولني جسد الرب ودمه الطاهرين . وبما إني سمعـت هذه الأمـور منه ، أخذت المناولة الإلهية (جسد الرب) ، وقليلاً من الخمر وخرجت إليه عند اكتمال اليوم الأربعين . ولمّا دنوت من الكهف ، اشتممـت رائحـة نتنـة كانت تنبعث من المدخل ، فقلـت في نفسي : إن المطوّب قد وجـد الراحـة والنياح . ولكن لمّا دخلت ، وجدته بين حي وميت . ولما رآنـي ، حرّك يده اليمنى قليلاً قدر استطاعته ، وأومأ إلى المناولـة المقدسـة . فقلـت له : إنهـا معي . فأراد أن أفتح له فمه . وكان فمه قاسياً . فخرجت إلى البرية بحثاً عن شيء أفتح به فمه قليلاً ، فوجدت وتداً من العليق ، فأجهدت نفسي كثـيراً حتى تمكنـت من فتـح فمـه ، وسكبـت الجسـد والـدم الكريمين بدقـة قدر استطاعتي . فأخذ قوة من تناوله الجسد والدم المقدسين . وبعد قليل بلّلـت قطعة من الخبز ثم ألحقتها بأخرى ، وفقـاً لما استطـاع ابتلاعـه . وبعـد يوم واحد ، عاد معي بنعمة الله . فأتينا إلى قلايتي . وهكذا اعتق بمعونة الله من هوى الزنى المفسد .

الأب فيليكس

١ ـ زار بعض الاخوة الأب فيليكس ومعهم جماعة من أهل العالم وطلبوا منه كلمة واحدة . فلبث الشيخ صامتاً . ولمّا ألحّوا عليه في الطلب ، قال : هل ترومون سماع الكلمة ؟ قالوا : نعم يا أبانا . فقال لهم : الآن ، ليس هناك من كلام . فالاخوة عندما كانوا يسألون الشيوخ ويعملون بما يسمعونه ، كان الله يمنحهم القدرة على كيفية الكلام . أمّا الآن فإنهم يسألون ولا يفعلون بما يسمعون ، فإن الله قد رفع نعمة الكلام عن الشيوخ ، ولم يعد لديهم ما يتشدقون به ، إذ ليس هناك من يعمل بما يقال . فلمّا سمع الاخوة هذا ، تنهدوا وقالوا : صلّ من أجلنا يا أبانا .

الأب فيلاغريوس

١ ـ كان واحد من القديسين يدعى فيلاغريوس يقيم في برية أورشليم ويتعب كثيراً لكي يؤمّن خبزه . ولمّا كان يقف في السوق ليبيع عمل يديه ، حدث أن أضاع واحد من الناس كيساً فيه ألف قطعة نقدية . فوجده الشيخ ، وبقي في السوق قائلاً : لا بد أن من أضاعه سيعود ليفتش عنه . ثم أن ذاك المسكين عاد بعد قليل وهو يبكي . فأخذه الشيخ على انفراد وأعطاه الكيس . فأمسكه الرجل يريد أن يقدم له جزءاً منه . فرفض الشيخ . فما كان من الرجل إلاّ أن بدأ يصرخ ويقول : هلمّوا أنظروا رجل الله . انظروا ما قد فعل . أمّا الشيخ فخرج من المدينة خفية لئلا يتمجّد .

الأب فورتا

١ ـ قال الأب فورتا : إذا أرادني الله أن أعيش ، هو يعرف تماماً كيف يدبّرني . وإذا لم يكن يريد ذلك ، ما حاجتي إلى هذه الحياة ؟ ولم يكن يقبل من أحد شيئاً مع العلم أنه كان طريح الفراش ، بل كان يقول : إذا أعطاني أحد شيئاً ، ليس حباً بالله ، لا أقدر أنا على مكافأته ، كما ولن يأخذ من الله أجراً ما دام لم يفعل ذلك حباً بالله ، وبالتالي فإنه يسيء إلى نفسه . إذ يجب على الذين وضعوا اتكالهم على الرب أن ينظروا إليه فقط . وهكذا يسلكون بتقوى . حتى انهم لا يظنون أن في الأمر إساءة ، وإن حدث أن أُسيء إليهم آلاف وآلاف المرّات .

الأب خومه

١ ـ قالوا عن الأب خومة ، إنه عندما أوشك أن يغادر العالم ، قال لأبنائه الروحيين : لا تساكنوا الهراطقة . ولا تصاحبوا الوجهاء ، ولا تمدّوا أيديكم للأخذ ، إنما للعطاء .

الأب خريمون

١ ـ قالوا عن الأب خريمون في الاسقيط إن كهفه كان يبعد عن الكنيسة أربعين ميلاً ، وعن الواحة إثني عشر ميلاً . وعبر تلك المسافة ، كان يأتي بما يحتاجه لعمل اليد. فكان يمسك جرّتين يحملهما واحدة واحدة. وعندما يتعب، كان يأخذ لنفسه قسطاً من الراحة.

الأب بسينثايسيوس

١ ـ قال الأب بسينثايسيوس والأب سورس والأب بسويوس : لمّا كنا نسمع كلمات أبينا بخوميوس ، كنا ننتفع للغاية لأننا كنا في غاية الشوق واللهفة إلى الأعمال الصالحة . فلمّا يصمت ، كان عمله كلمة . وكنّا نتعجب فيما بيننا ونقول : كنّا نظن أن جميع القديسين قد جعلهم الله هكذا من بطون أمهاتهم ، وأنهم لا يتغيرون ، وأنهم ليسوا أحراراً ، وأن الخطأة لا يقدرون أن يعيشوا بتقوى ، كونهم قد خلقوا هكذا . أمّا الآن فإننا نرى صلاح الله واضحاً جلياً في أبينا هذا ، لأنه وإن كان من أبوين وثنيين ، إلاّ أنه قد صار محباً لله وتقياً وقد كسا نفسه بكل وصايا الله . لذا فإننا نقدر أن نتبعه ونقتفي أثره ، كما أنه هو نفسه يقتفي آثار القديسين إذ قد كتب : « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (متى ١١ : ٢٨) . فلنمت مع إنسان كهذا ، ونحيا معه ، لأنه يقودنا بحق إلى الله .

الأب أور

١ ـ قالوا عن الأب أور والأب ثيوذورس إنهما وضعا طيناً في القلاية ، وقالا فيما بينهما : إذا زارنا الله الآن ، ماذا نعمل ؟ وبدموعٍ تركا الطين ومضى كل واحد منهما إلى قلايته .

٢ ـ قالوا عن الأب أور إنه لم يكذب أبداً ولم يحلف ، ولم يلعن أحداً . كما أنه لم يكن يتكلم دونما مبرر أو حاجة .

٣ ـ قال الأب أور لتلميذه بولس : انتبه يا ولدي إلاّ تأتي بكلام غريب إلى هذه القلاية .

٤ ـ ذهب الأب بولس تلميذ الأب أور لشراء الخوص ، فوجد أن كثيرين قد سبقوه ودفعوا عربوناً . أمّا الأب أور فلم يكن يدفع شيئاً ، لأنه عندما كان يجيء دوره ، كان يدفع ما يترتب عليه ويشتري ما يريد . فمضى تلميذه إلى موضع آخر من أجل الخوص ، فقال له البستاني : لقد جاءني إنسان ودفع لي العربون ، لكنه ذهب ولم يعد بعد . خذه أنت بدلا منه . فأخذه وجاء به إلى الأب أور وأطلعه على ما جرى . فلمّا سمع الشيخ هذا ، ضرب يداً بيد ، وقال له : إن أور لا يعمل هذه السنة . وهكذا لم يترك الخوص في القلاية حتى عادت إلى مكانها الأول .

٥ ـ وقال الأب أور : إذا رأيتُ فكراً ما ضد أحد، أعلمُ أن ذاك أيضاً عنده فكر مماثل ضدي.

٦ ـ كان هناك أحد الأشراف في منطقة الأب أور يُدعى لونجينوس وكان هذا يفعل الإحسان كثيراً . فزار أحد الآباء وطلب منه أن يقوده إلى الأب أور . فمضى

الراهب إلى الشيخ وامتدح هذا الشريف لصلاحه وإحساناته . ففهم الشيخ وقال : نعم ، إنه صالح . ثم إن الراهب أخذ يستعطف الشيخ قائلاً : اسمح له أن يأتي لرؤيتك . أجابه الشيخ : في الحقيقة لن يعبر هذا الوادي ليراني .

٧ ـ توسّل الأب سيسوى إلى الأب أور قائلاً : قل لي كلمة يا أبت . قال له : وهل تثق بي ؟ قال : نعم . قال له : اذهب واعمل ما تراني اعمله أنا . فقال له : وماذا أرى فيك يا أبت ؟ قال له الشيخ : إن فكري دون جميع الناس .

٨ ـ قالوا عن الأب أور والأب ثيوذورس إنهما كانا دائماً يضعان بدايات صالحة ويشكران الله .

٩ ـ قال الأب أور : التواضع هو إكليل الراهب .

١٠ ـ وقال أيضاً : إن من يُحترم ويُمتدح ، أكثر مما هو عليه ، يهلك كثيراً . أمّا الذي لا يمتدحه أحد ، فإنه يتمجد من فوق .

١١ ـ وقال أيضاً : عندما يأتيك فكر التشامخ والكبرياء ، افحص ضميرك إذا كنت قد حفظت كل الوصايا ، أو أحببت كل أعدائك . وهل تحزن لهلاكهم . وإذا كنت تعتبر نفسك عبداً بطّالاً وخاطئاً أكثر من جميع الناس . ولا تظن أبداً أنك قد قمت بهذه كلها ، عالماً أن هذا الفكر يلاشي هذه كلها .

١٢ ـ وقال أيضاً : في كل تجربة لا تلم أحداً ، بل نفسك فقط ، قائلاً : إن هذه أصابتني من جراء خطاياي .

١٣ ـ لا تقل في قلبك نحو أخيك : أنا أكثر نسكاً وانتباهاً منه ، إنما أطع نعمة المسيح بروح الفقر والمحبة التي لا رياء فيها لئلا تقع في روح الزهو والافتخار ، فتخسر كل أتعابك ، لأنه كُتب : « فليحذر السقوط من توهّم أنه واقف » (١ كور ١٠ : ١٢) . لذلك ، كن مملّحاً بملح المسيح .

١٤ ـ وقال أيضاً : أهرب من الناس على عجل ، أو انخرط في العالم والناس ، جاعلاً نفسك جاهلاً في أمور كثيرة .

١٥ ـ وقال أيضاً : إذاً ثلبت أخاك وأنّبك ضميرك ، اذهب واصنع له مطانية (سجدة) ، وقل : لقد ثلبتك يا أخي . ثم أكّد له انك لن تتورط في ذلك بعد اليوم . فالوقيعة هي موت النفس .